المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قامت وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريسه في المدارس المتوسطة

دراسات في التاريخ الإسلامي

للصف الثاني المتوسط

تأليف

عبد الرحمن تاج الدين — جلال الدين جاويش

عبد الله الشايبي

طبع على نفقة الرئاسة العامة لتعليم البنات

الطبعة السابعة
١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م
يوزع مجانًا ولا يباع

Marfat.com

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ

پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

Marfat.com

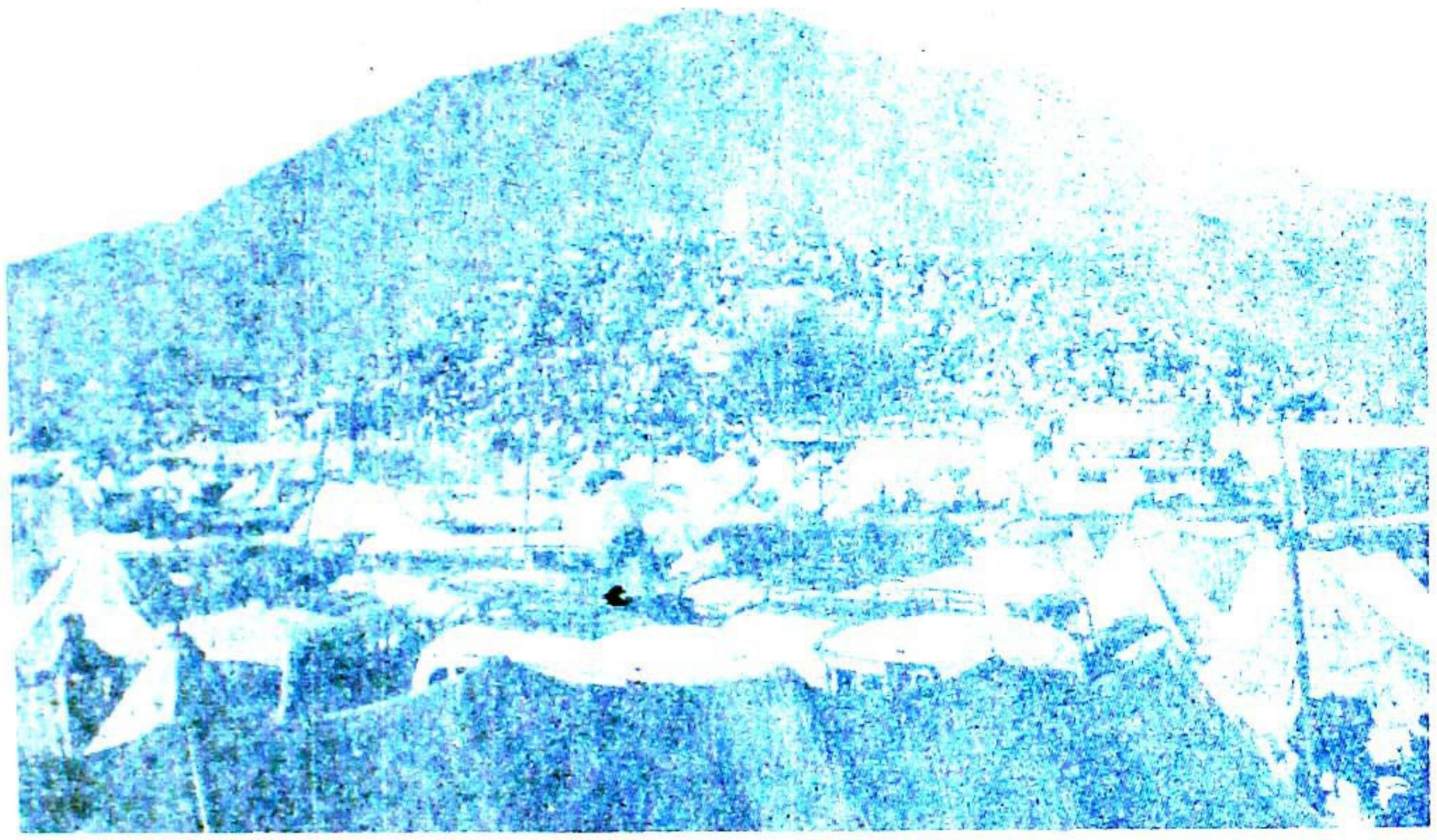

آلاف الحجاج يجتمعون على صعيد عرفات

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

حياة العرب الإجتماعية والثقافية قبيل ظهور الاسلام

الحالة الاجتماعيه عند العرب :

ينقسم العرب بالنسبة إلى مساكنهم إلى حضر وبدو ، أما البدو فهم سكان البادية يتنقلون فيهـــا ، مساكنهم بيوت الشعر ولا يحلو لهم العيش إلا في الصحراوات الفسيحة وتحت القبة الزرقاء الصافيـــة ، يأكلون اللحم والتمر ويشربون اللبن ويغلب على خلقهم البساطة وجفاء القول وسرعـــة التأثر . ويسمون الأعراب .

أمـــا الحضر فهم سكان المدن ، وقد كان بالجزيرة العربيـــة مدن كثيرة أكثرها في بلاد اليمن . وأهل المدن ثابتون مستقرون في مقامهم يشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة .

وكان العرب في الجاهلية يقضون معظم أوقاتهم في الغزو ، فـكان التنافس بين القبائل شديداً وذلك إما لأسباب جوهرية كالتنازع على المراعي والمياه ، أو كالتنازع على الرياسة والملك ، وإما لأسباب تافهـــة كسبق فرس ، أو لكلمة يظن أنها تجرح عاطفة رجل أو امرأة ، أو لذبـــح ناقة أو شاة أو لغير ذلك من الأسباب . وكثيراً ماأسال هذا النزاع دماء العرب أنهـــاراً بغير حساب .

كان العرب يحترمون الأشهر الحرم التي هي : (ذو القعـــدة وذو الحجـــه ومحرم ورجب) فلا يقاتلون فيها .

Marfat.com

الاسرة :

كان العربي يرتبط مع زوجته بعقد بعد رضاء وليهـــا ، وكانت المرأة العربية تتمتع بقسط وافر من الحرية ، وكان النـــاس يلقبون المرأة بأحسن الألقـــاب ، فإذا أنشد شاعرهم قصيدة بدأها بالغزل ، كما كان الناس يفخرون بنسبهم إلى أمهاتهم كما يفخرون بنسبهم إلى آبائهم .

علاقة البدوي بقبيلته :

جُبل البـدوي على حب الحرية التي هي عنـــده أثمن من كل شيء . وكان لا يطيق ما يقيدها . وكان لأفراد هذه القبائل رؤساء منهم يحكمونهم ، وكان اختيار شيخ القبيلة يتوقف على الشجاعـــة والكرم والثروة والسن والفضائل التي يتمتع بهـا . وشيـخ القبيلة له عليها حق الطاعة والولاء . وكان أفراد القبيلة ينصر بعضهم بعضاً بغض النظر عن وجـــه الحق ، ومصداق حالهم هذا البيت :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشـد غزية أرشد

وقد تأصل فيهم هذا الخلق للدفاع عن القبيلة . فإذا قتل رجل من رجالها فلا بد من الأخـذ بثأره ولو هلكت القبيلة كلها ، لأنهم بـذلك يدافعون عنها وعن شرفها .

أخلاق العرب :

اتصف العرب بأخلاق عالية قلما اتصف بها غيرهم من الأمم ، ولكن كانت تشوبها بعض الصفات الذميمة التي حث الإسلام على التخلص منها ، وجاهد من أجل محوها والقضاء عليها . ومن أخلاقهم :

سرعة الانفعال : كان العربي يُرى هادئاً ساكناً ، ولكنه كانت تثيره

Marfat.com

الدولة البيزنطية
بلاد الفرس
حران
العراق
نهر الفرات
المدائن
الأنبار
الأبلة
دمشق
بحر الروم (البحر المتوسط)
بادية الشام
ذات الصمار
الحيرة
مصر
صحراء النفود
تيماء
خيبر
يثرب
نجد
الخليج العربي
عمان
مكة
الطائف
الربع الخالي
نجران
صنعاء اليمن
حضرموت
بحر اليمن (البحر العربي)
البحر الأحمر
الحبشة
شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

Marfat.com

كلمة صغيرة أو فعلة صغيرة بسيطة يتخيل معها أن شرفه قد مس أو أهين ، فيعمد إلى الانتقام لشرفه بالضرب أو القتل دون أن يحسب للعواقب أي حساب. وقد سمى الاسلام هذا الخلق الحمية الجاهلية ونهى عنه ، وقد جرت هذه الحمية الجاهلية إلى حروب شعواء كثيرة . وكان الحلم عندهم عزيزاً إلا في ساداتهم وشيوخهم .

الكرم : وهو من أخلاقهم المتأصلة فيهم . وكتب الأدب مشحونة بأخبار الكرماء ، وقرى الضيف شيء مقدس عند العربي ، فهو على استعداد دائماً لأن يذبح أعز ناقة عنده أو فرس ، إذا لم يجد غيرها ليقري ضيفه . ومن أشهر كرماء العرب حاتم الطائي .

الوفاء بالعهد : كان العهد عندهم عروة وثقى يتمسكون بها ويعيبون من يفرط فيها ، وكانوا يستهينون في سبيل الوفاء بالعهد بكل مرتخص وغال ، مثل قصة هانىء بن مسعود الشيباني .

الشجاعة الجود بالنفس أقصى غاية الجود ، وباب الحماسة في أشعار العرب ملىء بأخبار شجاعتهم ، فنرى العربي يضحي بحياته دون مبالاة في سبيل الانسانية . يقول شاعرهم :

أكر على الكتيبة لاأبالي أفيها كان حتفي أم سواها
ولي نفس تتوق إلى المعالي ستتلف أو أبلغها مناها

وقد اشتهر من العرب كثيرون تفوقوا على أقرانهم في شدة البأس وقوة القلب مثل ، عنترة بن شداد وعمرو بن معد يكرب الزبيدي .

الاعتزاز بالوطنية : العربي فخور بوطنيته لدرجة كبيرة ، ولذا نراهم يأنفون من تزويج بناتهم من أعجمي .

لعب الميسر : لقد استحكمت هذه العادة بنفوسهم ، حتى انهم كانوا

Marfat.com

يمتدحون بها ، لأنهم كانوا يتصدقون بما كسبت أيديهم . وقد غـالى الجاهليون في هذه العادة حتى صاروا يقامرون على أنفسهم ، ويكون المغلوب عبداً رقيقاً للغالب .

شرب الخمر : كان الخمر عندهم دليل كرم ونبل . وكانوا يغالون في الإدمان عليها والترنم بأوصافها . وقد جاء الدين الإسلامي الحنيف فشمل هاتين العادتين الضارتين (الخمر والميسر) بالتحريم المطلق .

الحالة الثقافيه عند العرب :

كانت لغة اليمن التي تسمى أحياناً اللغة الحميرية هي اللغة السائدة التي تدل على الحضارة والرقي والتقدم ، وظل ذلك شأنها حتى وقفت عن التطور والتقدم ودخلها كثير من الألفاظ الغريبة والدخيلة ، حينما ضاع ملك اليمن ، وأصبحت البلاد ترزح تحت حكم الاجنبي من أحباش وفرس ، كل ذلك أدى إلى انحطاط اللغة الحميرية وفقدانها تلك الميزة ، وهي أنها كانت لغة المدنية والحضارة المتقدمة .

وأخـذت لغة الحجاز – وتسمى لغة قريش – في الإنتعـاش والنمو والتطور بظهور النهضة الأدبية في مكة ، وما جاورها من الأسواق واتصالها بالشام والعراق عن طريق التجارة ، وكانت لغة قريش متينة الاسلوب ، جزيلة المعاني والمترادفات ، لطيفة اللهجة ، تميل إلى الإيجاز في التعبير ، ولذا امتازت على كافة لهجات القبائل العربيـة ، وقد نزل بها القرآن الكريم فأعلى من شأنها ، وسبب ذلك انقراض بقية لهجات العرب .

الشعر وأسواق العرب : ومن أعظم الوسائل لنشر الكلمات الذي [illegible] الشعر العربي ، فقد كان الشاعر ينطق بالشعر فتتلقفه الأ[illegible] على الألسن ويتداوله الغائب عن الحاضر بما فيـه مـن عبارات جميلة ، وأساليب وأخيلة بديعة .

Marfat.com

وكان للعرب أسواق يجتمعون فيها لإنشاد الشعر والتبادل التجارى بالقرب من مكة ، وأهمها عكاظ ومجنة وذو مجاز ، وقد كان لهذه الاسواق فوائد جمة من الناحية الأدبية ، فكان شعراء العرب يفدون إليها من كل صوب ينشدون ما جادت بـــه قرائحهم ، فينال الشعر العربي مـا يستحقه من التكريم والتشريف ، وكانت القصيدة التي يختارهـا المحكمون في عكاظ تكتب بماء الذهب وتعلق على صدر الكعبة ، وهذه القصائد تسمى المعلقات أو المذهبات وأشهرها سبع ، ومنها معلقات امرىء القيس ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة .

ولقد مكنت هـــذه الأسواق للغة العربية سبيل الإتساع في المفردات والقدرة على الوفاء بحاجات القبائل المختلفة ، كما كانت هـــذه الأسواق سبباً في توحيد الذوق والشعور والثقافة ، إذ كان الشعراء يتوخـــون في شعرهم جمال اللفظ ولا ينتقون إلا الكلمات المتداولة بين أغلب القبائل ، ولما جاء الإسلام كانت لغة قريش قد ارتقت إلى أعظم درجة ، وكثر الشعراء والفصحاء والخطباء وأصبح القرآن الكريم دستور لغة العرب أجمعين حتى يومنا هذا ، وإلى الأبد ان شاء الله .

علوم العرب : لم يعرف العرب شيئاً من العلوم إلا مـــا كان ضرورياً لهم ، فكانت حاجة البدوي تنحصر في المـــاء الذي يصله من السماء ، وملبسه البسيط الذي يقيه الحر والبرد ، ثم أداة حربه ، وبيته المتنقل .

علم الأنواء : لما كان للمطر شأن كبير في حياة البدوي فإنه كان دائم التطلع إلى الجو ، وقد أكسبه ذلك القدرة على التنبؤ بتقلباته وقرب المطر أو تأخره ، وكان البدو مهرة في معرفة مواقع السحب وأشكالها ، والرياح وأنواعها وأوقات سقوط الغيث .

الطب : كان للكي مكانة كبرى في طبهم ، فقد كانوا يداوون به

Marfat.com

عدداً كبيراً من أمراضهم وأمراض دوابهم ، كما كانت الرقى والتعاويذ تستعمل على نطاق واسع في معالجة كثير من الأمراض ، وكانوا يعرفون الحجامة والحمية (أي الأمتناع عن الطعام أو بعض أنواعه) واستخدموا العقاقير المأخوذة من نباتات الصحراء . وقد نبغ منهم مجربون كثيرون عرفوا (بالأطباء) مثل « الحارث بن كلدة » وغيره .

القيافة : وهو من علومهم التجريبية وكان على نوعين : اقتفاء الأثر (وكانوا مهرة في ذلك إلى حد عجيب) ، والاستدلال من تقاطيع الجسم على صحة النسب وبطلانه .

علم الأنساب : وقد اهتموا بالمحافظة على أنسابهم لما كان بينهم من التناحر والتنازع ، وكان هذا العلم يساعدهم على معرفة الوضيع من الشريف ، والأصيل من الدخيل .

كما أن العرب كانوا إذا تحضروا واستقروا اشتغلوا بالزراعة والصناعة ، وبنوا البيوت وعمروا المدن وأقاموا الحكومات ، ولكن أكثر شيء مهروا فيه هو التجارة التي دفعتهم إلى عقد المعاهدات والإيلاف ، والى الرحلات إلى الأقطار المختلفة ، التماساً لعروض التجارة أو ترويجاً لبضاعتهم . وقد أفادتهم التجارة فائدة كبرى أدبياً واقتصادياً . فقد أطلعتهم على ماعند الغير من تجارب وثقافات وفنون كما أنهم ربحوا الأرباح الطائلة التي هيأت لهم رغد العيش ، فانصرفوا إلى قول الشعر ، والتماس متع الحياة الدنيا .

الحالة الدينية :

كانت عبادة الاصنام هي العبادة السائدة الغالبة بين العرب . وقد أقاموا حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً ، لكل قبيلة صنمها الخاص ، وأشهرها هو « هبل » وكان صنم قريش ، من العقيق والحجر الأسود . والعجيب في أمر هذه الأصنام أن العرب كانوا يعبدونها ، لا على

Marfat.com

أنها آلهة تقربهم الى الله زلفى ، قال الله تعـــالى في كتابه العزيز : (والـذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)[١]

وكانت الكعبة منـــذ أن بناها ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل مطافاً يحج اليه العرب ، وكان معظماً عندهم .

ولكن كان هناك من العرب جماعة لم يهضموا ولم يستسيغوا هذه العبادة (عبادة الأصنام) فهدتهم أفكارهم إلى عقيدة الوحدانيـة ، ووجود إله يحاسب ويجازي ويطلق عليهم الحنفاء نسبة إلى عقيدة ابراهيم الخليل ، قال تعالى (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) ومن هؤلاء الحنفاء أميـة بن أبي الصلت الشاعر ، وكان يؤمل أن يكون الرسول المنتظر ، فلما بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حسده أمية ، ومنهم ورقة بن نوفل ، وقس بن ساعدة .

وكانت النصرانية منتشرة بين أهالي الحيرة والغساسنة ، وفي نجران في اليمن حيث أتت عن طريق الحبشة .

أما اليهودية : فقد كانت أكثر انتشاراً في الحجـاز من النصرانية ، فلقد تكونت بضع مراكز للديانة اليهودية مثل تيماء ووادي القرى وفدك وخيبر ، على أن أهم مركز لليهودية كان في يثرب التي سميت بعد ذلك « المدينة » .

وكان الصابئـــة يعبدون النجوم والكواكب ، وقد انتشرت ديانتهم في حران وأعالي العراق وبلاد اليمن ، قال الله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، إن

(١) الآيه ٢ سورة الزمر

Marfat.com

الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) .

المجوسية : وكانت موجودة في شرق الجزيرة العربية ، وقد اتخذ أنصار هذه الديانة النار رمزاً لعبادتها بصفتها مصدراً للنور ، والنور في زعمهم مصدر الخير والظلمة مصدر الشر ، ومن أشهر من قام بها ماني ومزدك .

وكانت هناك أديان أخرى غير أن جميع هذه الأديان قد خبا نورها وأفلت شمسها أمام أنوار التوحيد التي جاء بها الإسلام الحنيف .

Marfat.com

الباب الثاني

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

نسبه الشريف :

هو : محمـــد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . . . وأمه آمنة بنت وهب .

أسرته : كان الجد الثاني لمحمد بن عبدُ الله : هاشم بن عبد مناف : أحد رجال قريش البارزين ، اتصف بكرم الأخـــلاق والجود ، ولمـــا كبر ابنه عبدالمطلب خلف والده في الشرف والسيـــادة فكانت لـــه السقايـة والرفادة . واشتغل بالتجارة فأثرى وتزوج عدة نساء فولدن له أحد عشراً ولداً أكبرهم « الزبير » وأصغرهم « عبـــد الله » أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، وباقيهم أبو طالب وحمـــزة والعباس وأبو لهب وعبد الكعبـــة والحارث وعاتكة وأميمة وبرة .

وكان عبد الله محبوباً من أبيه ، فلما بلغ حوالي الثامنة والعشرين زوجه آمنـــة بنت وهب الزهرية من أشرف بطون قريش . وبعد مضي شهر من زواجه ذهب للتجارة إلى الشام وعاد منها مريضاً ، وأقام بالمدينة عند أخواله بني النجار ثم أدركته الوفاة ودفن بدار النابغة الصغرى .

Marfat.com

مولده ونشأته :

ولد صلى الله عليه وسلم في صبيحة يوم الاثنين الموافق ١٢ ربيع الأول من عام الفيل الموافق ٢٠ ابريل ـ نيسان سنة ٥٧١ م . وقد سر به جده وأخذه إلى الكعبة وجعل يرتجز طائفاً وهو يقول :

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالبيت[1] ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان أعيذه من شر ذي شنآن
من حاسد مضطرب العنان

وأرضعته حليمة السعدية ، وكان من عادة أهل مكة أن يلتمسوا المراضع لأولادهم في البادية لسببين : الأول : إبعادهم عن أمراض المدن لتقوى أجسادهم .

والثاني : أنهم يتلقون اللسان العربي في مهدهم عن البدو ، وهم أعذب كلاماً وأفصح لساناً .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يصل دائماً مرضعته حليمة السعدية ويعاملها معاملة الابن البار .

وفي السنة السادسة من عمره توفيت أمه السيدة آمنة ، ودفنت بالأبواء بين مكة والمدينة . وبعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب ، وكان به براً وله محباً . ولكن جده توفي أيضاً والطفل مايزال في السنة الثامنة من عمره . وقد قوّت هذه الصدمات في ذلك الصبي روح الإعتماد على النفس .

وبعد وفاة جده عبد المطلب كفله عمه أبو طالب ، وهو رجل فقير الحال كثير العيال . وكان على رقة حاله كثير البر بابن أخيه شديد الحدب عليه ، وقد أبى محمد أن يكون عالة على عمه وهو يرى ضيق ذات يده ، فرعى الغنم وعمل كل ما يستطيع عمله . وقد

(١) أعيذه بالبيت: هذا قول لا يقره الاسلام . ولكنه قاله في الجاهلية .

Marfat.com

كسب الرسول من رعي الغنم متانة البنية وعمق التفكير ، وكان النبي يفتخر بذلك ويقول : « ما من نبي إلا ورعى الغنم » . وقد ظل محمد في كفالة عمه أبي طالب منذ أن كان في الثامنة حتى كبر وتزوج وبعث . وظل تحت رعاية هذا الرجل الوقور المحب له مايقرب من أربعين عاماً .

وفي الخامسة عشرة من عمره شهد حرب « الفجار » التي وقعت بين قريش وكنانة من جانب ، وبين قيس من الجانب الآخر ، وسميت كذلك لأنها وقعت في الأشهر الحرم . وكان قائد قريش حرب بن أمية . وقد اشترك محمد في هذه الحرب فكان يساعد أعمامه بتجهيز النبل . ولا شك أن ذلك أكسبه خبرة حربية ساعدته فيما بعد على قيادة الجيوش ، ولا شك أيضاً أنه أعمل فكره في هذه الحروب وأسبابها التافهة ونتائجها الوخيمة .

وقد حدث بعد ذلك أن تداعت قريش لحلف الفضول . وهو الحلف الذي آلت به قريش على نفسها ألا تجد بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا وترفع الظلم عنه ، ولا ظالماً إلا وتردعه عن ظلمه . وقد حضر عليه السلام هذا الحلف الذي عقد في دار « عبد الله بن جدعان » بمكة . ولا شك انه كان لهذا الحلف الذي حضره الرسول أثره العميق في نفسه حتى إنه تكلم عنه حينما أصبح نبياً بكلام ينم عن التقدير والاحترام.

اشتغاله بالتجارة :

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره كان قد اشتهر بالصدق والأمانة بين قومه ، فأرسلته السيدة خديجة بنت خويلد بتجارة لها إلى الشام ، فربح أرباحاً كثيرة . وقد أعجبت خديجة بأمانته وعفته وصدقه ، فعرضت عليه أن يتزوجها ، وكانت سنها أربعين سنة ، فخطبها عمه أبو طالب إلى ابن أخيه وتم الزواج .

وكان ذلك قبل الهجرة بثمان وعشرين سنة . وقد وجد محمد فيها خير مايجد الزوج في المرأة الفاضلة من نبل وإخلاص وذكاء ووفـــاء .

Marfat.com

وعاشا معاً خمساً وعشرين سنة ، كانت فيها خير عون للرسول صلى الله عليه وسلم على العبادة والتأمل . وقد تحدث عنها الرسول فيما بعد فقال : « لقد آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدقتني حين كذبني الناس ، وأعطتني مالها حين حرمني الناس » وأولاد الرسول جميعهم من هذه السيدة الفاضلة ، ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

سيرته قبل البعثة :

لا ريب أن سيرته قبل البعثة دليل لا يقبل الجدل على أنه رجل خلق ليؤدي رسالة عظيمة ، فهو الذي عاش بين الأوثان ولم يعرف عنه أنه عبد وثناً قط وهو الذي عاش في بيئة لاهية ، ولم يؤثر عنه أنه أخذ من اللهو بجانب . بل على العكس من ذلك ، كان شديد النقمة على الخمر والميسر ، كثير المقت لما يرى في قومه من إمعان في الشهوات وتمادٍ في الباطل .

وانتشر في أوساط قريش الشيء الكثير عن سجاياه وخلقه كما ينتشر العطر في كل جو يحيط به . وعرف بالأمين ولقي من قومه احتراماً وإجلالاً حتى أنهم حكموه راضين ، على قلة مايرضون ، حينما جددوا بناء الكعبة واختلفوا في وضع الحجر الأسود . وكان خير حكم ، إذ أبدى من الذكاء والفهم مايدهش ، فقد جاء برداء وضع فيه الحجر بيده ، وأمر رؤساء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف من الرداء حتى أوصلوه للمكان المعد له ، فأخذه بيده الشريفة ووضعه ، وهكذا بهذا الإسلوب البارع فض خلافاً كاد يشعل حرباً لايعلم أمرها إلا الله ، فزاد مكانه علواً ورفعة .

وقد ثابر الرسول على سيرته القويمة فلم يذبح قرباناً لصنم ، ولم يحضر

Marfat.com

عيداً لوثن ، ولم يشرب الخمر . وقـــد جعل من غـــار حراء في (جبل النور) معبداً ، يتعبد فيه ويفكر في خالق الكون العظيم . وخير دليل على خلق الرسول العظيم حديث خديجة له : « إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر » . تلك هي سيرة الرسول يزينهـــا خلق قويم وتواضع رائـع وذكاء عظيم وصدق ووفاء وعفة وأمانة في سمة صدر وقلة مزاح .

البعثة :

بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء ، وكانت سنه في ذلك الوقت أربعين عاما ، اذ جاءه الوحي في يوم الاثنين ١٧ رمضان . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « جاءني جبريل فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ . **فضمني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، وكرر الحـــادث ثلاث مرات** وفي المرة الرابعـــة : قـــال : اقرأ . فقلـت : مـــا أقرأ ؟ فقـــال : **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقـلم . علم الإنسان مالم يعلم** » . قال صلى الله عليـــه وسلم « فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني ، فكأنما كتب في قلبي كتـــاباً » . فذهب إلى خديجة وأخبرها فقالت : « ابشر يا ابن العم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة » . ثم ذهبت إلى ابن عمهـا ورقة بن نوفل فأخبرته بخبر زوجها ، فقـال لها : إن صدقت ياخديجـة لقد جاءه الوحي الذي يـنزل على الرسل ، وإنه لنبي هذه الأمة . قولي له فليثبت .

الدعوة الى الاسلام :

كان من الحكمـة أن يقوم الرسول بالدعوة إلى الإسلام سراً في بادىء الأمر ، إذ لو بدأ جهرة لقضي على الدعوة في مهدها . فـكان يدعو كل

Marfat.com

من توسم فيه خيراً من الافراد الذين يعرفهم . فآمن به جماعة يعرفون بالسابقين الأولين وهم : زوجه السيدة خديجة ، ومولاه الذي تبناه زيد ابن حارثة ، وربيبه علي بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبد الله ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، والأرقم ابن أبي الأرقم وغيرهم . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجتمع بهم ويرشدهم الى الدين مستخفياً في دار الأرقم في مكة المكرمة . وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنوات ، أجابه خلالها جماعة لهم شأنهم في الاسلام وكذا جماعة من المستضعفين .

الدعوة جهرا :

لما أصبح للرسول الكريم عصبة يعتمد عليها أمره الله أن يجهر بالدعوة بقوله : « وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل اني بريء مما تعملون » .

وقد امره الله بعدم المبالاة بما نصب له المعارضون المستهزئون بقوله : « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين » فصدع الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ، ودعا بني عبد المطلب الى الاسلام ، فرد عليه أبو لهب رداً قبيحا .

وقد بدأت عداوة قريش تظهر ظهوراً جلياً ، لأنهم خشوا القضاء على عبادة الأوثان التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، والتي كانت مصدر ثراء لهم فناصبت قريش النبي العداء ، وأجمعوا على الوقوف في سبيل الدعوة وإيذاء أتباعه ليفتنوهم عن دينهم . ولما رأوا شدة تمسك الرسول بالدعوة شكوه إلى عمه أبي طالب فنصح له . فقال الرسول : « والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الامر مافعلت ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

Marfat.com

وبلغ من عناد القرشيين وجحودهم أن قالوا كما جاء في القرآن الكريم : « **اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجـــارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** » . **وكان من أشدهم معارضة للدعوة الجديدة أبو لهب وأبو جهل وأبو سفيان .**

الهجرة الأولى :

لما ازداد أذى قريش وتعذيبهم للمسلمين وتعـــديهم على المستضعفـين أمر النبي جماعة من المسلمين بالهجرة الى الحبشة وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة ، فلقوا من ملك الحبشة كل عز واكرام ، ورفض النجاشي أن يعيد المهاجرين أو يطردهم لما طلبت منه قريش أن يسلمهم اليهـــا بدعوى انهـم **يتبعون ديناً جديداً ويطعنون في عيسى بن مريم . وكان عـدد المهاجرين** من المسلمين قريباً من المائة عاد بعضهم الى مكة بعد زمن قليل .

الهجرة الثانية :

مكث الرسول الكريم يدعو الى الاسلام والمسلمون كل يوم في ازدياد الى السنة العاشرة من البعثة ، وفيها أصيب الرسول الكريم بمصيبتين كبيرتين هما: **وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة ، وكانت خديجة له عضداً قويـاً ،** وكان عمه له حامياً وناصراً ؛ فنالت قريش من أذى الرسول الكريم ما لم تكن **تحلم به ، حتى نثروا على رأسه التراب وعلى ظهره الأقـذار وهو يصلي** بجانب الكعبة المشرفة فيقول : « أللهم أغفر لقومي فانهم لا يعلمون » وسار **إلى الطائف ودعا أشرافها إلى الإسلام ونصرته فردوه رداً قبيحاً ، وأغروا به سفهاءهم وضربوه بالحجارة فعاد** الى مكة المكرمة .

وبعد أن رجع الرسول من دعوة أهل الطائف خرج أيام الحج يدعو الحجاج الى الإسلام ، فآمن به جماعة من أهل يثرب وتعاهدوا على حمايته

Marfat.com

إن هو جاء إلى مدينتهم ، فاتفق معهم على الهجرة إلى يثرب وأمر أصحابه أن يسبقوه اليها ، فخرجوا يتسللون من مكة جماعات ووحداناً **إلا عمر بن الخطـــاب فإنه خرج علناً وهدد من يتبعه من المشركين ،** فاجتمعت قريش بدار الندوة وتشاوروا وأجمعوا رأيهم على قتل النبي صلى الله

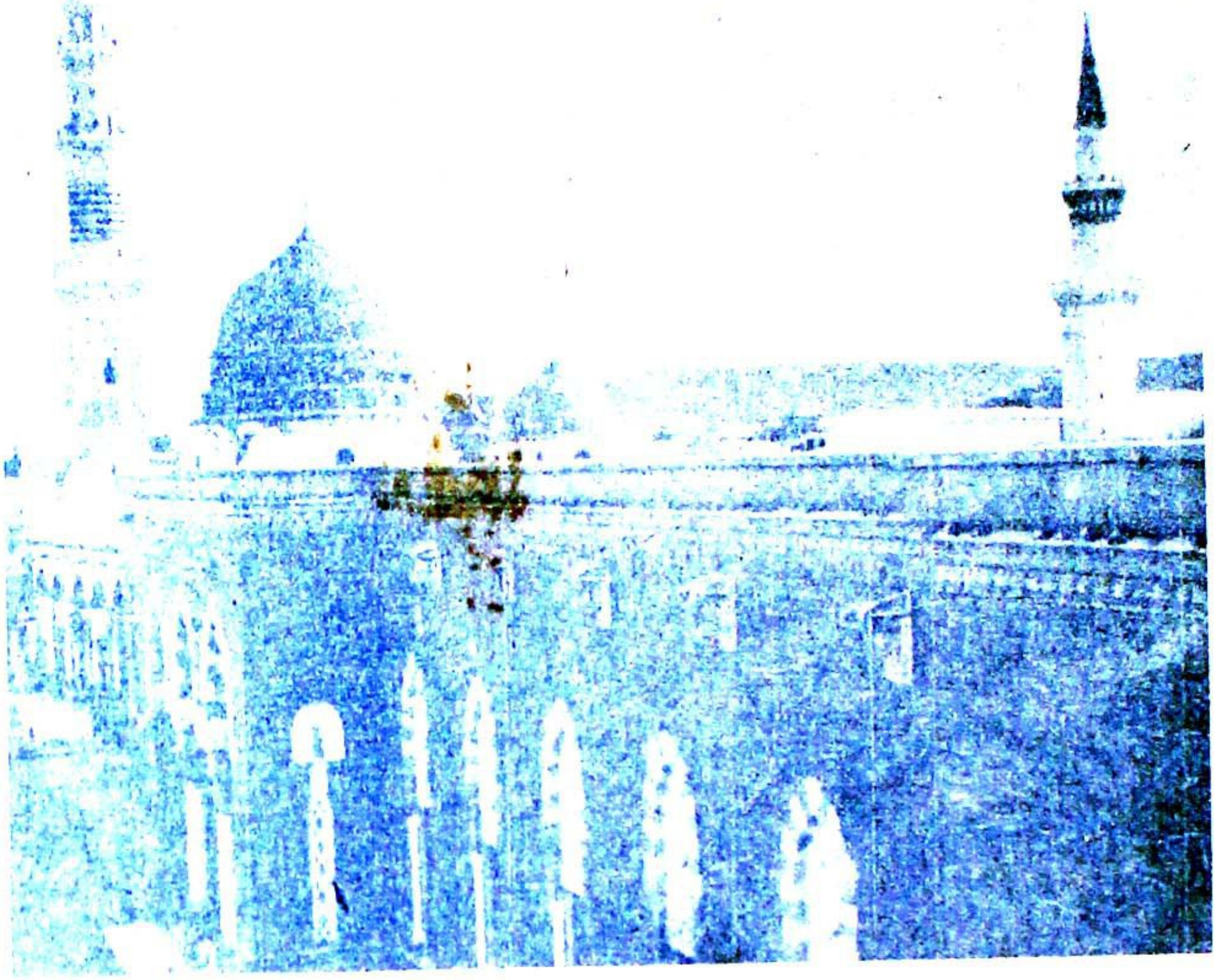

(شكل ٤٩ – ا) الحرم النبوي الشريف في المدينة

عليه وسلم ، وأن يختاروا من كل قبيلة شابا يضربون محمداً صلى الله عليـــه وسلم ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه بين القبائل ولا يقدر بنو هاشم عـــلى المطالبة بدم محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن الرسول فوت عليهم غرضهم ، وخرج ليلا الى يثرب ومعه أبو بكر ، وترك علياً في فراشه وأمره أن يبقى بمكة حتى يؤدي الأمانات الى أهلها ، حيث كان كفار قريش يضعون أماناتهم عنـد الرسول الامين رغم كفرهم ، وهذه تعطينا فكرة واضحة عن أمانته ، وتحدد لنا صورة سامية عن قوة شخصيته صلى الله عليه وسلم .

Marfat.com

وقد وصل الرسول الكريم وصاحبه قباء يوم الاثنين ٨ ربيع الاول فأقاموا بها عدة وأسس النبي صلى الله عليه وسلم فيها مسجدا هو أول مسجد أسس في الاسلام . وفي يوم الجمعة خرج أهل يثرب نساء ورجالا لاستقبال القادم العظيم بالأناشيد والحماس والفرح والسرور والترحيب.

ومن ذلك الوقت سميت يثرب « دار الهجرة » أو « مدينة الرسول » أو « المدينة » وسمي الذين هاجروا بالمهاجرين وسمي أهل المدينة الذين آووا المهاجرين ونصروا النبي بالأنصار .

ولقد لقيت الدعوة الإسلامية قبولاً وارتياحاً لدى أهل يثرب ، وذلك لأنهم كانوا يعرفون ممن جاورهم من اليهود بوصفهم من أهل الكتاب أن نبياً سيبعث .. ولما التقوا به شرح الله صدورهم للايمان فآمنوا برسالته ورحبوا به في ديارهم وبايعوه وناصروه ، وفتحوا دورهم لأصحابه رضوان الله عليهم .

هذا وقد اتخذ المسلمون فيما بعد عام الهجرة بدء عصر جديد فجعلوه مبدأ لتاريخهم (التاريخ الهجري) .

تأسيس الحكومة الإسلامية الأولى :

لما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بنى بها مسجداً عمل فيه بنفسه ، ومحا العداء بين الأوس والخزرج — وآخى بين المهاجرين والأنصار وحث الجميع على الإخاء والرفق بالأطفال واليتامى ، ولم يكن ببلاد العرب ذلك الوقت قانون أو نظام عام ، بل كانت البلاد في نزاع دائم وفوضى شاملة ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى سبيل الحق والعدل وابلاغ الشريعة المستقيمة الثابتة ، ونشر عهداً لمنع الثأر ووقف الشحناء، وساوى يهود المدينة وما حولها بالمسلمين في الحقوق ، وتعهدوا بالاشتراك في الدفاع عن المدينة .

39556

Marfat.com

موقف النبي من أهل مكة :

ظل رسول الله يدعو الناس الى الاسلام بالتبشير والترغيب الى أن شرع الله الجهاد بآيات كثيرة منها : « وقاتلوا الذين **يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين » ، « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ،** ولله عاقبة الأمور » • وقال تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين • » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار • »

وكان كفار قريش كما علمنا ، معادين للمسلمين أخرجوهم من ديارهم بعد أن آذوهم واضطهدوهم ، واستولى مشركو مكة على أموال المسلمين فيها بعد أن هجروا أوطانهم مرغمين ، فكان ذلك داعياً إلى أن يعيق الرسول الكريم تجارتهم التى يذهبون بها الى الشام، ولم تكن غاية الرسول **من التعرض للقوافل التجارية كسب الأموال والغنائم ، بل كانت غايته** اخضاع قريش وغيرها من القبائل العربية حتى يتسنى له جمع كلمة العرب في الجزيرة على الاسلام • ومتى انتهى من ذلك قام بنشر التعاليم الاسلامية في جميع أنحاء الأرض •

غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ (٦٢٤ م) :

وقعت هذه الغزوة بالقرب من بئر بدر ، وكانت محطاً للقوافل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهي الى المدينة أقرب ، وقد هاجم المسلمون قافلة

Marfat.com

تجارية لمكة لايقافها من أجل اخضاع المشركين واعلاء كلمة الله • وقد انتصر المسلمون في هذه الموقعة رغم قلة عددهم وقد أحسن المسلمون معاملة الأسرى

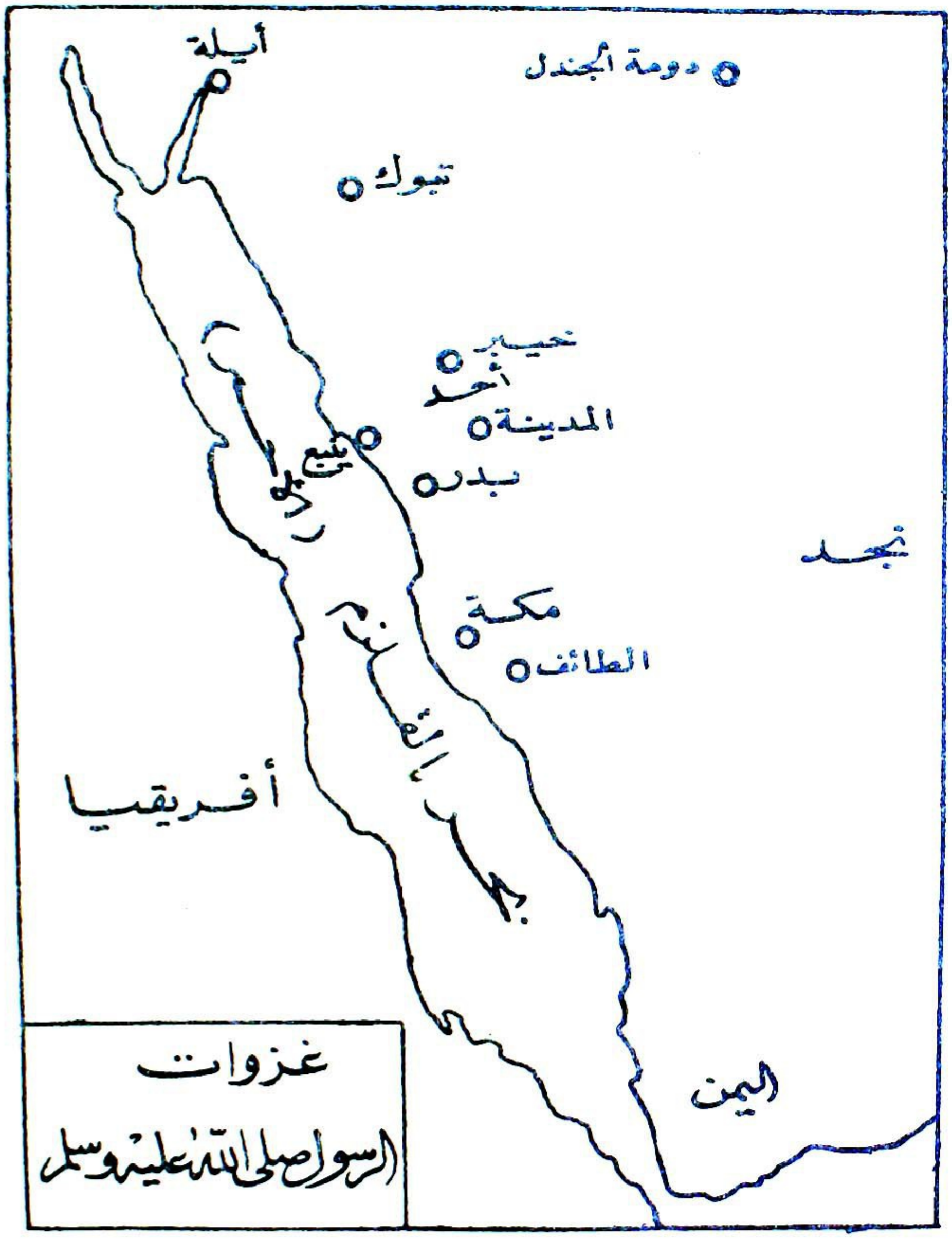

فأطلق الرسول الكريم بعضهم ، وقبل الفدية من البعض الآخر، وكلف من لم يستطع دفع الفدية تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة • أما الغنائم فقد

Marfat.com

تصرف فيها الرسول الكريم حسب الآية « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فـان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

غزوة أُحُد :

وقعت في السنة الثالثة من الهجرة عند جبل أُحُـــد في الشمال الشرقي من المدينة ، وسببها أن قريشاً أرادت أن تثأر لما أصابها يوم بـــدر ، فخرج أبو سفيان على رأس ثلاثة آلاف مقاتـل ، وقـــابله المسلمون في سبعمائة رجل . وقد انتصر المسلمون أول الأمر ، ولكن الهزيمـــة لحقت بهم لما خالف الرماة خطة الرسول الكريم وتركوا أماكنهم . وقد قتل في هـذه المعركة سبعون من المسلمين منهـــم حمزة عم النبي ، وجرح النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشاع المشركون أنـــه قتل ، فوقع الاضطراب في صفوف المسلمين ، ولكن المسلمين تجمعوا حول نبيهم يفدونه بأرواحهم ، ويدافعون عنه حتى تمكنوا من صد الكفار عنه .

وكانت هذه أول هزيمـــة تلحق بالمسلمين ، ومنها تعلموا درساً وهو أن الجيش يجب أن يطيع قائده ولا يخالف أمره ، كما أن الشـدة التي نزلت بالمسلمين قد كشفت لهم المنافقين من المخلصين للدين ، وأطمعت هـــذه الغزوة قريشاً وجرأت اليهود على المسلمين .

غزوة الخندق أو الاحزاب :

جمعت قريش حلفاءها وهاجمت المدينة بعشرة آلاف ، فجمـــع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وحفر خندقاً حول جزء من المدينة المنورة حسب مشورة سلمان الفارسي ، وكان يشاركهم بنفسه في حفره ، واعتمد في الدفاع عن الجهة الجنوبية على حلفائه من يهود بني قريظة ، ولكن هؤلاء انضموا إلى الأعداء وضيقوا الخناق على المسلمين ، وحاولت قريش وحلفاؤهم دخول المدينة المنورة ، وحاول بعض أفرادها عبور الخندق دون جدوى اذ كان المســلمون بقيادة محمد صلى الله عليه وسلم لهم بالمرصاد .

فأرســـل الله على قريش وأحزابهم ريحاً شـــديدة ، قتلت كثـــيراً مـن

Marfat.com

خيل الكفار وأحدثت الاضطراب في صفوفهم فتفرق شملهم .

وكان لفشل الأحزاب في غزوة الخندق مع كثرة عددهم وقـــع كبير في نفوس القبائل العربية ، وعظم شأن المسلمين عندهم واستطاع المسلمون التفرغ لنشر دينهم .

صلح الحديبية :

وفي السنة السادسة للهجرة خرج النبي صلى الله عليـــه وسلم للعمرة في ألف وأربعمائة من المسلمين . فوقف القرشيون في طريقـه على مقربة من مكة . ثم دارت المفاوضات بين المسلمين والقرشيين الـذين خشوا بأس المسلمين ، وطلبوا الصلح فعقدت بين الفريقين هدنـة أمدها عشر سنين ، ومن أهم شروط هذه الهدنة :

١ — أن يرجع المسلمون بدون أن يدخلوا مكـة في عـــامهم هذا ، ولا يدخلونها إلا في العام المقبل ، فيقيمون بهـــا ثلاثة أيام ومعهم سلاح المسافر بعد أن تخرج منها قريش .

٢ — من أتى محمداً من قريش في مدة الهدنة وقدرها عشر سنوات ، من غير إذن وليـــه ، رده عليهم ، ومن جـاء قريشاً من المسلمين لا يردونه عليه .

٣ — من أحب من القبائل أن يدخل في حلف محمـــد أو في حلف قريش دخل فيه ، على أن تجري عليه أحكام هذا الصلح .

وقد كان من نتائج هذا الصلح :

١ — تفرغ الرسول لنشر الدعوة ومكاتبـــة الملوك ورؤساء القبائل ، فـكان رسله يذهبون ويرجعون وهم آمنون من شر قريش وحلفائهم .

٢ — تفرغ الرسول لوضـــع حد لشغب اليهود الذين كانوا يقيمون بخيبر ووادي القرى وفدك بجوار المدينة .

٣ — أراد المسلمون من أهل مكة أن يذهبوا إلى المدينة ليقيموا فيها ،

Marfat.com

فلم يسمح لهم الرسول بالبقاء فيها لأن أحكام الصلح تمنعهم من ذلك . فذهبوا ووقفوا في طريق التجارة بين مكة والشام على قريش ، فاضطرت إلى إلغاء هذا الشرط من صلح الحديبية بأن سمحت لهم عن طيب خاطر بالإقامة في المدينة تخلصاً منهم .

دعوة الملوك والامراء إلى الإسلام :

لما كانت دعوة الاسلام ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة فقد انتهز الرسول صلى الله عليه وسلم فرصة عقد الهدنة مع قريش وكتب الى الملوك والأمراء يدعوهم إلى اعتناق الإسلام . فأرسل إلى هرقل امبراطور الروم ، وإلى المقوقس عامله على مصر ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى باذان عامل كسرى على اليمن . فأجاب بعضهم اجابة حسنة كالمقوقس ، وهزىء بعضهم بدعوة الرسول ، كما مزق كسرى رسالة النبي . أما باذان فإنه أجاب الدعوة واعتنق الإسلام هو ومن كان معه من الفرس في بلاد اليمن .

فتح مكة :

نقضت قريش الهدنة حينما اعتدى حلفاؤهم على بني خزاعة . فجاء وفد من خزاعة وأخبر الرسول الكريم بأن قريش تمد بني بكر بالرجال والسلاح . فصمم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على فتح مكة .

الاستعداد : أمر الرسول المسلمين بأن يتجهزوا سراً ، وكتب إلى حلفائه أن يوافوه بالمدينة ، ولما اجتمع لديه عشرة آلاف مقاتل خرج بهم في شهر رمضان سنة ٨ هـ قاصداً مكة حتى وصل قريباً منها . وكان أبو سفيان قد خرج يتجسس الأخبار ، فظفر به العباس بن عبد المطلب فسار به للرسول وطلب له الأمان فأمنه ودعاه إلى الإسلام فأسلم . وأعلن الرسول أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه

Marfat.com

فهو آمن . وقسم الرسول جيشه إلى فرق أطبقت على مكة فدخلتها مهللة مكبرة ، يتقدمهم النبي صلى الله عليه وسلم .

ودخل الرسول مكة وسار تواً إلى المسجد فطاف بالكعبة سبعاً على راحلته وأمر بتحطيم الأوثان وهو يقول : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

وصلى المسلمون في المسجد الحرام وبعد الصلاة خطب الرسول قائلاً : « لاإله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . يامعشر قريش ماتظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : « خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم » . قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ودخل أهل مكة في الإسلام جميعهم ، ثم وفدت القبائل على النبي صلى الله عليه وسلم من جميع نواحي الجزيرة يدخلون في دين الله : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » .

حجة الوداع :

في ذي القعدة سنة ١٠هـ قصد الرسول صلى الله عليه وسلم مكة حاجاً بعد أن أرسل لرؤساء القبائل أن يوافوه في الحج فاجتمع في مكة أكثر من مائة ألف حاج . وقد خطب فيهم النبي خطبته الخالدة التي منها :

« أيها الناس : اسمعوا مني أبين لكم فإني لاأدري لعلي لاألقاكم بعد عامي هذا . إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم . كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع . إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيبة نفس منه . تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا

Marfat.com

بعدي أبداً ـ كتاب الله وسنتي .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وفي هذه الحجة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية من القرآن الكريم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ».

وبعد حجة الوداع بثلاثة أشهر ، مرض الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمى . ولما اشتد به المرض أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، ولما بلغه أن الأنصار يبكون خرج إلى المسجد معصوب الرأس متكئاً على علي والفضل حتى جلس على أول درجة من المنبر وخطب في المسلمين خطبة منها : « أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ؛ هل خلد نبي قبلي ممن بعثه الله فأخلد فيكم ، ألا إني لاحق بربي ، وإنكم لاحقون بي ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم وأوصيكم بالأنصار خيراً » .

ولما اشتد المرض لم يخرج من البيت حتى لقي ربه يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ (الموافق ٨ يونيه سنة ٦٣٢ م) وكانت سنه ٦٣ عاماً .

ولما شاع خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم دهش الناس وطاشت عقولهم حتى أنكر عمر بن الخطاب الوفاة . وكان أثبت الجميع أبو بكر فقد أعلن للصحابة الوفاة حيث قال لهم : « أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » . ثم تلا الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » .

فثاب الصحابة إلى رشدهم حتى قال عمر بن الخطاب وهو أشدهم دهشة : كأني لم أتل هذه الآية . وقد دفن عليه الصلاة والسلام في بيت عائشة في مكان فراشه .

Marfat.com

أخلاقه صلى الله عليه وسلم :

وصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بقوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ووصفه أيضاً بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » ، وفي هذا تمثيل بديع لجمال خلق الرسول وسموه . وهاك طرفاً من أخلاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، لتتخذه لك قدوة ، وأنعم به من قدوة .

١ — النظافة :

أمر عن النبي صلى الله وسلم أنه قال : « بنى الإسلام على النظافة » ، وكان في النظافة والهندام قدوة أصحابه ، وكان يحب الطيب حتى أنّه إذا صافح الرجل ظل طول يومه يجد ريح الطيب في يده .

٢ — الذكاء والعقل :

كان الرسول أعقل الناس وأذكاهم ، ومن تأمل تدبيره وسياسته العامة والخاصة ، فضلا عما أفاده من الشرع بوحي من الله وقدره من العلم دون سابق تعلم ولا مطالعة الكتب ، لم يشك لحظة في رجحان عقله وغزارة ذكائه ، وهذا يفسر لنا كيف تمكن عليه السلام من سياسة تلك الأمة الجافية ، حتى أحبوه أكثر من آبائهم وأبنائهم .

٣ — الفصاحة والبلاغة .

تشهد بلاغة الحديث النبوي بما كان عليه الرسول من فصاحة وبلاغة وحكمة . قال له أصحابه : « مارأينا أفصح منك » فقال : « وما يمنعني ، وإنما نزل القرآن بلساني ، لسان عربي مبين » .

٤ — الحلم والصبر :

دعا قومه للإسلام مرة فعذبوه وأهانوه فقيل له « لو دعوت عليهم ؟ »

Marfat.com

فقال : « إني لم أبعث لعاناً ، ولكني بعثت داعياً ورحمة . اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون » .

ولقد صبر على أذى قريش وقسوتهم وتحمل منهم كل صعب ولكنه كان كريم النفس معهم ، فلما أظفره الله بهم يوم فتح مكة قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، وكان عليه السلام أبعد الناس عن الغضب وأقربهم إلى الرضا .

٥ ـ الجود والكرم :

قال ابن عباس : كان الرسول أجود الناس بالخير وأجود مايكون في رمضان ، ولقد مات عليه السلام ولم يترك في بيته درهماً ، وأن سبب جوده صلى الله عليه وسلم زهده في الدنيا ورغبته فيما عند الله ، ولذلك عاش فقيراً ومات فقيراً .

٦ ـ الشجاعة :

حضر الرسول صلى الله عليه وسلم المعارك الشديدة وفر عنه الشجعان مرات وهو ثابت لا يتزحزح . وقف يوم حنين على بغلته والناس يفرون عنه وهو يقول : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » فما رؤي أحد أشد منه ثباتاً يومئذ .

٧ ـ حسن المعاشرة :

قال علي : كان الرسول أوسع الناس صدراً وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بكلام لطيف ، وكان دائم البشر سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا

Marfat.com

يشتهي ، يقبل الهدية ويكافىء عليها ، ويمازح أصحابه ويخالطهم ، ويجيب دعوة الحر والعبد ، والأمة والمسكين ، ويعود المرضى ، ويقبل العذر ويبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة .

٨ — التواضع :

كان أشـــد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر. خرج مرة على أصحابه فقاموا له ، فقال لهم : « لاتقوموا كما تقوم الاعـاجم يعظم بعضهم بعضاً » ، وكان يعود المساكين ويجالس الفقراء ، ويجلس بين أصحابه حيث انتهى به المجلس ، وكان يدعى إلى الخـل وخبز الشعير فيجيب .

٩ — العدل والامانة والعفة :

كان أشد الناس أمانة وأعدلهم وأعفهم وأصدقهم لهجة منذ صغره ، اعترف له بذلك أعـداؤه . وكان يلقب قبل الرسالة بالأمين ، وكان يتحاكم إليه في الجاهلية .

كان رســـول الله صلى الله عليه وســـلم رجل عصره وســـيد قومـــه ، هو أول من جمع كلمة العرب ، والمؤسس الأول لدولتهم وباني مجدهم، بعد أن كان يتيماً مضطهداً أسس دولة الاسلام في المدينة ، وما زالت تتوسع حتى انضوى تحت لوائها جميـع أقطار الجزيرة العربية في ثلاث عشرة سنة ، قاد بنفسه أثناءها ثماني وعشرين غزوة وأرسل ٣٥ سرية ، وما لحق بربه حتى جعل الأمة العربية كتلة رشيدة متحدة .

أثر الاسلام في نهضة العرب :

لقد أوجد الإسلام في الجزيرة العربية تشريعاً عاماً ونظاماً أخلاقيـاً ثابتاً عوضاً عن العرف والعادة والأخلاق الجاهلية . نرى تأثير الإســلام في النواحي الآتية :

Marfat.com

١ ـ الأثر الديني : أنقذ الإسلام العرب من الوثنية البليدة ، فسمت روحهم عن الخرافات ، وتفتحت عقولهم إلى النور وبصرت قلوبهم عن التحجر ، فرقت طباعهم وتهذبت أخلاقهم ، فإذا بهم خير أمة أخرجت للناس . قال الله تعالى في كتابه الكريم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم » .

٢ ـ الأثر الاجتماعي : قضى الإسلام على العادات الضارة كالخمر والميسر والأزلام والأنصاب ، وأوجد للنفس الإنسانية كرامتها فلا تقتل الا بالحق ، وأعاد للمرأة مكانتها وكرامتها ، فلم تعد سلعة ، ومنع الاعتداء على ملك الغير بينما كانت العادات الجاهلية تمجد الاعتداء على الآخرين وتعده بطولة ، كما أنه رغب في عتق الرقيق وأزال الفوارق بين الأجناس ، « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » وحض الإسلام على مكارم الأخلاق كالحياء والصبر والوفاء .

٣ ـ الأثر الأدبي : كان للقرآن الكريم والحديث الشريف أثر كبير في مستوى الأدب العربي . فقد وجد فيهما العرب مثال البيان الراقي والفصاحة الرائعة ، فاقتبسوا أسلوب القرآن العالي والحديث البليغ ، مما سما بأدبهم عن الإسفاف في المعنى والتعقيد في الأسلوب وأوجد بين العرب طابعاً إنسانياً عالياً .

٤ ـ الأثر السياسي : وحد الإسلام قلوب العرب وأوجد أمة متجانسة متكاتفة ، بعد أن كانت مجموعة من القبائل متنابذة متحاربة .

ولقد جاء الإسلام ديناً للعالم أجمع وليس ديناً للعرب فحسب ، ولذلك

Marfat.com

أخذ المسلمون يمدون أنفسهم لتبليغ رسالة نبيهم للناس أجمعين وتوحيد العالم تحت لواء الاسلام ومكافحة من يكافحه ولا يكون ذلك إلا بالجهاد في سبيل الله ، الأمر الذي دعا العرب الى الفتوحات المختلفة .

ولا بأس من أن نختم هذا الفصل بما قاله أحد المؤرخين الأجانب عن النبي الكريم . قال : « امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه ، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم »

أسئلة

(على الباب الأول والثاني)

١ — تكلم عن صفات العرب وأخلاقهم قبل الإسلام وبين أثر البيئة فيها .
٢ — ماأهم الأديان التي اعتنقها العرب في فترة ما قبل الإسلام . تكلم عن اثنين منها بالتفصيل .
٣ — ما العوامل التي ساعدت على سيادة قريش قبل الإسلام ؟
٤ — بيّن أثر الهجرة النبوية في انتشار الدعوة الإسلامية .
٥ — « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » اشرح هذه الآية مبيناً أثر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في انتشار الإسلام .
٦ — من هم الأنصار ومن هم المهاجرون ؟
٧ — « جعل الاسلام من الأمة العربية أمة متجانسة » اشرح هذه العبارة .
٨ — اذكر أثر الإسلام في العرب من الناحيتين الاجتماعية والدينية .
٩ — اذكر فضل الإسلام على :

المرأة — الرقيق — اليتيم

Marfat.com

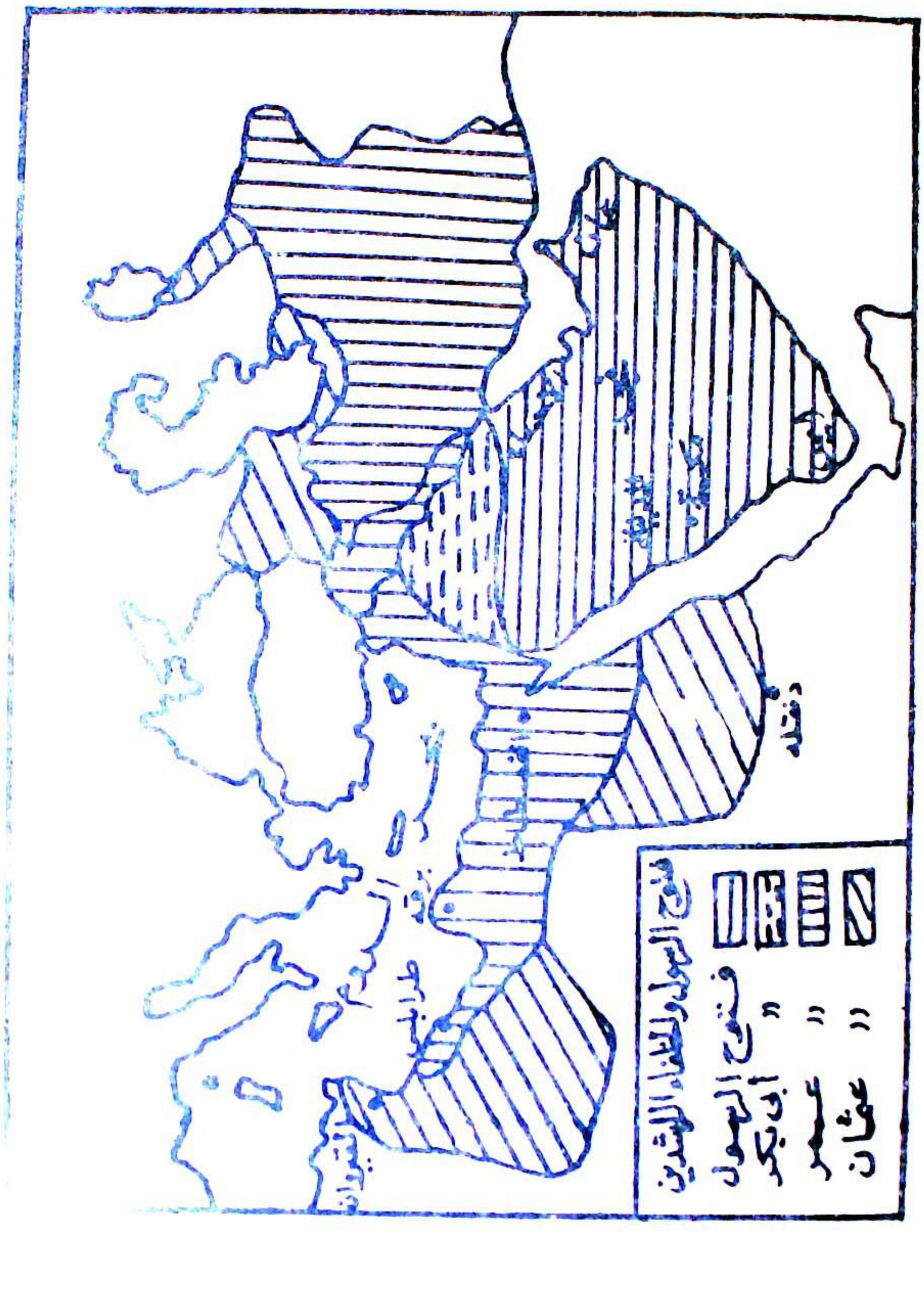
منهج الصحابة الراشدين
منهج الصحابة
منهج أبي بكر
منهج عمر
منهج عثمان

Marfat.com

الباب الثالث

الخلافة الاسلامية

الخلفاء الراشدون

كان الرسول صلوات الله عليه ، يلي شؤون البلاد الإسلامية والمسلمين الدينية والدنيوية ، ولما توفي الرسول كان لابد للمسلمين من رئيس يخلف النبي ويتعهد شؤونهم ، وأول من خلف النبي في تولي شؤون المسلمين هو أبو بكر الصديق.

أبو بكر الصديق (١١ - ١٢ ﻫ)

انتخابه :

عرفت فيما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص قبل وفاته بالخلافة لأحد من أقاربه أو غيرهم ، بل ترك الأمر شورى بين المسلمين.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع المهاجرون والانصار تحت سقيفة بني ساعدة ، ورشح الأنصار رجلا منهم هو سعد بن عبادة سيد الخزرج ، فقام أبو بكر وأدلى بالحجة على أن هذا الأمر لقريش وأثنى على الأنصار وبين فضلهم في نشر الاسلام ، وأن العرب لا تدين الا لهذا الحي من قريش ، وقد سارع عمر الى مبايعة أبي بكر ليقضي على الخلاف ، وتبعه في ذلك سائر الناس ، وتسمى هذه البيعة[1] «البيعة الخاصة» اذ لم يبايعه

(١) معنى « البيعة » التعاقد على أنهم راضون برياسته عليهم وأنه راض بتحمل عبء الحكم .

Marfat.com

الا نفر قليل من المسلمين الذين حضروا بيعة السقيفة ، وأما البيعة العامة فكانت في المسجد في اليوم التالى حيث جلس أبو بكر على المنبر وبايعه الناس البيعة العامة .

نسبه : هو عبد الله أبو بكر بن أبي قحافة من تيم ، يجتمع نسبه مع نسب الرسول أباً واماً ، ولد بعد عام الفيل .

مميزاته : كان أول الرجال إسلاماً ، كما أنه كان رفيق الرسول في الهجرة إلى المدينة ، وحضر معه جميع الغزوات ، ولما مرض الرسول أمره بإمامة الناس في الصلاة .

أول خطبة له : بعد أن ولي الخلافة حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . . . الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ حقه ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لايدع أحد منكم الجهاد فإنه لايدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل . أطيعوني ماأطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلاطاعة لي عليكم ».

أعماله :

١ - حرب المرتدين :

ظهرت في أواخر عهد الرسول حركة خبيثة ، إذ ادعى بعض العرب بدافع العصبية القبلية ، النبوة . وقد أرسل مسيلمة الكذاب كتاباً إلى الرسول يطلب منه نصف الأرض لقومه ، وقد استفحل أمر مسيلمة الكذاب وتبعه خلق كثيرون بعد أن تزوج بسجاح إحدى نساء بني تميم وكانت هي الأخرى قد ادعت النبوة ، كذلك رفض بعض القبائل دفع الزكاة ، وارتد بعضهم عن الدين الإسلامي لضعف في نفوسهم . ولكن أبا بكر سير اليهم الجيوش يقودها كبار المسلمين أمثال خالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص وغيرهم . وقد تمكنوا من القضاء على

Marfat.com

المرتدين فعاد لواء الاسلام يرفرف مرة ثانية على كل أنحاء الجزيرة العربية ، بعد أن كانت مهددة بالانقسام والفوضى .

٢ — حرب الروم في مؤتة :

كان الرسول قبل وفاته قد جهز جيشاً لمحاربة الروم وعقد لواءه لأسامة بن زيد . ولما استشار أبو بكر في أمر هذا الجيش أشار عليه عمر بن الخطاب بحله ، وتوجيهه وجهة أخرى فقال أبو بكر : « لا أحل لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

فخرج الجيش ومعه أبو بكر يودعه ويوصيه قائلاً : « لاتخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

فسار أسامه وقاتل الروم في جنوب البلقاء بالقرب من مؤته ، فغلبهم وعاد بالغنائم بعد أربعين يوماً ، فكان هذا الجيش بقوته عاملاً من عوامل هيبة المسلمين وعلو شأنهم بين القبائل .

٣ — فتح العراق :

كان سكان العراق يلاقون الأمرين من اضطهاد الفرس ، لأنه لم تكن تجمعهم بهم رابطة تاريخية أو عاطفية ؛ فقد كان سكان العراق فئتين : الفلاحون في الشمال وهم من أصل سامي ، والقبائل العربية المتنصرة ، وكلتا الفئتين لا تمت إلى الفرس بصلة . ولما عرف أبو بكر الحالة السيئة التي في العراق ، أرسل خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ فهزم الفرس واستولى على الحيرة والأنبار : وساعده أحد القواد في الشمال ، فاستوليا معاً على شاطىء الفرات الغربي وبادية الشام .

Marfat.com

ثم أتاه كتاب أبي بكر بترك قيادة العراق إلى المثنى بن حارثة والتوجه إلى الشام لنجدة المسلمين سنة ١٣ هـ .

٤ ـ حملة الشام :

ولى أبو بكر قيادة حملة الشام إلى أربعة قواد ، هم عمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق ، وأبو عبيدة ووجهته حمص ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن . وكان عدد الجيوش ٣٦ ألفاً . واستمد هرقل امبراطور الروم للأمر ، وأراد أن يقاتل كل جيش على حدة ليقضي عليها متفرقة ، ولكن المسلمين فوتوا عليه هذا الغرض ، فاجتمعوا جنوب وادي اليرموك . فأرسل إليهم هرقل جيشاً بقيادة ماهان الأرمني في ٧٠ ألفاً ثم تبعه جبلة ملك الغسانيين بستين ألفاً وتوالت عليهم الإمدادات حتى صار عددهم ٢٤٠ ألفاً بينما لم يزد عدد المسلمين عن أربعين ألفاً فأرسلوا يطلبون المدد من الخليفة ، فأرسل إليهم خالد بن الوليد من العراق .

موقعة اليرموك : تولى خالد بن الوليد قيادة جيوش المسلمين في اليرموك ، وقسم جيشه تقسيماً حسناً جديداً بأن جعل له قلباً وميمنة وميسرة ومقدمة . وقد قاتل الروم قتالاً شديداً حتى نال النصر الحاسم . وقد قتل في هذه المعركة ثلاثة آلاف من المسلمين فيهم عدد كبير من الصحابة .

وفي أثناء المعركة كان أبو بكر قد توفي وتولى الخلافة بدلاً منه عمر بن الخطاب الذي أرسل خطاباً ، عزل به خالد وولى مكانه أبا عبيدة . ولما قرأ خالد الخطاب أخفاه حتى لاتهن قوى المسلمين جزعاً لموت أبي بكر ، وابقاه حتى نهاية المعركة بالنصر ، فأعطاه أبو عبيدة وعمل معه جندياً عادياً . ولم يكن عزل عمر لخالد عن وإنما كان ذلك خوفاً من افتتان المسلمين به ، لما كان لخالد من المكانة في نفوس الجند لشجاعته وانتصاره في جميع الوقائع التي شهدها . أضف

Marfat.com

إلى ذلك ما كان يراه عمر في خـــالد من الشدة والقسوة على الأعـــداء خصوصاً في حرب الردة .

٥ — جمع القرآن الكريم :

في عهد أبي بكر جمع القرآن الكريم وكتب كله في مصحف تجمع سـوره كلها لأول مرة في التاريخ الإسلامي ، وذلك لكثرة من استشهـدوا ممن كانوا يحفظون القرآن في المعارك والحروب .

ولقد توفي أبو بكر سنة ١٣ هـ . وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثـة أشهر . ودفن في بيت عائشة بجوار قـبر الرسول على يساره وعمره وقت وفاته ٦٣ سنة .

عمر بن الخطاب (١٣ ــ ٢٣ هـ)

كانت جنود المسلمين في فـــارس والشام ، فخاف أبو بكر وهو في مرضه ، إن ترك الأمر شورى للناس أن يختلفوا وتنشب الفتنـــة فتحل بالمقاتلين الهزيمة ، فلكي يتحاشى ذلك ، عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب فدعا عثمان بن عفان وأملى عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد بـه أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمـين . أما بعد ، فإني قـــد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . . . فإن صبر وعدل فذلك علمي بـه ، وإن جـار وبدل فلا علم لي بالغيب » . ثم أشرف على جموع النـــاس المحتشدة في المسجد وقال لهم : أترضون بمن استخلف عليـــكم ؟ قالوا : « سمعنا وأطعنا » .

نسبه : هو عمر بن الخطاب بن نفيل ، يجتمع مـــع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد السابع من جهة أبيه وفي الجد السادس من جهة أمه . وكنيته أبو حفص ، وهو أصغر من النبي بثلاث عشرة سنة .

Marfat.com

صفاتـه : كان عمر جريئاً في الحق . صريحاً . حضر مع الرسول غزواته كلها . وكان راجح الرأي ، فكثيراً ما وافق رأيه القرآن الكريم فيما **يشير به على الرسول . وله الفضل في الإسراع ببيعة أبي بكر ، فأنقذ المسلمين من الخلاف .**

فتوحـاته :

١ – فتح العراق وفارس :

تولى ملك فارس يزدجرد الثالث وهو شاب حدث ، فوحد صفوف الفرس وجمع شملهم واستطاع أن يجهز لقتـال العرب جيشاً عرمرماً يبلغ عدده أكثر من مائة ألف محارب تحت قيادة رستم القائد الفارسي الشهير .

ولمـا سـمع الخليفـة عمـر بالاستعدادات الهائلة التي قـام بهـا الفرس **للقضاء على الجيوش العربية ، استنفر العرب لقتال الفرس** ومجنة المدينة **فتوافدوا عليه أفواجاً إلى المدينة . ولما اكتمل عقدهم حوالي عشرين ألفاً أراد أن يخرج بهم لملاقاة الفرس ولكن الناس أشاروا عليه بأن يولي قائداً عاماً على المحاربين ، وأن يبقى هو بالمدينة ليجهز الجيوش ويوالي المسلمين بالنجدات . فاختار سعد بن أبي وقاص لهذه المهمة .**

القادسية : سار سعد بجيوشه والنجدات تلحق به حتى نزل القادسية **في سنة ١٥ هـ . (٦٣٦ م)** وهي مكان قريب من الكوفة . ووافاه **اليها رستم قائد الفرس . فدعاه سعد إلى واحدة من ثلاث : الإسـلام أو الجزية أو الحرب . فاختار الفارسي الأخيرة . وتصادم الجيشان في معركة هائلة أخذ النصر يتأرجح فيها مدة أربعة أيام جاءت في نهايتها بالنصر المسلمين .**

وقد استشهد في هذه المعركة عدد كبير من المسلمين يبلغ نحو ألف
أما الفرس فقد قتل منهم حوالى ثلاثين ألفاً من بينهم رستم القائد الشهير

Marfat.com

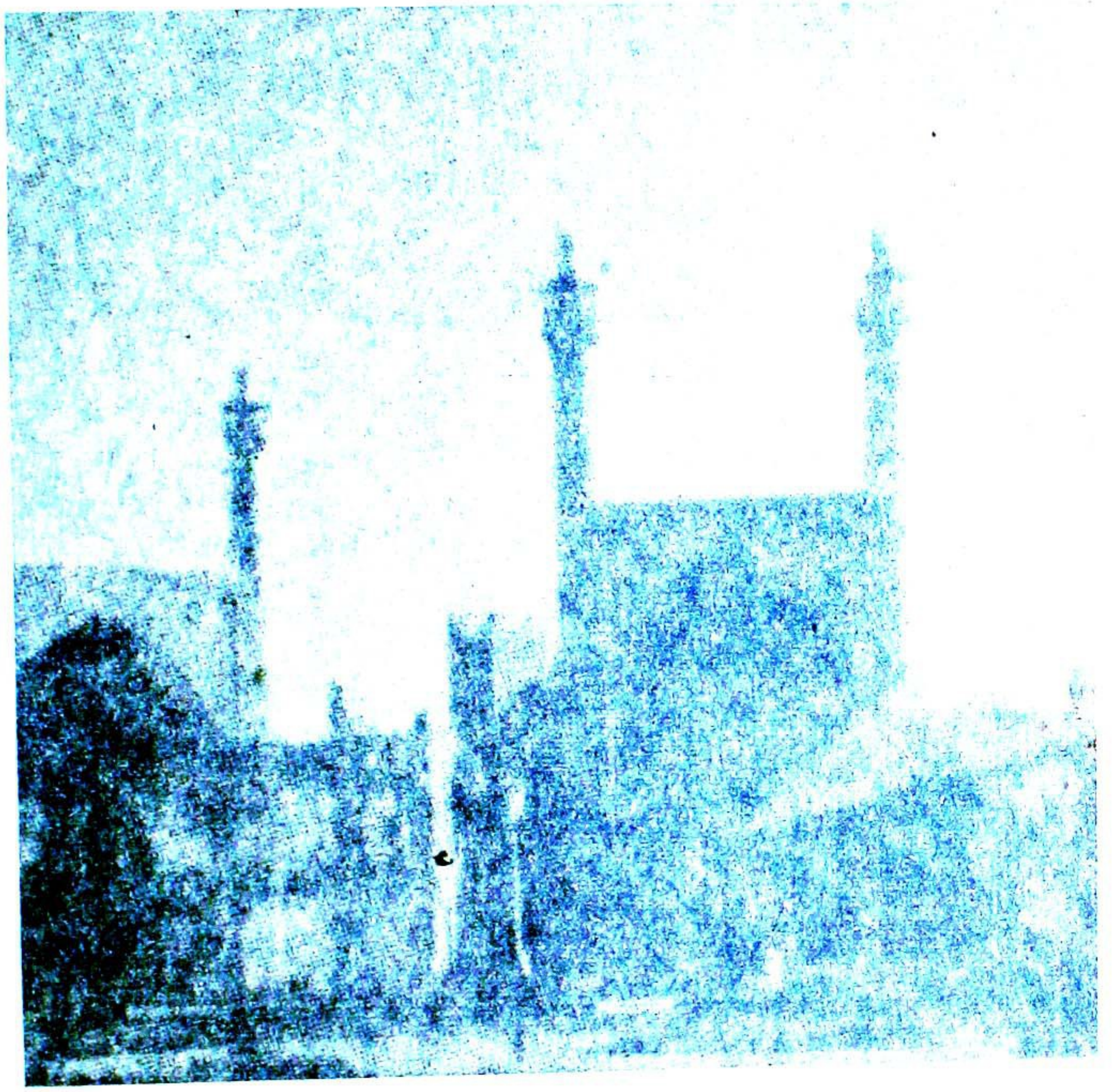

مسجد بأصفهان بإيران

Marfat.com

وقد أظهر فيها المسلمون من صنوف البطولة والصبر وسرعة التخطيط العسكري ما خلد أسماءهم في سجل التاريخ • ومما يذكر أنه كان للخنساء أربعة أولاد اشتركوا في هذه المعركة واستشهدوا جميعهم فلما علمت الخنساء بذلك قالت : « الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم • »

المدائن : بعد أن استراح سعد بالقادسية مدة شهرين سار ميمما شطر المدائن وكانت هي عاصمة الفرس فدخلها بعد أن فر يزدجرد وأهله وخلفوا فيها أموالاً عظيمة ، كانت كلها غنيمة للمسلمين ونزل سعد القصر الأبيض المعروف « بطاق كسرى » وهو يقول : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين » .

نهاوند (فتح الفتوح) سنة ٢١ هـ : استعد الفرس لمهاجمة العرب بجيش يبلغ عدده مايقرب من مائة وخمسين ألفاً ، فأرسل اليهم الخليفة عمر بجيش يبلغ عدده ثلاثين ألفاً بقيادة النعمان بن مقرن . وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة الفرس هزيمة ساحقة برغم تفوقهم في العدد . وقد سمى العرب هذه الموقعة « فتح الفتوح » لأنه لم يكن بعدها لليوس

وبعد ذلك توجهت الجيوش للاستيلاء على بقية بلاد فارس فتم ذلك في ذلك واستولوا على أرمينيا العليا وغيرها . وهكذا تحققت دعوة النبي فمزق الله ملك كسرى كما مزق كسرى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم

٢ - فتح الشام :

عرفنا أنه حدثت موقعة اليرموك في أوا عهد عمر بن الخطاب ولقد فر هرقل بعد هذه الموقعة إلى حمص المسلمين بفتح دمشق اولاً فحاصروها سبعة الاسوار يحيط بها خندق مملوء بالماء ، و إحدى الليالي من تسلق أسوار المدينة و عنوة ، ولكن الروم المحصورين حينما أمر

Marfat.com

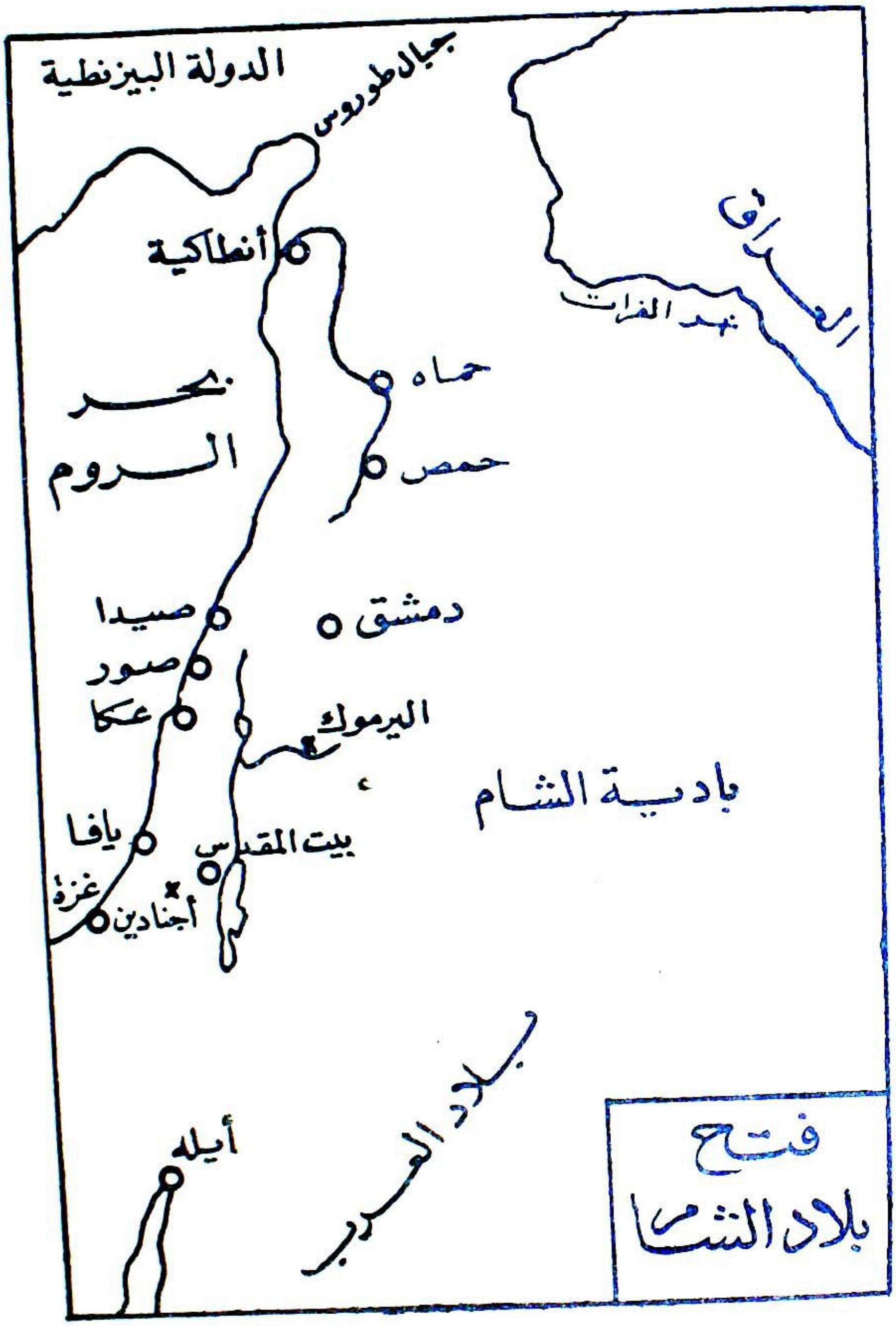
الدولة البيزنطية
جبال طوروس
أنطاكية
العراق
نهر الفرات
حماه
حمص
بحر الروم
دمشق
صيدا
صور
عكا
اليرموك
بادية الشام
يافا
بيت المقدس
غزة
أجنادين
بلاد العرب
أيله
فتح بلاد الشام

Marfat.com

الذي كان يحاصره أبو عبيدة وعرضوا عليه الصلح على أن يقاسموه أموالهم ، وكان لايدري بدخول خالد من الجانب الثاني ، فرضي بالصلح .

ثم زحف المسلمون نحو حمص وحماه فصالحهم أهلها على الجزية ثم سار خالد إلى قنسرين فالتقى بأعظم قواد الرومان وكان يدعى ميناس فقتله وهزم جيشه شر هزيمة ، وحاصر قنسرين فصالحه أهلها . ثم اتجه إلى حلب ففتحها بعد حصار شديد . ثم ظل الجيش العربي يواصل فتوحاته حتى وصل مدينة انطاكية وكانت أعظم مدن الشام على عهدها ، فحاصرها المسلمون أياماً ثم فتحوها .

٣ – فتح فلسطين :

فتحت مدن فلسطين الساحلية على يد معاوية ، ومدنها الداخلية على يد عمرو بن العاص . ولم تستعص عليه غير القدس وكانت حصينة جداً فحاصرها عمرو . ولما يئس أهلها من إمداد هرقل لهم بينما تزداد وطأة الحصار شدة ، رغبوا في الصلح على شرط أن يعقد مع الخليفة نفسه ، فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى الخليفة فحضر بنفسه وذهب إلى القدس سنة ١٨ هـ . حيث استقبله بطريقها بالترحيب والاجلال فصالح أهلها على جزية معلومة وأعطى أهلها الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم فلا يكرهون على دينهم ولا يسكن معهم اليهود ، .وعليهم أن يعطوا الجزية . وزار عمر بيت المقدس وكنيسة القيامة ورأى في موضع هيكل سليمان كومة من الأوساخ فأمر بإزالتها وصلى هناك وأمر بأن يبنى عليه مسجد ، وما يزال هذا المسجد إلى اليوم في مدينة القدس .

٥ – فتح مصر :

استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر في أن يفتح مصر ، لأنه كان

Marfat.com

عالماً بها وبأحوالها منذ أن كان يذهب إليها بالتجارة . فأذن له الخليفة

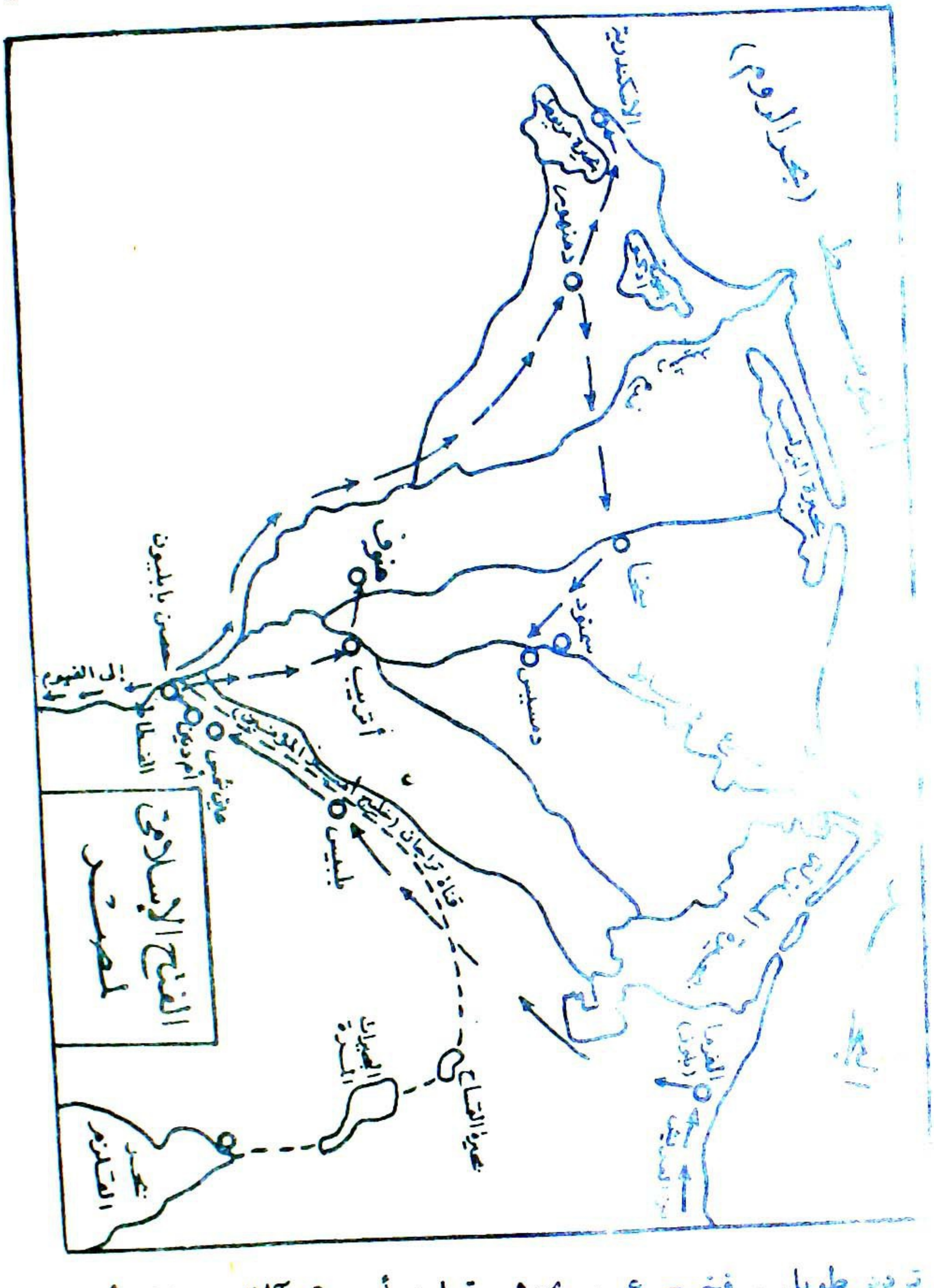
الفسطاط
بلبيس
قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر
بحيرة التمساح
الفرما
الفيوم
الفرما
الفسطاط
الفيوم
الفرما
الفسطاط
الفيوم
الفرما
الفسطاط

وتم له فتح مصر ، وقد ساعده الأقباط على ذلك .

وكانت مصر ولاية رومانية يسوم الرومان أهلها سوء العذاب من كثرة الضرائب والاضطهاد الديني ، لذلك مـــا كاد المصريون يسمعون بالاســـلام والمسلمين حتى رحبوا بهم ، لأنهم رأوا فيهم المنقذ من اضطهاد الروم .

هذا ولما صارت مصر ولاية إسلاميـــة ألغى المسلمون الضرائب التي كان يجبيها الرومان ، وفرضوا بدلها الجزية ، وترك للأقبـــاط حرية دينية بعد أن كان يضطهدهم الرومان ، واهتم عمرو بن العاص بالزراعـــة والري فجـــدد حفر القناة التي كانت تربط النيل بالبحر الأحمر وسماهـــا خليج أمير المؤمنين ، وبنى عمرو مدينة الفسطاط (وتوجد في مكانهـــا الآن مصر القديمة أحد أحياء القاهرة الآن) وبنى بها جامعاً كبيراً مـــا زال موجوداً إلى الآن في مصر ، وقـــد ازدهرت مصر بفضل الحـــكم الإسلامي العادل ، ازدهاراً لم تكن تحلم به من قبل .

أصلاحات عمر (رض)

١ — جعل بدء التاريـــخ العربي من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجعل رأس السنة يبدأ من أول المحرم .

٢ — عين القضاة للفصل في الخصومات وجعلهم مستقلين عن الولاة .

٣ — كان يولي أعف الناس وأقدرهم على الإدارة ، وكان يحصي ثروا[illegible] عند توليتهم .

٤ — لما اتسعت الدولة الإسلامية عمل على تنظيمها بإنشاء :

(ا) ديوان الجند ، وفيه يسجل أسماء السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والمحـــاربين ، وصنفهم بحسب سابقتهم [illegible] للدولة ، ليوزع عليهم نصيبهم من الغنائم والأر[illegible]

(ب) ديوان بيت المال ، لاحصاء الأموال التي ترد على الخزينة

Marfat.com

من أموال الصدقات والغنائم والجزية والخراج وغيره .
(ح) أسس البريد لنقل أوامر الخليفة لعماله بأسرع مايمكن .
(د) أنشأ دار الحسبة (وهي تشبه البلدية في الوقت الحاضر) لمراقبة المكاييل والموازين ، ولقمع الغش في البيع والشراء ، ولمراقبة نظافة المدن ، ومنع الناس من تحميل الحيوان ما لا يطيق .
(هـ) ونظراً للإقبال على اعتناق الإسلام ، أرسل عمر المرشدين إلى الاقطار المفتوحة لتعليم الرجال والنساء القرآن وفروض الدين.

وفاته : حقد عليه غلام فارسي للمغيرة بن شعبة اسمه : فيروز ولقبه أبو لؤلؤة المجوسي ، فكمن له وهو يصلي الصبح ، وضربه ست ضربات فسقط ثم حملوه إلى داره . فسأل عمن ضربه فذكروا له فيروز . فقال : « الحمد لله إذ لم يقتلني رجل سجد لله سجدة » ، وتوفي سنة ٢٣ هـ ودفن في حجرة عائشة مع صاحبيه . وكانت مدة خلافته عشر سنوات وستة أشهر ، وسنه ثلاث وستون سنة .

عثمان بن عفان

انتخابه : عهد عمر إلى الستة المبشرين بالجنة والذين مات الرسول وهو عنهم راض ، بأن ينتخبوا واحداً منهم . والستة هم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله وقد انتخب عثمان بن عفان من بين هؤلاء الستة .

نسبه : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ،

Marfat.com

ولد في السنة الخامسة من ميلاد الرسول عليه السلام . وكان ليناً حيياً عفيفاً ، أسلم على يد أبي بكر . وزوجه الرسول بنتيه واحدة بعد الأخرى ، ولذا يلقب « ذا النورين » . حضر مع رسول الله غزواته ، ماعدا بدر . وكان له في غزوة تبوك اليد البيضاء في تبرعه للجيش ، وكان أحد كتاب الوحي .

أعماله :

الفتوحات : في عهده فتحت طبرستان وتغلغل المسلمون في البلاد التركية وأتموا فتح البلاد الفارسية حتى « كابل » وفي تلك الأثناء قتل يزدجرد الثالث وانقرضت بقتله الدولة الساسانية سنة ٣١ هـ .

وفي عهده أصبح معاوية والياً على الشام كلها ، فغزا الروم وتغلغل في بلادهم حتى عمورية ، وتوغل في القوقاز حتى تفليس . وفتح الأسطول الإسلامي جزيرتي قبرص ورودس .

موقعة ذات الصواري عام ٣٤ هـ (٦٥٥ م) : هاجم أسطول الروم وكان مكوناً مما لايقل عن ستمائة سفينة حربية — أسطول المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح والي مصر ، ومعاوية والي الشام ونشبت بين الأسطولين الرومي والإسلامي معركة هائلة انتصر فيها المسلمون واستولوا من الأسطول الرومي على مراكب عظيمة . وبذلك أصبح العرب سادة البحر المتوسط وجعلوا منه بحيرة عربية .

غزو أفريقية : تجهز عبد الله بن سعد بن أبي السرح لغزو أفريقية فسار من مصر لفتح طرابس الغرب ، وأرسل عثمان مدداً من المدينة فيه عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهما وتحاربوا مع جرجير والي أفريقية الروماني إلى أن قتلوه وملكوا المغرب الأوسط وغنموا

(دراسات في التاريخ الإسلامي م٢/٤)

Marfat.com

غنائم كثيرة .

صفاته : كان عثمان رضي الله عنه تقياً ورعاً ، طيب النفس ، حليماً متواضعاً ، وكان غنياً جواداً فقد جهز جيش العسرة بالمال والابل والأفراس ، واشترى بئر رومة . وكان صادق الحياء ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال عنه : « ان الملائكة لتستحي من عثمان . »

مقتل عثمان : حدثت فتنة كان من نتائجها قتل عثمان رضي الله عنه في شهر ذي الحجة من سنة ٣٥ هجرية .

وقد كانت هذه الفتنه شراً ووبالا لأنهـا جرت في أعقابهـا مآسي داميـة كان لها أثر كبير في تفريق كلمة المسلمين وضعفهم بعد ان كانوا صفاً واحداً .

علي بن أبي طالب (٢٥ ــ ٤٠ هـ)

انتخابه : لما قتل عثمان ، عرض الصحابة على (علي) أن يتولى الخلافة ولكنه امتنع مراراً ، ثم اضطر إلى إجابتهم إلى طلبهم لمصلحة الأمة . ولكن بعض المهاجرين والأنصار امتنعوا عن البيعة له ، وذهب جماعة منهم إلى مكة ، وجماعة منهم إلى الشام .

نسبه : هو علي بن أبي طالب ، ابن عم الرسول . ولد قبل الهجرة بإحدى وعشرين سنة . وقد ربي في بيت الرسول ، وكان أول من أجابه إلى الإسلام من الأولاد ، وقد قدم نفسه فداءً للرسول بمبيته في فراشه ليلة الهجرة ، وهو زوج فاطمة بنت الرسول التي من ذريتها اتصل نسل النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد شهد المواقع كلها إلا تبوك فإن الرسول استبقاه بالمدينة قائلاً له : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى .

Marfat.com

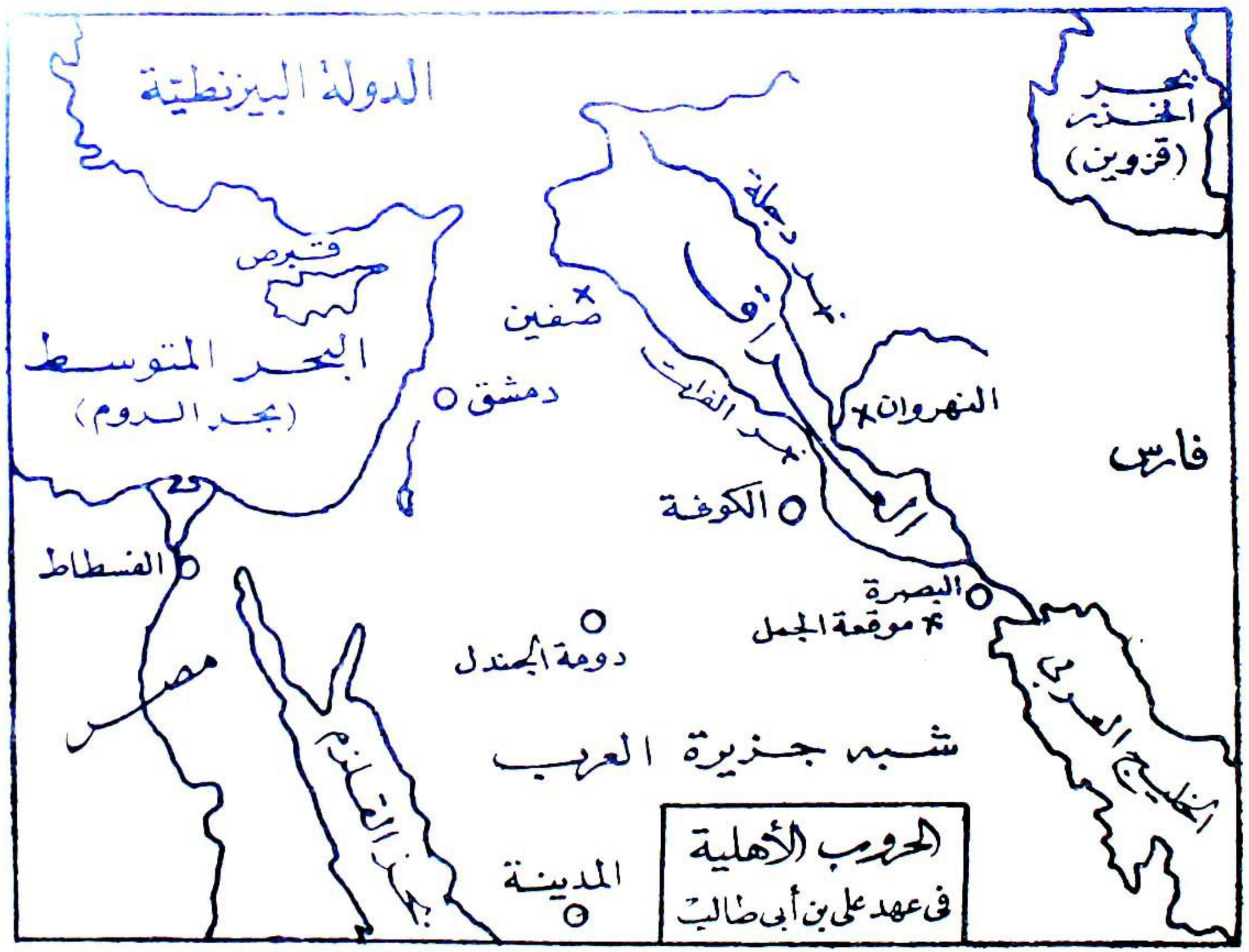
الدولة البيزنطية
بحر الخزر (قزوين)
قبرص
البحر المتوسط (بحر الروم)
صفين
دمشق
النهروان
فارس
الكوفة
الفسطاط
البصرة
موقعة الجمل
دومة الجندل
مصر
شبه جزيرة العرب
الخليج العربي
المدينة
الحروب الأهلية
في عهد علي بن أبي طالب

Marfat.com

أعماله : موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ :

لكي يقضي على شكوى أهل الأمصار . قام بعزل جميع الولاة الذين ولاهم عثمان . وكان أعظم هؤلاء الولاة شأناً معاوية بن أبي سفيان ، الذي جاهر بالمطالبة بدم عثمان . وبينما علي يستعد لقمع حركة العصيان ، ظهرت حركة في مكة للمطالبة بدم عثمان ، وخرج القائمون بتلك الحركة يريدون البصرة . فجهز عليّ جيشاً لردع الثوار وسار بنفسه على رأس الجيش إلى البصرة . ولما وصل إلى البصرة أرسل إلى الثوار من أقنعهم بأنه آخذ في معاقبة القتلة على ما اقترفوا ، وكاد الصلح أن يتم لولا أن (ابن سبأ) وقتلة عثمان خشوا على أنفسهم من القصاص وأوقدوا نار الحرب . وقتل في هذه المعركة الزبير وطلحة وابنه ، وقد سميت هذه الموقعة موقعة الجمل (عام ٣٦ هـ) لأن عائشة أم المؤمنين كانت تركب جملاً والبغال تحيط بها من كل جانب ، وبعد انتهاء المعركة أرسل علي عائشة معززة مكرمة إلى المدينة ومعها ابناه الحسن والحسين لحراستها .

موقعة صفين سنة ٣٧ هـ : تأهب عليّ للقضاء على العصاة وعلى رأسهم معاوية الذي جمع جند الشام ، والتقى الجيشان في صفين ، وبعد ثلاثة أيام خذل جيش الشام وكاد يركن إلى الفرار ، لولا أن أشار عمرو بن العاص على معاوية أن يرفع المصاحف على الرماح إشارة إلى طلب تحكيم القرآن . وكان من رأي علي أن تلك خدعة ، ولكن قادة جيشه طلبوا منه أن يقبل التحكيم ، واختاروا أبا موسى الأشعري حكماً له . أما معاوية : فقد اختار عمرو بن العاص .

وقد انقسم جيش علي بعد صفين إلى قسمين ، قسم يقول : إن علياً أحسن بقبوله التحكيم ، وقسم يقول : إنه أخطأ ، ولذلك فقد خرجوا عن طاعته وسموا بالخوارج .

Marfat.com

نتيجة التحكيم : تقدم أبو موسى الأشعري وصرح قائلاً : « أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها من أن نخلع علياً ومعاوية ونرد الأمر شورى ، فالتمسوا من هو أهل للخلافة » . وقال عمرو : « إن هذا قد خلع صاحبه ، وأنا أخلعه وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان وأحق الناس بمقامه » . فحصلت ضجة شديدة وأوشك الناس أن يثوروا . وهكذا لم يكن للتحكيم فائدة بل كانت نتيجته انقسام المسلمين .

موقعة النهروان سنة ٣٨ هـ : بلغ عـــدد من خرجوا على علي بعد صفين اثني عشر ألفاً ، اتخذوا خليفة من بينهم هو عبد الله بن وهب ، وكانوا يقولون بخطأ علي في قبوله التحكيم ، كما أنهم كانوا خارجين على كل ذي سلطة وكان شعارهم « لاحـكم إلا لله » وقد اختاروا حروراء من أعمال الكوفة مقراً لهم . ولما جمع علي جيشه بعد التحكيم يريد قتال معاوية ، رأى أن الخوارج يشكلون خطراً عليه لأنهم كانوا يقتلون من وقع بأيديهم من شيعة علي ، فأرسل علي اليهم عبدالله بن عبـــاس ليفاوضهم ، فناقشهم وأقنع كثيراً منهم بحجته ، فرجع بعضهم عن رأيه وانضـم الى جيش علي ، وامتنع آخرون . فسار علي اليهم بجيشه ، ولمـــا التقى بهم نصحهـــم بخطبه البليغة وحثهم على الاتحاد ، فتمكن من إقناع قسم قليل منهم التحقوا بجيشه ، واضطر كارهاً إلى مقاتلة العاصين ، فقتل خليفتهم وتفرق الباقون في البلاد ، وتعرف هذه الموقعة بموقعة النهروان .

مقتل علي بن أبي طالب :

بينما كان علي يجهز نفسه ويحث جيشه على الاستعداد لقتال جيش معاوية ، اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم : عبد الرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر ، واتفقوا على أن ينتقموا من الرؤساء وهم : علي ومعـاوية وعمرو . فأما عبد الرحمن بن ملجم فإنه انتدب نفسه لقتل علي ، والبرك لقتل معاوية ، وعمرو لقتل عمرو بن العاص ،

Marfat.com

وتواعدوا على أن ينفذوا كل ذلك في يوم واحد . وفي اليـــوم الموعود خرج ثلاثتهم ، فجرح ابن ملجم علياً وهو خارج لصلاة الصبـــح • وتـوفي يوم الأحد ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ • وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسـعة أشهر ، وكانت سنة ثلاثاً وستين سنة قضاها في حروب ونضال •

التنظيم السياسي والإداري في عهد الخلفاء الراشدين

١ – التنظيم السياسي :

تكون الولاية في الاسلام تارة بالبيعة والاختيار ، وتارة بأن يختار الخليفـة السابق ولياً على المسلمين مثل اختيار أبي بكر لعمر • وتارة تكون بالشـورى لعدد محصور من ذوي الحل والعقد كما في ولاية عثمان • وتكون تارة بولاية العهد مثل تولية معاوية لابنه يزيد من بعده • وتارة تكون بالقهر والغلبـــة • ويرى الفقهاء لزوم الطاعة للخليفة في كل هذه الحالات •

وكان يعاون الخليفة كبار الصحابة كلٌ في شأن من شؤون الأمة ؛ فمثلاً كان عمر يتولى شؤون القضاء على عهد أبي بكر ، وكان علي هو كاتم السر والمتولي لشؤون الأسرى وفديتهم .

ولقد ظل أبو بكر لايتناول أجراً على توليه الخلافة لمدة ستة أشهر ؛ لأنه كان يشتغل بالتجارة ، ولكنه رأى أن يترك التجارة ليتفرغ لشؤون المسلمين ، ويكون له من بيت المال ما يكفيه •

٢ – التنظيم الإداري :

كان الخليفة هو الرئيس الأعـلى للمســلمين ، وهو يعتــبر مســؤولا عن جميـــع أمورهم ، وكان هو الـــذي يســـير الجيوش ويوجههـــا ، وكان هو الذي تجبى إليه الأموال والغنائم والجزية ، وكان هو الذي

Marfat.com

يتولى التصرف في هذه الأموال ، وهو الذي يعين الولاة ويعزلهم .

(أ) الجند : لم يكن هناك نظام خاص للتجنيد كالمعروف الآن ، وإنما كان يذهب للقتال كل قادر على حمل السلاح مدفوعاً بعاطفته الدينية . وفي أيام أبي بكر لم يكن للجندي راتب ، وإنما كان نصيبه من الغنائم الحربية التي كان يرسل الخُمس منها إلى بيت المال . ولما جاء عمر أنشأ ديوان الجند وجعل لهم رواتب .

(ب) بيت المال : وإليه كانت ترد الأموال من الصدقات والغنائم والجزية والخراج وغيره ، وكانت دواوين الأقطار المفتوحة تكتب بلغات أقوامها . ففي العراق كانت تستعمل اللغة الفارسية ، وفي الشام اليونانية وفي مصر القبطية .

(حـ) القضاء : كان القضاء على عهد أبي بكر في يد الأمير ، ولكن لما جاء عمر فصل القضاء عن الأمراء (الولاة) وصار يعين قضاة للفصل في الخصومات بين الناس ، وجعل عمر القضاة مستقلين عن الولاة .

وكان الخلفاء يهتمون بالبريد ، فوضع عمر نظاماً منتظماً به تسير المواصلات وأنشأ دار الحسبة وكان يرسل المرشدين إلى الأقطار ليعلموا الناس شؤون دينهم ، وكان عمر بن الخطاب يراقب ولاته في أعمالهم ونصّب محمد بن سلمة لذلك .

وخلاصة القول : إن العرب بعد أن توسعت دولتهم ارتقى نظامهم وذكاؤهم . وكان لهم من دين الإسلام وتعاليمه خير هاد ومرشد ، فوطدوا أسس العدل وحافظوا على مصالح الأشخاص ، وجلبوا الأمن والطمأنينة بين الناس ، ونشروا روح الأخوة والعدل بين جميع الناس ، وكثيراً من الأمم المغلوبة يدخلون في دين الله أفواجاً ، ويتجردون بالف

Marfat.com

العربية . وقد قرر هذه الحقيقة جميع المؤرخين حتى قال أحد مؤرخي الافرنج:
« ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » .

أسئلة

١ — لماذا ارتدت بعض القبائل عن الإسلام بعد موت الرسول ؟ ومن هو الخليفة الذي قضى على حركة المرتدين وكيف تمكن من ذلك ؟

٢ — إشرح كيف انتقلت الخلافة من خليفة إلى آخر حتى قيام الدولة الأموية .

٣ — أرسم خريطة فتوح العرب أيام عمر بن الخطاب وحدد على الرسم أشهر موقعتين في كل من حرب العرب مع الفرس وحربهم مع الروم .

٤ — « كان لانتصار عمرو بن العاص على الروم في مصر أسباب ونتائج »
ا — أذكر الأسباب التي ساعدت العرب على الفتح .
ب — بيّن نتائج الفتح الخالدة إلى يومنا هذا .

٥ — وضع عمر الأسس لتوطيد سلطان الدولة الإسلامية وذلك بتنظيم دواوينها فما الذي عمله في هذا السبيل ؟

٦ — كيف ولي عثمان بن عفان الخلافة ؟ وما الفتوح التي تمت في عهده .

٧ — أكتب مذكرات مختصرة عن :
موقعة اليرموك — غزوة الخندق — موقعة صفين — موقعة القادسية

٨ — ما الذي ساعد العرب على التوسع حتى كونوا امبراطورية كبيرة ؟

Marfat.com

Marfat.com

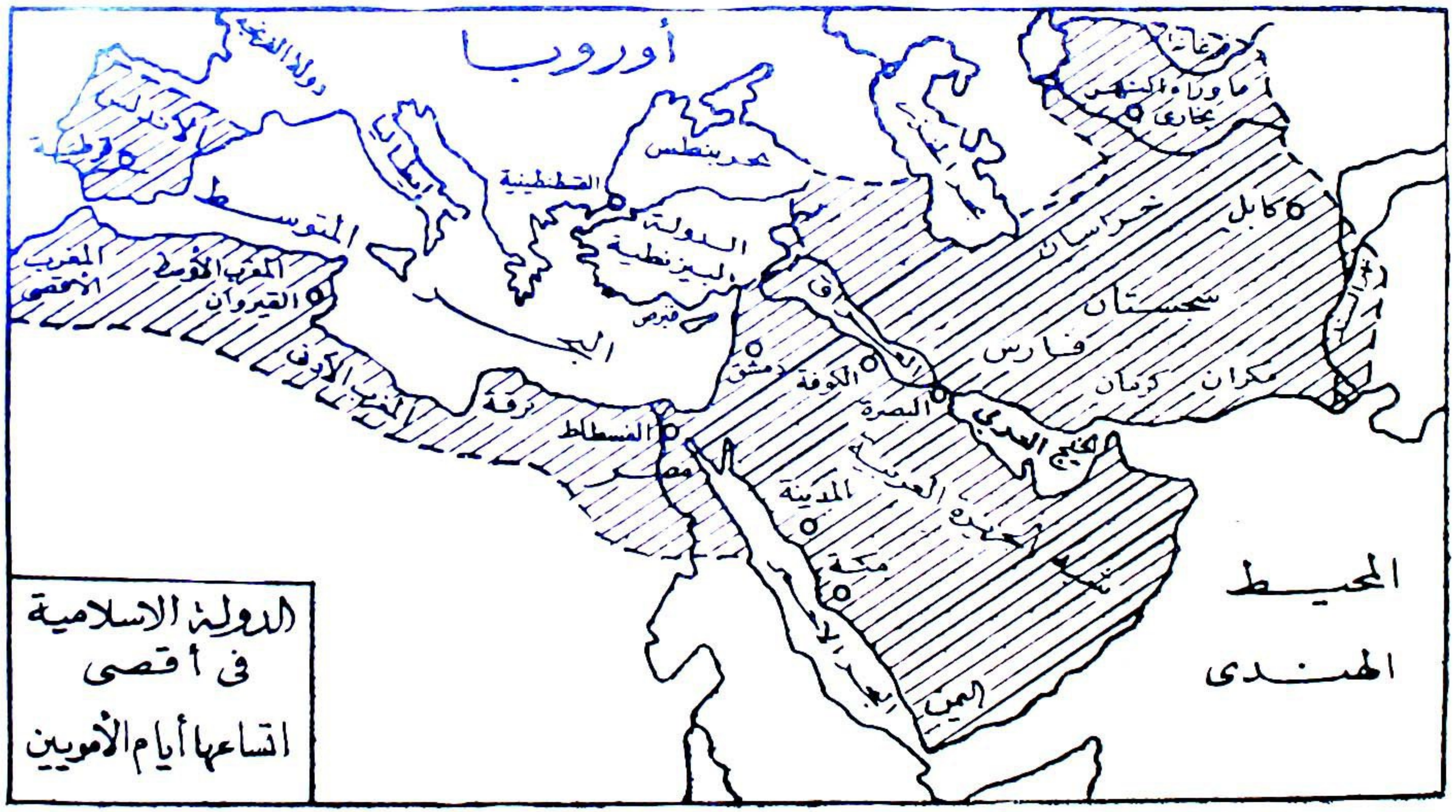
أوروبا
بحر بنطس
القسطنطينية
الدولة البيزنطية
قبرص
البحر
المتوسط
المغرب المغرب الأوسط القيروان
الأندلس
دولة القوط
الأرياف
برقة
الفسطاط
مصر
دمشق
الكوفة
البصرة
الخليج العربي
المدينة
مكة
البحر الأحمر
اليمن
المحيط الهندي
ما وراء النهر بخارى
خراسان
كابل
سجستان
فارس
مكران
كرمان
الدولة الاسلامية في أقصى اتساعها أيام الأمويين

الباب الرابع

الدولة الأموية

٤٠ - ١٣٢ هـ ، ٦٦١ - ٧٥٠ م.

اتساع رقعة الاسلام في زمنها ـ مدتها

أسباب تدهور الدولة الأموية

تأسيس الدولة الاموية :

على أثر الفتن التي انتهت بمقتل عثمان بن عفان انقسم المسلمون إلى طوائف : فريق بايع علياً بن أبي طالب بالخلافة ، وفريق أنكر على علي قبوله قتلة عثمان في جيشه ، فلم يبايعه ، وأنكر عليه البيعة ، وفريق نادى بأخذ الثأر لدم عثمان ، وفريق آخر وقف على الحياد ، ولم يرض أن ينغمس في الفتنة حتى لاتزداد النار اشتعالاً . ولم تنجح جميع المحاولات التي بذلت لحل الخلاف بينهم سلمياً ، فحدثت حرب أهلية بين أتباع هذه الفرق سفكت فيها دماء المسلمين فقد أصر علي على عزل ولاة عثمان ، وتمسك معاوية بولاية الشام والمطالبة بدم عثمان ، ونادت عائشة أم المؤمنين بقولها : إن عثمان قتل مظلوماً وإن ه الأمر لايستقيم ولهذه الفوغاء أمر ، فاطلبوا دم عثمان تعزوا الإسلام » . وقد أيدها طلحة والزبير واحتكم الجميع إلى السيف وإلى كثرة الأتباع ، وحدثت موقعة الجمل التي انتصر فيها علي ، وكاد علي أن ينتصر على معاويـــة في معركة صفين لولا حيلة عمرو بن العاص برفع المصـاحف ، إشارة إلى الاحتكام إلى كتاب الله ، وبعد ذلك : اتفق المسلمون على تحكيم الحكمين فإذا بهذا الاتفاق ، بدلاً من أن يوحـد آراء المسلمين ويجمع كلمتهم ، يخلق فرقة جديـدة تناوىء كلاً من علي ومعاوية ، وهي فرقة الخوارج ، فيضطر علي إلى حربهم على عجل ، ويصبح في البلاد خليفتان : علي ومعاوية . ثم يُقتل علي ويتنازل ابنه الحسن عن الخلافة وتجتمع كلمة المسلمين على معاوية .

Marfat.com

ثم تعرض لمعاوية فكرة ولاية العهد فيأخذ البيعة لابنه يزيد من بعده بالترغيب والترهيب ، فيكون ابنه أول خليفة ورث الخلافة عن أبيه ، ويكونان أول شخصين في الإسلام يحكمان من عائلة واحدة ، وتسير هذه القاعدة رغم ممانعة المسلمين لها في ذلك الوقت ، ومطالبة الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير من بعده بالخلافة . وهكذا حافظ أحفاد أمية على مركز الخلافة إلى أن قضى العباسيون على سلطانهم .

الأمويون :

ينتسب الامويون الى أمية بن عبد شمس الذي كان في الجاهلية سيدا من سادات قريش معادلاً عمه هاشم في الشرف ، ويفوقه في كثرة المال والأولاد ، فكان البيت الأموي والبيت الهاشمي يتنافسان رياسة قريش . فلما ظهرت النبوة في البيت الهاشمي كان الهاشميون أسبق من الأمويين إلى الدخول في الإسلام ومناصرة الرسول في الجهاد ، فسابقوا [illegible] الأمة ، ومنهم علي بن أبي طالب وإخوته وعمه العباس . أما بنو أمية فلم يناصر الرسول منهم إلا عدد قليل . وكان أكثرهم يقاوم الرسالة ، وكان قائدهم أبا سفيان بن حرب الذي لم يرضخ للرسول حتى فتح مكة حيث أسلم هو وباقي الأمويين ، وهكذا فإنهم لم يتساووا مع الهاشميين في شرف السبق إلى الإسلام ونصرته ، على أنهم تلافوا ماضاتهم [illegible] الشام . ولما صار معاوية والياً على الشام اجتذب قلوب الجند والرعية بالكرم والحلم ، فصار له حزب كبير جداً في [illegible] أن يظفر بالخلافة كما سبق بيانه .

معاوية بن أبي سفيان (٤٠ — [illegible] ، ٦٦٠ — [illegible] م)

هو مؤسس الدولة الأموية ، ولد بمكة قبل [illegible] وأسلم بعد فتح مكة هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند .

Marfat.com

يومئذ ٢٣ سنة واتخذه الرسول كاتباً للوحي وولاه عمر جزءاً من الشام ، وولاه عثمان الشام كلها إبان خلافته ، ثم استقل بهذه البلاد بعد مقتل عثمان ، ونقل الخلافة إلى دمشق بعد أن استتب له الأمر .

الفتوحات في عهده :

قام معاوية بتكوين أسطول اسلامي عظيم وزوده بالسفن والملاحين،وعمل على تقوية الجيوش الإسلامية ، وأوجد نظاماً سمي ، نظام الشواتي والصوائف ، وهي فرق من الجند تعمل في الصيف وفي الشتاء على حدود الدولة العربية لتحميها من غارات الأعداء وتهاجم بلادهم بين الفينة والفينة لتثبت قوة المسلمين واستعدادهم الدائم للغزو والقتال . وقد وجه جيوشه الفتية هذه وأسطوله للعمل في سبيل نشر الإسلام . وفيما يلي بعض الجهات التي قامت الجيوش الإسلامية بفتوحاتها :

١ — غزو بلاد السند : كان المسلمون قد وصلوا أيام عمر شرقاً إلى مايقارب حدود أفغانستان الحالية . وكان بعض أهالي هذه البلاد الشرقية الوثنيين عبدة النار قد نكصوا عن ولائهم للمسلمين أثناء الحرب بين علي ومعاوية . فأمر معاوية بإخضاعهم وإعادتهم لسلطان المسلمين ، وقد تم ذلك على يدي المهلب بن أبي صفرة الذي وصل إلى مدينة لاهور ، ولا يزال الإسلام باقياً إلى الآن بتلك الجهات المعروفة حالياً « بدولة الباكستان » .

٢ — هذا وقد أرغلت الجيوش الإسلامية في خراسان ، ودخلت

Marfat.com

بخارى وسمرقند واستولت على تلك البلاد بعد قتال عنيف .

٣ – غزو القسطنطينية : وجه معاوية عنايته للإكثار من عدد السفن الحربية – وساعده على ذلك غابات لبنان – حتى بلغ عددها ١٧٠٠ سفينة كاملة العدد . ففتح أولاً جزيرة رودس وجعلها مقراً لأسطوله بعد جزيرة قبرص ، وأخذت القوى البحرية تهاجم ثغور الروم فترهبهم . وفي سنة ٤٨ هـ . جهز معاوية جيشاً افتتح القسطنطينية براً وبحراً بقيادة (سفيان بن عوف) فساروا حتى بلغوا أسوار القسطنطينية ، فاقتتل المسلمون والروم قتالاً عنيفاً ولم يستطع جيش المسلمين فتح المدينة (١) ، لمتانة أسوارها ومناعة موقعها وفتك النار الإغريقية بسفن العرب ، مما اضطرهم للعودة إلى الشام بعد أن فقدوا كثيراً من سفنهم وجندهم .

٤ – غزو أفريقية : في عام ٥٠ هـ . (٦٧٠ م) أرسل معاوية إلى عقبة بن نافع – وكان والياً على برقة منذ أيام عمرو بن العاص – عشرة آلاف جندي فدخل أفريقية وفتحها وأسلم على يديه الكثير من البربر ، على أن العرب قد عانوا كثيراً من الصعوبات بعد فتح أفريقية ، وذلك لقربها من صقلية وسهولة إمداد الرومان لها بالجيوش ، ولطبيعة البلاد الجبلية ، واعتصام البربر بالجبال في سبيل الدفاع عن بلادهم . وقد استغرق فتح أفريقية تبعاً لذلك حوالي ستين عاماً . وبعد انتصار عقبة على البربر والرومان ذهب إلى جنوب تونس وأسس مدينة القيروان سنة ٥٥ هـ . وبنى بها المسجد الجامع ، وذلك ليأمن المسلمون على أنفسهم ثورة أهل البلاد .

عهد معاوية لابنه يزيد :

رأى معاوية أن يستخلف ولده يزيد ويحصر الخلافة في [illegible] يبث الدعوة في الناس بواسطة رجاله المخلصين ، حتى نيل عدد كبير

(١) فتحت القسطنطينية أخيراً تأييداً للمسلمين سنة ١٤٥٣ م على عهد محمد الفاتح العثماني .

Marfat.com

من الناس فكرة ترشيح يزيد لولاية عهد الخلافة ، خوفاً على الأمة من الفرقة إذا مات معاوية بدون ولي عهد ، وقد أرسلت الولايات وفوداً إلى دمشق تطلب من الخليفة موافقته على قبول البيعة ليزيد بولاية العهد ، فوافق ذلك هوى في نفسه وجرت البيعة في اجتماع لم يتخلف عنه إلا أهل الحجاز ، فسار معاوية بنفسه إلى هناك وأخذ البيعة لابنه بالتهديد والوعيد من عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي . وهكذا بايع الناس يزيد بالخلافة في حياة أبيه .

مرضه : مات معاوية سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) . كان منصرفاً الى أعمال حكومته، يقضي أكثر وقته في النظر في جلائل الأمور وعظائم الأعمال . وفي مرض الموت نرى ليزيد وصيته[1] تدل على سداد رأيه وبعد نظره ومعرفته بأخلاق الرجال .

يزيد بن معاوية (٦٠ — ٦٣ هـ ، ٦٨٠ — ٦٨٣ م)

توليته الخلافة : لما مات معاوية بايع الناس يزيد بالخلافة وامتنع بعض الناس في الحجاز من أبناء الخلفاء والصحابة وعلى رأسهم الحسين ابن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . فكتب يزيد إلى الوليد بن عتبة عامله على المدينة أن يأخذ له البيعة من هؤلاء النفر . فبايعه عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . أما عبد الله بن الزبير فقد أبى وفر إلى مكة ، واستعاذ بالبيت وأخذ يعمل على نشر الدعوة لنفسه

---

(١) جاء في هذه الوصية : « يابني إني قد كفيتك الشد والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذللت لك الأعداء وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد ، فانظر أهل الحجاز فإنهم أهلك ، فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب ، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فإن عزل عامل أسهل من أن يشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك ... الخ »

Marfat.com

بالخلافة ولكنه وجد في الحسين بن علي منافساً قوياً فلم يجرؤ على مناوأته ، وانتقل الحسين إلى مكة وكتب إلى الشيعة بالكوفة .

كربلاء : رفض الحسين وابن الزبير مبايعة يزيد ، وقد أرسل الشيعة بالعراق إلى الحسين يلحون عليه أن يبادر بالذهاب إليهم .

سار الحسين إلى الكوفة على رأس فئة قليلة لايتجاوز عددها الثمانين ، ولم يلتفت إلى نصح الناصحين ، ولم يكن قـــد علم بعد بمقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وخذلان الشيعة له . ولما دنا من الكوفة وعلم بذلك ، قابله أحد الموالين له وطلب إليه الرجـوع ، فداخل الحسين الشك وهمّ بالعودة إلى المدينة ، غير أن إخوة مسلم بن عقيل صمموا على أن يأخذوا بثأر أخيهم أو يقتلوا دونه ، فنزل الحسين على رأيهم وسار إلى كربلاء قرب نهر الفرات ، دون أن يرى أثراً للجيش العراقي الذي وعد باستقباله ، فقد خاف الشيعة من فتك عبد الله بن زياد والي يزيد على الكوفة ، وبينما الحسين كذلك إذ قابلته خيل زياد فحالت بينه وبين ورود الماء ، وقد طلب الحسين من قائد الجيش عمر بن سعد أن يسمح له بأمر من ثلاثة :

١ — أن يعود إلى المدينة .

٢ — أن يؤخذ إلى يزيد بن معاوية .

٣ — أن يسمح له بالذهاب إلى الحدود الشرقية ليجاهد في سبيل الله .

ولكن قائد الجيش المعادي رفض ذلك كله وأصر على القتال ، فاستشهد الحسين وكل من معه من الرجال في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ . بعد أن أبدى من ضروب الشجاعة والصبر والاحتساب الشيء الكثير . ولم ينج من معسكره إلا النساء وطفل صغير هو علي زين العابدين بن الحسين .

وقد كان لمقتل الحســين في أرض كربلاء التي أصبحت [illegible] ودماء أهل بيته ، أثر بعيد في إذكاء نار التشيع في نفوس الشيعة في فارس والعراق وخراسان وتوحيد صفوفهم ، وقد كانوا قبل ذلك متفرق

Marfat.com

الكلمة مشتتي الأفكار . فقد كان التشيع قبل مقتل الحسين رأياً نظرياً سياسياً لم يصل إلى قلوبهم ، فلما قتل الحسين امتزج التشيع بدمائهم وتغلغل في أعماقهم وصار عقيدة راسخة في نفوسهم . ولم يزل الاستياء ينمو في فارس حتى ساعد على قيام الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية .

تخريب المدينة (موقعة الحرة) :

بعد حادثة كربلاء ثار أهل المدينة على يزيد بن معاوية ، وشقوا عصا الطاعة عليه وأعلنوا خلعه وطردوا عامله عليها ، وضيقوا على من كان بها من بني أمية ، فبعث إليهم يزيد بجيش يقوده مسلم بن عقبة المري ، وكان من جبابرة العرب ودهاتهم . وأمر يزيد أن يكون الحصين بن نمير القائد من بعده إن أدركته الوفاة في الطريق . وقد سار جيش الشام بقيادة مسلم وهو محمول على سرير حتى قرب المدينة ، وقد حاصرها من جهة الحرة ، وهو المكان المرتفع خارجها ويشرف عليها فتصبح المدينة تحت رحمة سلاح الجيش المحاصر ، بينما هذه لايصيبه أذى من ناحية الجيش المحصور . وقد أمهل سكانها ثلاثة أيام ثم أعمل فيهم السيف حتى أخضعهم ، ثم أباح المدينة ثلاثة أيام وأسرف هو وجنوده في القتل والنهب والسلب . وكانت هذه المعركة شراً على الإسلام والمسلمين ، فقد قتل فيها زهرة أهل المدينة من الفرسان ، ومن خيرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . كما أدى ذلك إلى تدمير المدينة وتخريبها وعادت إلى حالتها قبل الإسلام .

حصار مكة سنة ٦٤ هـ :

كانت أوامر يزيد أن يتابع الجيش الأموي المنتصر طريقه إلى مكة المكرمة لحصارها وإخضاع ابن الزبير الذي احتمى بها ، وأخذ يدعو

Marfat.com

لنفسه بعد مقتل الحسين ، ويستفيد من أخطاء الأمويين ومن شعور الاستياء الذي انتشر بين المسلمين لمقتل الحسين ، ثم لموقعة الحرة وتخريب المدينة . وقد اتجه الجيش الأموي نحو مكة وأدركت قائده المريض المنية في الطريق ، فخلفة حسب أوامر يزيد (الحصين بن نمير) وتابع سيره حتى حاصر مكة ودعا أهلها إلى ما دعا إليه مسلم أهل المدينة ، فلم يرضوا فطوقها وضرب عليها نطاق الحصار وقاومه ابن الزبير . وفي تلك الأثناء توفي يزيد فانسحب الحصين من مكة إلى الشام بجيشه بعد أن ألحق بها وبالكعبة خسائر فادحة .

ويقول المسعودي : « إن أحجار المنجنيق كانت ترمى على البيت ، كما كان البيت يرمى بالنار والنفط فانهدمت الكعبة واحترق بناؤها وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ٦٤ هـ » .

معاوية الثاني :

خلف معاوية أباه يزيد ، وكان معاوية شاباً تقياً ، شب على حب بني هاشم فأعلن مخالفته لسياسة والده . ولا يوجد في عهده مايستحق الذكر إذ لم يزد حكمه على أربعين يوماً ولم يتمتع بالملك لمرضه ، وقد انزوى في داره . وقد فكر في ترشيح رجل للخلافة كما فعل أبو بكر مع عمر فلم يجد الرجل الذي يصلح لها . وأراد أن يقتدي بعمر بن الخطاب في اختيار ستة ينتخب الخليفة من بينهم فلم يفلح فترك الأمر شورى بين الناس يولون أمرهم من يشاؤون . فقال لهم : « أنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم » . كذلك رفض أن يولي أخاه خالداً ، فترك الأمر للمسلمين يولون أمرهم من يشاؤون . ودخل منزله فتغيب فيه ومات بعد أيام في عامه ذاته .

(دراسات في التاريخ الإسلامي م١/ه)

Marfat.com

بيعة عبد الله بن الزبير بالخلافة :

اتخذ عبد الله بن الزبير من تأمير عثمان له على داره سبباً كافياً لأحقيته بالخلافـــة . إذ أن استخلاف عثمان له دون جميع أصحابه ممن كانوا معه يدل على كفايته ومقدرته على القيام بمهام الأمور .

ولم تظهر معارضة ابن الزبير في أثناء خلافة معاوية . بل بالعكس كان جندياً من جنود يزيد في غزو القسطنطينية . إلا أن معاوية كان يلمح في ابن الزبير ناحية المعارضة فكان يتودد إليه بالمنح والعطايا . وبقي هكذا طوال حكم معاوية حتى علم بتولية يزيد العهد ، فهب وقاد حزب المعارضة الذي وقف في وجه يزيد .

وبموت الحسين بن علي خلا له الجو فدعا إلى نفسه بالخلافة وصادفت دعوته نجاحاً في بلاد العرب والعراق . وقد استطاع حزب ابن الزبير أن يعكر صفو الأمويين ردحاً من الزمن . وكانت هناك عوامل ساعدت على إثارة خواطر المسلمين ضد بني أميـــة وأتاحت الفرصة لظهور هذا الحزب وهي :

١ – تحول الخلافة عن طريق الشورى والانتخاب إلى طريق الوراثة والتعيين .

٢ – ما أذاعه أعداء الأمويين عن صفات يزيد الأخلاقية ، مما حط من قدره وباعد بينه وبين أحقيته بالخلافة في نظر المسلمين .

٣ – وقوع الحوادث الجسام في عهد يزيد وخاصة مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وتخريب المدينة ومكة . وقد اتخذ عبدالله بن الزبير من هـذه الحوادث وسيلة لإثارة شعور المسلمين ضد بني أميـــة والدعوة لنفسه بالخلافة في الحجاز .

٤ – قسوة معاملة ولاة بني أمية لأهالي الولايات حتى كرهوا حكم الأمويين وانضموا إلى أعدائهم .

٥ – ماعرف عن عبـــد الله بن الزبير من الصلاح والتقوى والتمسك بالدين حتى اكـتسب محبة المسلمين وظفر بتأييدهم .

Marfat.com

وقد استطاع ابن الزبير أن ينال بيعة الحجاز ، والعراق ، وخراسان ، وفارس ، ومصر . ولم يخل الشام من أنصار له .

ويبدو أن ابن الزبير كان مقتنعاً بفكرة إعادة النفوذ والسيطرة إلى بلاد الحجاز كما كان الأمر في عهد الرسول وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، حتى انه لم يذهب إلى بلاد الشام حين دعاه الحصين بن نمير ليبايع له بعد وفاة يزيد ، فأبى ابن الزبير أن يغادر الحجاز .

كذلك أهمل ابن الزبير في الدعاية لنفسه ، بينما نشط الأمويون في الدعاية لأنفسهم وبذلوا المال لجذب الناس إليهم .

وفي نفس الوقت خشي أعوان بني أمية أن يفلت الحكم من أيديهم ، فالتفوا حول مروان بن الحكم واختاروه خليفة ، فجمع جيشاً من القحطانيين وقابل بهم الضحاك بن قيس الفهري والي الشام من قبل ابن الزبير يقود جيشاً من المضريين ، في موقعة مرج راهط ٦٥ هـ شمال شرق دمشق . وهزم جيش ابن الزبير وأصبح مروان بن الحكم خليفة في دمشق بلا منازع . وفي خلافة عبد الملك بن مروان أرسل جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، مازال يحارب ابن الزبير حتى قتله ، وانتهت بذلك خلافة ابن الزبير بعد أن ظل يخطب باسمه على المنابر زهاء تسع سنين .

مروان بن الحكم (٦٣ — ٦٥ هـ ، ٦٨٣ — ٦٨٥ م) :

مولده ونشأته : ينتسب مروان للبيت الأموي،وكان أبوه الحكم بن أبي العاص يؤذي الرسول قبل أن يسلم ، فلما أسلم لم يخلص في إسلامه ، ولم ينقطع عن إيذاء الرسول حتى اضطر عليه السلام إلى إخراجه من المدينة . ولما ولي الخلافة عثمان بن عفان سمح له بالعودة إلى المدينة ، ومنحه المال الكثير واتخذ ابنه مروان وزيراً له ، ومستشاراً ، وكاتباً ، ومساعداً . ثم اعتزل مروان السياسة بعد موقعة الجمل ، وبايع علياً وأقام بالمدينة وظل كذلك إلى أن تولى الخلافة معاوية فولاه المدينة مرتين . ولما مات معاوية قربه يزيد وأكرمه . وظل بالشام إلى أن تولى الخلافة بعد موت معاوية الثاني .

نسخة محسابية

Marfat.com

الحروب في عهده :

١ — أرسل جيشاً إلى الشام هزم جيش ابن الزبير في موقعة مرج راهط سنة ٦٥ هـ واستولى على الشام .

٢ — أرسل جيشاً هزم والي مصر من قبل عبد الله بن الزبير وانتزع البلاد من يده .

٣ — أرسل جيشين أحدهما إلى الحجـاز والآخر إلى العراق لتثبيت حكم الأمويين في تلك الأمصار .

وكان مروان فصيحاً ، بليغاً ، شجاعاً ، كثير التلاوة للقرآن ، روى الحديث عن كثير من الصحـابة ، كعمر ، وعثمان . وإليه يرجع الفضل في ضبط المقاييس والموازين ، ويؤخذ عليه الكتاب المكذوب على عثمان وإن كان الدليل لم يقم على ذلك . وقد مات مروان سنة ٦٥ هـ . بعد أن عهد بالخلافة لابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز .

عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ ، ٦٨٥ — ٧٠٥ م) :

مولده ونشأته وخلافته : هو عبد الملك بن مروان بن الحكم . وقد ولد بالمدينة سنة ٢٦ هـ في خلافة عثمان بن عفان ، ونشأ نشأة عالية فعرف بالمروءة والشجاعـة والفصاحة والبلاغة ، صريحاً في الحق لايخشى فيه لومة لائم ، حفظ القرآن الكريم وقرأ العلوم الدينية من الفقه والتفسير والحديث ، وكان أديبـاً عالماً ينقد الشعر ويميز جيده من رديئه ويحضر كثيراً مجالس الأدباء والشعراء .

ويعتبر عبد الملك بن مروان هو المؤسس الثاني للدولة الأموية ، لمـا امتاز به من رجاحـة العقل والقدرة على تصريف الأمور ، فقد انتشل الدولة الأموية من الفوضى التي كانت قـد وصلت إليها وكادت تمزق أوصالها بسبب العصبية القبلية ، وأقام صرح مجدها على أسس قوية وبدأ

Marfat.com

عبد الملك حكمه بشن الغارة على أعدائه ، ولم تمض سبع سنين حتى استقامت له الأمور وساد السلام بقية حكمه وحكم من جاء بعده من الخلفاء .

١ — مصر : انتشر فيها الإسلام واستتب الأمن بفضل حسن سياسة أخيه عبد العزيز بن مروان ، الذي يعتبر بحق من خيرة الولاة الذين حكموا مصر في العصر الأموي . فقد صحب أباه مروان حين جاء لاسترداد مصر من عامل عبد الله بن الزبير ، ولما عزم مروان على العودة إلى دمشق ولى على مصر ابنه عبد العزيز ، وجعلها له طعمة يتصرف في خراجها كيف شاء . وقد أوصى مروان ابنه بكثير من النصائح التي تكفل له الراحة والطمأنينة في هذا البلد واستطاع بذلك أن يدخل الكثير من الإصلاحات . فبنى مقياساً للنيل ، ووسع جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ، واتخذ مدينة حلوان عاصمة له وزاد في عمارتها فانتشر الرخاء وعم بين الناس .

٢ — فتح أفريقية : أهم فتح حصل في عهد عبد الملك هو إتمام فتح أفريقية . إذ أرسل جيشاً يقوده زهير نائب عقبة بن نافع فهزم . فأرسل جيشاً آخر استطاع بقيادة حسان بن النعمان التغلب على البربر وكانت تقودهم « الكاهنة » ، فخضع البربر . وقد شعر حسان بن النعمان أن الحروب غير كافية لتوطيد الأمن بين قبائل البربر المتوحشة . فعمد إلى تمدينهم بنشر الدين الإسلامي في بادية المغرب ومدنها . فأرسل الدعاة إلى القبائل يرغبونهم لاعتناق الإسلام . فأقبل البربر على اعتناق الإسلام بسرعة عجيبة ، فحسنت حالهم ، وهكذا أدرك حسان بسياسته الدينية ما لم يدركه بالسيف . ولم يبق من بلاد المغرب إلا معاقل الروم فتحها موسى بن نصير سنة ٩٠ هـ — ٧٠٩ م في خلافة الوليد بن عبد الملك .

٣ — إخضاع الحجاز : بعد أن فرغ عبد الملك من إخضاع أجزاء الدولة المترامية ، لم يبق في يد عبد الله بن الزبير إلا بلاد الحجاز فأعد

Marfat.com

جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي للقضاء على ابن الزبير ، فحاصر مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق وأرغم الأهالي على طلب الأمان . فانضم بعض أتباع ابن الزبير وغيرهم من ذوي قرباه إلى الحجاج . فبقي ابن الزبير في عدد قليل من أنصاره . ثم خرج بعد ذلك وقاتل أهل الشام قتالاً عنيفاً وأبدى شجاعة نادرة المثال حتى تكاثر عليه أعداؤه وقتلوه في جمادى الآخرى سنة ٧٣ هـ .

وبقتل ابن الزبير انضم الحجاز إلى عبد الملك ، وبذلك اجتمعت له الأقطار الإسلامية ، ولذا سمي المؤسس الثاني للدولة الأموية ، وجدير بنا أن نسمي هذا العام عام الجماعة الثاني .

٤ – العراق :

ولىّ عبد الملك(الحجاج بن يوسف الثقفي) على العراق سنة ٧٥ هـ فسار حتى دخل الكوفة وصعد منبر المسجد ودعا الناس إليه فاجتمعوا . فخطب فيهم خطبته المشهورة التي مطلعها :

« أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها .

وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى .... » وهكذا نراه قد استعمل الشدة معهم من أول وهلة ، وأخذهم بالحزم والعنف مما ساعده على القضاء على الثورة في تلك البلاد .

إصلاحاته الداخليه :

ومن إصلاحات عبد الملك الداخلية أنه استعمل اللغة العربية في كتابة الدواوين بدلاً من اللغات المحلية التي كانت تستعمل في الولايات المختلفة .

Marfat.com

كما أنه ضرب نقوداً خاصة للعرب بعد أن كانوا يتعاملون بنقود الرومان والفرس • وقد ضرب في عهده الدينار (والدينار مثقال من الذهب وهو يساوي اثنى عشر درهماً اسلامياً ، والاثنا عشر درهماً اسلامياً ثلاثة ريالات سعودية من الفضة تقريباً •)

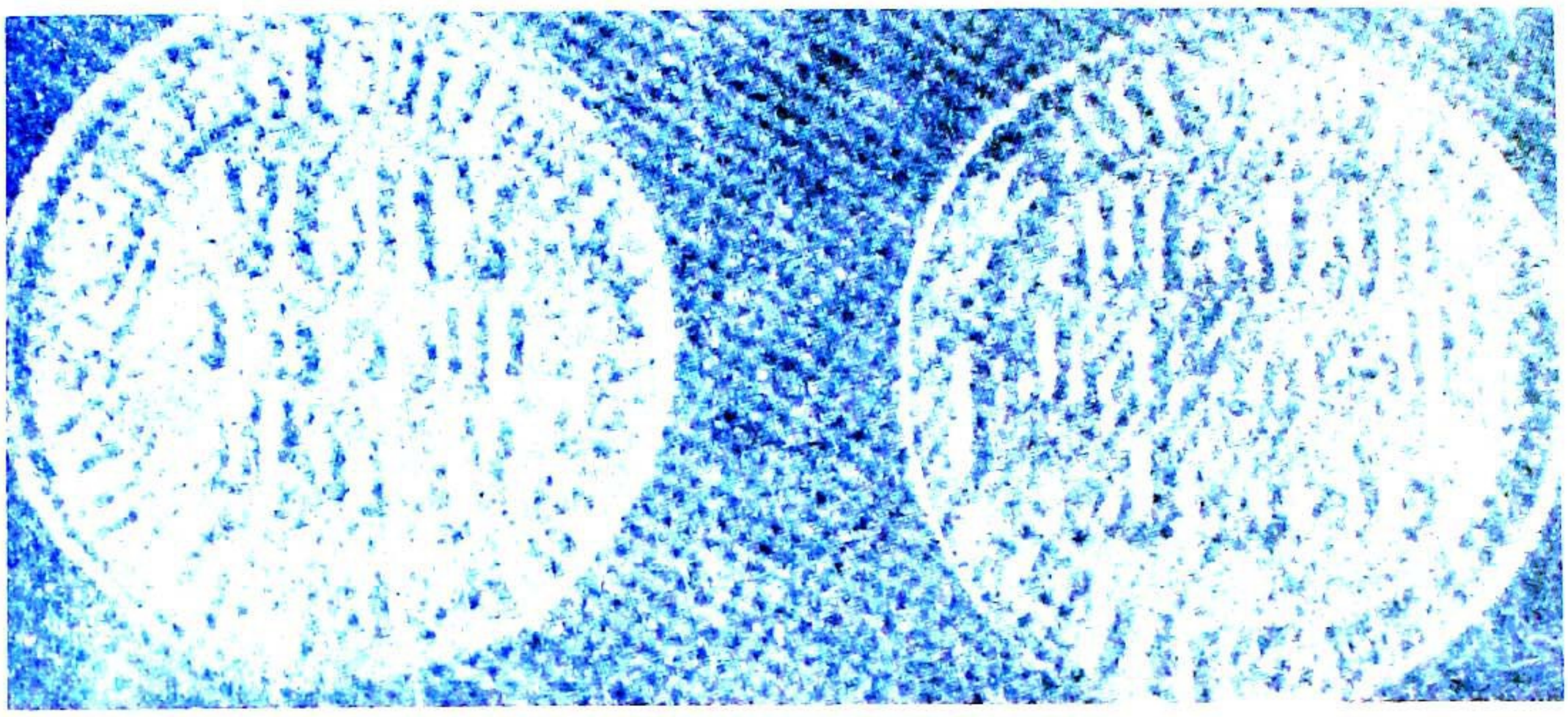

دينار من عهد عبد الملك بن مروان

ولاية العهد :

كان مروان بن الحكم قد ولى عهده ابنه عبد الملك ثم أخاه عبد العزيز فأراد عبد الملك أن يعزل أخاه ويولي مكانه ابنه الوليد ، فاستشار العقلاء فنهاه بعضهم وشجعه آخرون ، وفيما هو على ذلك ، مات عبد العزيز فعهد بالخلافة لاثنين من أبنائه : الوليد ثم سليمان .

وفاته : توفي عبد الملك بدمشق سنة ٨٦ هـ .

Marfat.com

الوليد بن عبد الملك

(٨٦ ــ ٩٦ هـ ، ٧٠٥ ــ ٧١٥ م)

توليته الخلافة : خلف الوليد أباه في الخلافة لأن عمه عبد العزيز كان قد مات . وظل خليفة عشر سنوات ، وكان عهده عهد فتح ورخاء ، واتسعت في أيامه رقعة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً حتى بلغت أعلى درجات الفتوح والثروة .

الفتوح في عهده :

١ — فتح بلاد ماوراء النهر (سمرقند وبخارى)

ولى الحجاج قتيبة بن مسلم على خراسان سنة ٨٦ هـ وكلفه بإخضاع سكان التركستان ، فأعد قتيبة جيشاً غزا به مدن تركستان وافتتح اقليم ما وراء النهر .

فجمع خاقان الترك وهو ملك بخارى جيشاً قوياً ووقف في وجه قتيبة . وفي المعركة التي جرت قرب مدينة بخارى عاصمة التركستان كاد ينهزم المسلمون ، لولا تشجيع النساء العربيات المرافقات للجيش وتلويحهن للروح المعنوية للعرب حتى أجبرن الفارين من القتال منهم على العودة . فحملوا حملة صادقة ودحروا خاقان الترك ودخلوا بخارى وصالحهم أهلها ، ثم استعد قتيبة وهاجم بلاد خوارزم سنة ٩٣ هـ وفتحها ثم غزا سمرقند وأخضعها . وأكثر هذه المناطق التي كانت مسرحاً لأعمال قتيبة ، تقع اليوم في المنطقة الواقعة بين نهري سيحون وجيحون اللذين يجريان في سهول تركستان ويصبان في بحر آرال .

٢ — بلاد السند :

أخذ المسلمون في إرسال حملاتهم إلى بلاد الهند بعد وفاة الرسول بخمسة عشر عاماً من ناحية الشمال الغربي . وقد استمر ذلك حتى القرن الثامن الميلادى واستقر بعضهم فيها ، وكونوا ممالك كان لها أثر

Marfat.com

كبير في تقدم الحضارة الإسلامية . فقد أرسل عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . أرسل كل منهم الجيوش والحملات . وكانت كل حملة تضيف أجزاء جديدة إلى فتوح الحملة التي سبقتها . وكانت حملات الوليد بن عبد الملك بقيادة محمد بن القاسم ابن أخت الحجاج الثقفي .

وقد أظهر محمد بن القاسم براعة في فنون قيادة الجيش والحروب ، فعينه الحجاج على ولاية السند وأمده بجيش من أهل الشام ، وأمره أن يغزو بلاد الهند سنة ٨٩ هـ وقد سار محمد إلى ساحل الهند الغربي وحاصر مدينة ساحلية تسمى اليوم كراتشي (وكان اسمها قديماً الديبل) وفتحها ، وعبر نهر السند والتقى بملك السند المسمى « داهر » فقتله وتابع سيره حتى وصل جنوب البنجاب إلى بلدة كانت تسمى « ملتان » نسبة إلى صنم كبير فيها يعظمه الهنود ويحجون إليه من أقاصي بلادهم ويقدمون إليه أنواع المجوهرات والأموال تقرباً منه ، وقد غنموا من هذه المدينة ومن معبدها أموالا لا تحصى ، ثم تابع الفتوح في تلك المنطقة ، ولكن وصلته أخبار وفاة خاله الحجاج ثم وفاة الوليد سنة ٩٦ هـ فأوقف حركة الفتح .

٣ — محاولة فتح بلاد الصين :

سار قتيبة بن مسلم على رأس جيش قوي وقبل أن يصل إلى بلاد الصين ، جاءه خبر وفاة الوليد بن عبد الملك ، فلم يثنه ذلك عن عزمه وسار حتى وصل بلاد الصين . وهناك تصالح مع ملكها على الجزية ، ثم عاد إلى مرو .

وفي التواريخ الصينية أن الخليفة هشام بن عبد الملك أرسل سفيراً له يدعى سليمان إلى أمبراطور الصين ، وقد اكتسبت هذه العلاقات السياسية

Marfat.com

التي قامت بين الدولتين العربية الاسلامية والصينية أهمية جديدة في أواخر عهد هذا الامبراطور ، وهكذا نجد أن ملك المسلمين وصل في سنة ٩٦هـ الى **حدود الصين وإلى أواسط الهند الشمالية وإلى ماوراء سيحون وجيحون ،** أي بعض الأراضي الواقعة تحت الاستعمار الشيوعي الروسي في الوقت الحاضر ،**قبل أن يمضي قرن واحد على هجرةالرسول من مكة المكرمة إلى** المدينة المنورة .

٤ — فتح الأندلس:

عين الخليفة موسى بن نصير والياً على أفريقية فأخضع جميع الساحل الأفريقي الشمالى لسلطان المسلمين عدا مدينة سبتة التابعة للقوط الغربيين حكام

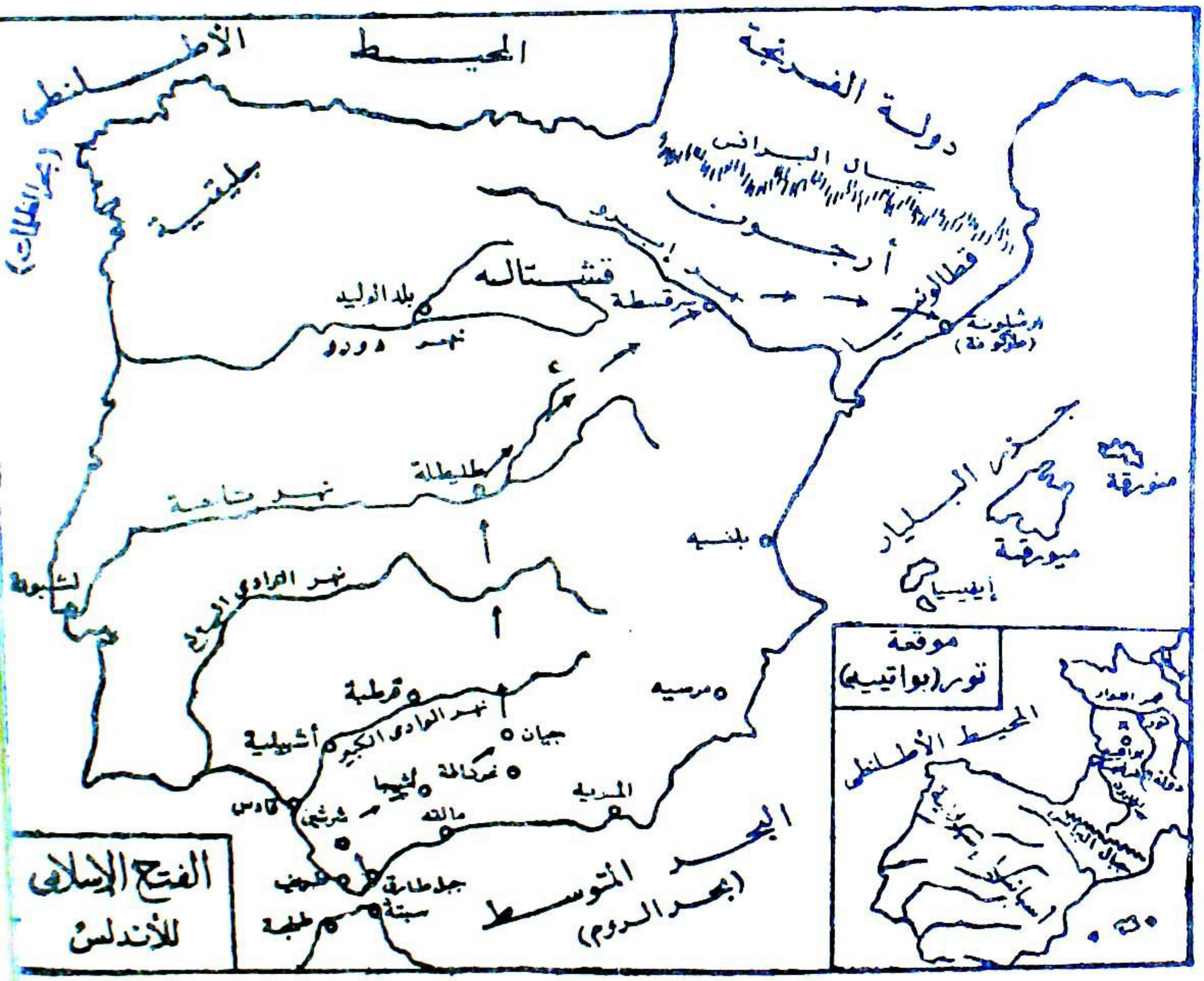

Marfat.com

أسبانيا ، وبينما كان يحاول فتحها فاوضه حاكمها المسمى « يوليان » على الصلح . وعرض عليه أن يساعده على حرب إمبراطور أسبانيا المسمى « رودريك » (ويسميه العرب لذريق) ، أي أن حاكم سبتة القوطي عرض على موسى بن نصير أن يتعاونا معاً على حرب القوط أنفسهم في أسبانيا ، وهذا أمر تعجب له موسى ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك في دمشق يستشيره في الأمر ، فتردد أولاً ثم أذن له أن يفعل بعد أن يأخذ كل الاحتياطات الممكنة حتى لا تكون خدعة من (يوليـــان) يريد بها التغرير بالمسلمين .

سير الفتح العربي : لما أذن الوليد لموسى بن نصير بفتح الأندلس ، أرسل موسى خمسماية مقاتل كرواد بقيادة طريف بن مالك سنة ٩١ هـ ، ٧١٠ م ؛ على أربع سفن من سفن يوليـــان نفســـه ومعهـــم بعض القوط لاستطلاع أحوال الأندلس . وقد عادوا مظفرين وأثبتت هـــذه الحملة الاستكشافية شيئين :

١ – ضعف قوى الدفاع عن بلاد الأندلس .

٢ – صدق يوليان في حلفه مع العرب .

أعد موسى بن نصير جيشاً قوامه سبعة آلاف مقاتل معظمهم من البربر وجعل على قيادته مولاه طارق بن زياد حاكم طنجة . وعندما بلغه انشغال رودريك بإخماد ثورة ضده في مقاطعة الباسك في شمال أسبانيا أمر طارقاً بالغزو . فعبر طارق مضيق سبتة سنة (٩٢ هـ ، ٧١١ م) على سفن يوليان ونزل على صخرة سميت باسمه فيما بعد وأطلق عليها اسم « جبل طارق » ، وأحرق طارق سفنه وخطب في الجند خطبته الشهيرة التي منها : « أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر . واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبـــة اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم » .

Marfat.com

ثم سار بهم للقاء رودريك وهو في جيش كبير وما أن تقابل الجيشان حتى هجم العرب على الأسبـــان كالأسود الضارية يملأ الإيمان قلوبهم والحماس صدورهم فهزموا العدو شر هزيمة . واستمر القتـــال سبعة أيام تم بعدها النصر لطارق في اليوم الثامن وقد مات رودريك غرقاً . وتسمى هذه المعركة معركة « شريش » . ثم تابع طارق زحفه فاستولى بسهولة على أشبيلية وقرطبة وطليطلة وغيرها .

وفي سنة (٩٣ هـ ، ٧١٢ م) خرج موسى بنفسه إلى الاندلس وحاصر أشبيلية التي ثارت بعـد خروج طارق منها وفتحها ثانيـة ، ثم سار إلى طليطلة ومنها إلى مدينة « مريدة » حيث خرج طارق للقـــائه بالقرب منها للقائه واستقباله. وقد عمل البطلان موسى وطارق في اتمام الفتح حتى وصلا حدود أسبانيا الشمالية أي جبال البرانس. وقد فكر موسى أن يجتـــاز بجنوده جبال البرانس ويحتل فرنسا [1] ويسير شرقاً حتى يصل القسطنطينية فيفتحهـا ويصل الى الشام . ولكن الخليفة استدعاه وطارقاً اليه، فأقام ابنه عبدالعزيز مكانه في حكم الاندلس وسار هو ومولاه إلى الشام .

وقد دام حكم العرب المسلمين لأسبانيا لأكثر من سبعة قرون أسسوا خلالها مدنية عظيمة وحضارة زاهرة ، وسنتناول ذلك بالتفصيل في الباب الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله .

---

(١) عبر العرب جبال البرانس في عهد هشام بن عبد الملك ، تحت قيادة عبد الرحمن الغافقي ثم فتحوا جنوب فرنسا والتحموا بجيوش شارل مارتل في موقعة تور أو بواتييه ودارت المعركة بدون أن ينتصر أحد الفريقين على الآخر ، ولما جاء الليل انسحب ، العرب وذلك لموت قائدهم الغافقي حيث كان قد أصيب بسهم ، ولاختلاف الجيش العربي ، ولشدة حرصهم على الغنائم الضخمة التي كانت بأيديهم . وتسمى هذه الموقعة بلاط الشهداء . وهي موقعة فاصلة إذ لم يحاول العرب بعدها التوغل في أوروبا . ويعتبر كثير من المؤرخين أن العرب لو انتصروا في هذه المعركة لاستطاعوا فتح أوروبا ونشر لغتهم ومدنيتهم ودينهم فيها .

Marfat.com

إصلاحات الوليد وسياسته العمرانية :

في الوقت الذي كان فيه أبطال العرب يوسعون حدود المملكة العربية في الخارج ، كان الوليد يقوم بكثير من الأعمال الإصلاحية في الداخل . وقد وجد ميزانيـــة دولته تفيض بالأموال فقر رأيه على صرفها فيما يعود على بلاده باليسر والرخاء والرفاهية ، فحفر الآبار وأصلح الطرق تسهيلاً على الحجاج . وقد ازدهرت في أيامه الفنون الإسلامية وبخاصة فن العمارة ، وشيد في عصره كثير من العمائر منها المسجد الأموي في دمشق ، كما أنه جدد المسجد النبوي ووسعه .

وقد اشتهر الوليد بالعطف على الفقراء والمعوزين ، والاهتمام بأحوال الرعيـة والسهر على مصالحهم والعمل على تخفيف آلام مرضاهم ، يدلنا على ذلك أنه خصص أعطيات للمجذومين ، وأنشأ لهم المستشفيات الخاصة ، كما أنه أعطى كل مقعد خادماً يهتم بأمره ، وجعل لكل ضرير قائداً يسهر على راحته .

ولاية العهد : حاول الوليد عزل أخيه سليمان وتولية ابنه عبد العزيز ودعا القواد إلى ذلك . فأجابه الحجاج بن يوسف وقتيبة وبعض خواص الناس ، وأشار على الوليد بعض رجاله أن يستدعي أخاه سليمان ويراوده عن خلع نفسه فكتب يدعوه من الأردن فاعتذر سليمان . فأراد الوليد أن يسير إليه ، ولكن حالت منيته دون ذلك .

سليمان بن عبد الملك

(٩٦ ــ ٩٩ هـ ، ٧١٥ ــ ٧١٧ م)

لما تولى سليمان بن عبدالملك الخلافة عزل القواد الذين وافقوا أخاه الوليد على خلعه من ولاية العهد .

Marfat.com

وقد فتح سليمان البـــلاد المجاورة لبحر الخزر . وجهز جيشاً لفتح القسطنطينية بقيادة أخيه مسلمة بن عبدالملك ، ثم توجه سليمان لنجدة أخيه ، ولما وصل الى (مرج دابق) مرض مرض الموت • ولما شعر بدنو أجله عهـــد بالخلافة الى ابن عمه عمر بن عبدالعزيز • وأثر موت سليمـــان في حملـــة القسطنطينية ، فرفع الحصار وعادت الحملة الى دمشق

عمر بن عبد العزيز

(٩٩ — ١٠١ هـ ، ٧١٧ — ٧١٩ م)

الخليفة الصالح عمر :

يعتبر عمر بن عبد العزيز أحسن خلفاء بني أمية سيرة وسريرة ، وأكثرهم نزاهة وأعفهم لساناً وأسبقهم إلى نشر الإسلام وإعلاء كلمـــة الدين .

نشأته : ولد عمر بن عبد العزيز في مدينة حلوان ونشأ فيها وسط مظاهر الإعزاز والتكريم . ولما حفظ القرآن الكريم أرسله والده إلى المدينة فتفقه في الدين ، وروى الحديث ، ودرس الأدب ، ونظم الشـــعر ، وتعمق في العلوم ، حتى قيل إن العلماء كانوا مـــع عمر بن عبد العزيز تلاميذ ، وقد عينه الوليد على الحجاز فأصلح مكة والمدينة وحفر الآبار وعبد الطرق ، ولكن الحجـاج شكاه إلى الوليد لإيوائه الفارين من وجهه في العراق فعزله الوليد .

توليته الخلافة :

تولى الخلافـــة بعهد من سليمان بن عبد الملك ، وكان سليمان عندما أدركته الوفاة قبل نصيحة أحد خواصه بأن يبايع من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز لتقواه وورعه . وقد كتب كتاب العهد وطلب إلى بني أمية أن يبايعوا لمن اختاره لهم دون أن يذكر لهم اسم الشخص الذي اختاره . وإنما ذكره في كتاب العهد المختوم ، فلما قرأوا الكتاب بعد وفاة سليمان وجدوا أن الخلافة لعمر بن عبد العزيز فبايعوه .

وقد كانت الأحوال في تلك الأوقات تتطلب رجلاً راغباً في الإصلاح ،

Marfat.com

قادراً عليه ليخفف عن الناس شيئاً مما أفسده بعض خلفاء بني أميـة ، وكان عمر خير من يقوم بهذه المهمة ، فبمجرد توليته شرع يضع الأمور في نصابها ، فعزل الولاة الذين حامت حولهـم الشبهات ، وعين مكانهم أناساً على شاكلته في العدل والنزاهة ، ومع أن خلافته لم تزد على عامين ونصف ، فإن آثار إصلاحاته ملأت البلاد الإسلامية .

إصلاحاته :

١ – الشيعة : كان الأمويون منذ عهد معاوية يلعنون علياً وآله على المنابر بعد خطبة الجمعـــة ، وذلك لتنفير الناس من الانضمام إلى شيعة علي ، وكان الشيعة يتألمون كثيراً عند سماعهم تلك الشتائم تقذف من على المنابر وقت الصلاة ، فأمر عمر بإبطال سب (عليّ) واستبدل بذلك الآية الكريمة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون » وكان من أثر ذلك أن رضي الشيعة عن عمر بن عبـد العزيز وعن حكمه فلم يثوروا ضده ، ولكن توقف عمر عن ملاحقتهم والضغط عليهم جعلهم يقوون حزبهـم وينشرون دعوتهم ، مما كان له أكبر الأثر في عودة الدعوة الشيعية من بعـــده إلى سابق عزها ومحاولتها القضاء على الحكم الأموي وتحويل الخلافـــة إليهم ، تلك الدعوة التي اغتنم فرصتها العباسيون وحولوها إليهم .

٢ – رفع الجزية عمن أسلم : أمر عمر بن عبدالعزيز ولاتـــه بأن يقبلوا اسلام من أظهر الاسلام من أهل الذمة ويضعوا عنهم الجزية ، وأخبرهم أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابياً.

٣ – إرجاعه المظالم إلى أهلها : رأى عمر أن هناك كثيراً من الأموال تجبى مـــن المســلمين عـلى غـير حق ، فمنـــع ولاتـــه مـن جبايتهـــا وكان بعض الخلفـــاء قبله قد اغتصبوا بعض الأراضي فأمر بردها إلى أصحابها ، وإن لم يكن لها صاحب ردها إلى بيت مال المسلمين ، وبدأ

نسخة محسنة

Marfat.com

بنفسه بأن رد أرض فدك وكان قد ورثها عن أبيه إلى بيت مال المسلمين ، كما طلب إلى زوجته بأن تقدم حليها وجواهرها إلى بيت المال .

٤ - اهتمامه بحال شعبه : حاول أن يخفف أعباء الحياة عن أفراد شعبه ، فألغى جميع الضرائب التي استحدثها بنو أمية ، وأبقى الضرائب التي كانت مفروضة فقط أيام الخلفاء الراشدين .

كما أمر ولاته برعاية العدل في أحكامهم ، وان لا يقروا حكماً كبيراً بقطع يد أو قتل نفس إلا بعد أخذ رأيه فيها ، بعد أن كان الولاة كالحجاج مثلاً يقتلون النفس البريئة لأقل خطأ أو إثم دون استشارة أحد .

٥ - نشر الإسلام : دخل كثير من أتباع الدولة الدين الإسلامي كما ذكرنا نتيجة لسياسة عمر المالية وإعفائهم من الجزية ومعاملتهم كالمسلمين . كما أن عمر كتب إلى ملوك السند الهنود يدعوهم إلى الإسلام . فأجابه كثير منهم وبدلوا أسماءهم الهندية بأخرى عربية . وبذلك فعلت سياسة اللين وحسن المعاملة فعلها في هؤلاء القوم ، ودخلوا في دين الله أفواجاً .

٦ - حبه للسلم : رأى عمر ألا فائدة من الاستمرار في الفتوحات في حين أن البلاد التي فتحها المسلمون تستدعي عملاً متواصلاً لإنصاف الرعية وتخفيف متاعبها وتحسين أحوالها . ولذلك استدعى الجيوش والأساطيل التي كان قد أرسلها سلفه لفتح القسطنطينية .

وفاته : توفي عمر بدير سمعان بنواحي الشام ، ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر . وكان عمر مقتصداً جداً يصرف كل يوم درهمين ، ويتقشف في ملبسه كجده لأمه عمر بن الخطاب — ولم يتزوج سوى زوجة واحدة .

انحلال الدولة الأموية وسقوطها :

بعد عصر هشام بن عبدالملك أخذ حبل الأمور في الدولة الأموية في الاضطراب . وتتابع على الخلافة خلفاء ضعاف لم يستطع واحد منهم

Marfat.com

أن ينهض بأعباء الحكم في الدولة ، ولا أن ينتشلها من وهدة السقوط التي أخذت تتردى فيها بسرعة ، بل انغمسوا في الترف والملذات وعملوا على ازدياد الخلافات الحزبية والعصبيات القبلية ، وأسرعت دولتهم الخطى نحو النهاية حتى زالت نهائياً في عهد مروان بن محمد ، أو مروان الثاني سنة ١٣٢ هـ .

وقد بويع مروان بن محمد سنة ١٢٧ — ١٣٢ هـ (٧٤٤ — ٧٤٩ م) بدمشق ، وفي عهده انتشرت الفتن والقلاقل ونشط الشيعة في بث دعوتهم . وقد شاعت دعوة الشيعة في العراق وفارس وخراسان لبعدها عن مقر الخلافة ، ولأن الموالي من الفرس وغيرهم أرادوا أن ينالوا نصيباً في إدارة الحكومة . وقد حاول الكثير من بني علي الخروج على الأمويين وانتزاع الخلافة منهم فلم يوفقوا ، بل راحوا ضحية هذه الثورات حتى انتهى أمرهم بقتل زيد بن علي زين العابدين وابنه الإمام يحيى . وبذا خلا الميدان لبني العباس وكانوا يسعون للخلافة أيضاً لانتسابهم للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد انتشرت دعوة الخوارج في الجزيرة وفلسطين وحضرموت واليمن . وما كاد يفرغ منهم مروان حتى ظهرت الدعوة لبني عباس . وقد نشطت الدعوة للعباسيين في خراسان أولاً ، ثم انتشرت حتى استطاع العباسيون الاستيلاء على العراق ، ثم تقابل جيش العباسيين بقيادة عبدالله بن علي وجيش الأمويين بقيادة مروان عند نهر الزاب الأكبر قرب الموصل ، فانهزم مروان وفر إلى دمشق ، وقد تتبعه العباسيون واستولوا عليها وطاردوه إلى أن قتل في أبو صير بصعيد مصر سنة ٧٥٠ م ، وبموت مروان بن محمد طويت صحيفة الدولة الأموية ، وقد انتقم العباسيون من الأمويين وأفنوهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم إلا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي فر إلى الأندلس وأنشأ دولة مستقلة .

مميزات الدولة الأموية :

١ - أسند الحكم في عهد الخلفاء الراشدين إلى الشورى ، بينما حصر الأمويون الخلافة في بيتهم بالوراثة .

(دراسات في التاريخ الإسلامي ٢- م - ٦)

Marfat.com

٢ - وقد أبتعد الخلفاء الأمويون عن بساطة الخلفاء الراشدين وقلدوا قياصرة الروم وأكاسرة الفرس في مظاهر السلطان .

٣ - وكانت الدولة الأموية دولة عربية بحتة ساد فيها العنصر العربي على غيره من العنـاصر ، بعكس العباسيين الذين اعتمدوا على الأعاجم أكثر من اعتمادهم على العرب .

٤ - وتعتـبر الدولة الأموية عصر امتزاج واختـــلاط بين العرب المسلمين وغيرهم ، سواء في الحضارات أو اللغات أو التقاليد ، وقد أدخل المستعربون كثيراً من آرائهم ومعتقداتهم وعاداتهم على العرب المسلمين .

٥ - وقد بدأت في عهـدهم الحركة العلمية والأدبية في الظهور ، وخاصة بعد أن عمل الخلفاء على نقل الدواوين إلى اللغة العربيـة وسك النقود بالعربية واعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية .

أسباب سقوط الدولة الأموية :

أهم عوامل انحلال وسقوط الدولة الأموية هي مايأتي :

١ - عدم إجماع المسلمين على فكرة بقاء الخلافة في بيت حاكم واحد ، وقد ظهرت كثير من الفرق والجماعات تعمل كل منها على محاربة الأمويين وإضعافهم ، كالشيعة والخوارج وابن الزبير والموالي وغيرهم ، وقد قضى الأمويون أكثر وقتهم في القضاء على هؤلاء الخصوم .

٢ - التغيير الذي أدخله مروان على نظام ولاية العهـد — إذ ولى عهده من بعده ولديه عبد الملك ثم عبد العزيز — فأحدث أول شقاق بين أفراد البيت الأموي فتنافسوا على الخلافة . وقد ارتكب عبد الملك نفس الخطأ الذي ارتكبه أبوه من قبل ، فأوصى بالخلافة من بعده للوليد ثم لسليمان وقد حاول الوليد خلع سليمان ، وليت الأمر اقتصر على النزاع بين أفراد البيت الأموي ، بل تعداه إلى القواد والولاة ، فكان كل خليفة جديد ينتقم من ولاة سلفه وقواده ، كما حدث لأبطـال العرب الأربعة الذين انتقم منهم سليمان بعد ما أبلوه من بلاء حسن في رفع راية الإسلام في الأقطار التي فتحوها .

Marfat.com

٣ – عودة روح العصبية القبليـة بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، تلك العصبية التي أخمدها الإسلام ، وقد ظهرت بشكل واضح منذ معركة مرج راهط وأخـــذت في القوة والظهور ، وصار كل وال يقرب إليه رجالاً من قبيلته ويغدق عليهم من نعمته ويلاحق رجال القبائل الأخرى المعادية له ، فإذا ما تولى وال من القبيلة الأخرى عاد وانتقم من السابقين . وهكذا كان تاريخ الولاة عبارة عن سلسلة من الانتقامات المريعة . وقد مال بعض الخلفاء صراحة للقيسيين وبعضهم لليمنيين ، حتى خسر الخلفاء أخيراً قوة هذه القبائل التي كانت تدافع عن خلافتهم .

٤ – ظهور روح الشعوبيـــة بين الموالي الذين حقدوا على الأمويين لتقريب العرب واعتمادهم عليهم في جميع مرافق الحيـــاة ، وقد انضم الموالي إلى كل حركة تناوىء الأمويين ، كما ثاروا عندما سنحت الفرصة لهم وأخيراً انضموا إلى الحركة العباسية .

٥ – استهتار بعض الخلفاء وخاصـــة المتأخرين منهم وانغماسهم في الترف والبذخ ، ومن المعلوم أن حياة اللهو والمجون والخلاعة ما دخلت دولة من الدول إلا ودخل معها انحطاط عام لقوتها .

٦ – عدم سير الخلفاء من بني أميـــة على سياسة واحدة : فقد قام عمر بن عبد العزيز ببعض الإصلاحـات التي أيقظت من الموالي والذميين الآمال بإمكان مساواتهم بالعـرب ، وما كادوا يتذوقون طعم هذه المساواة وهذه المعاملة الحسنة حتى عاد من خلفه من الخلفاء إلى السياسة السابقة في تفضيل العرب على الموالي ومن أخذ الجزية ممن أســـلم من الذميين فنقموا عليهم

٧ – انقسام البيت الأموي على نفسه في أواخر العهد الأموي وسعي كل منهم للخلافة .

Marfat.com

٨ – انضمام قطر كبير من الأقطار الإسلامية وهو خراسان وغيرها إلى الدعوة العباسية ، ونجاح جيوش هذه الدعوة في الانتصار على جيوش الأمويين .

أسئلة

(على الباب الرابع)

١ – وازن بين نظـــام الخلافة في عهد الخلفـاء الراشدين وفي عهد الأمويين .

٢ – لماذا يعتبر عبد الملك بن مروان المؤسس الثاني للدولة الأموية ؟ أذكر الفتوحات التى تمت فى عهده .

٣ – ما هي أسباب انهيار الدولة الأموية ؟ اشرح كيف تم ذلك .

٤ – تكلم باختصار عن مدى اتساع الدولة الإسلامية في عهد الأمويين؟

٥ – ما أهم مميزات الدولة الأموية ؟

Marfat.com

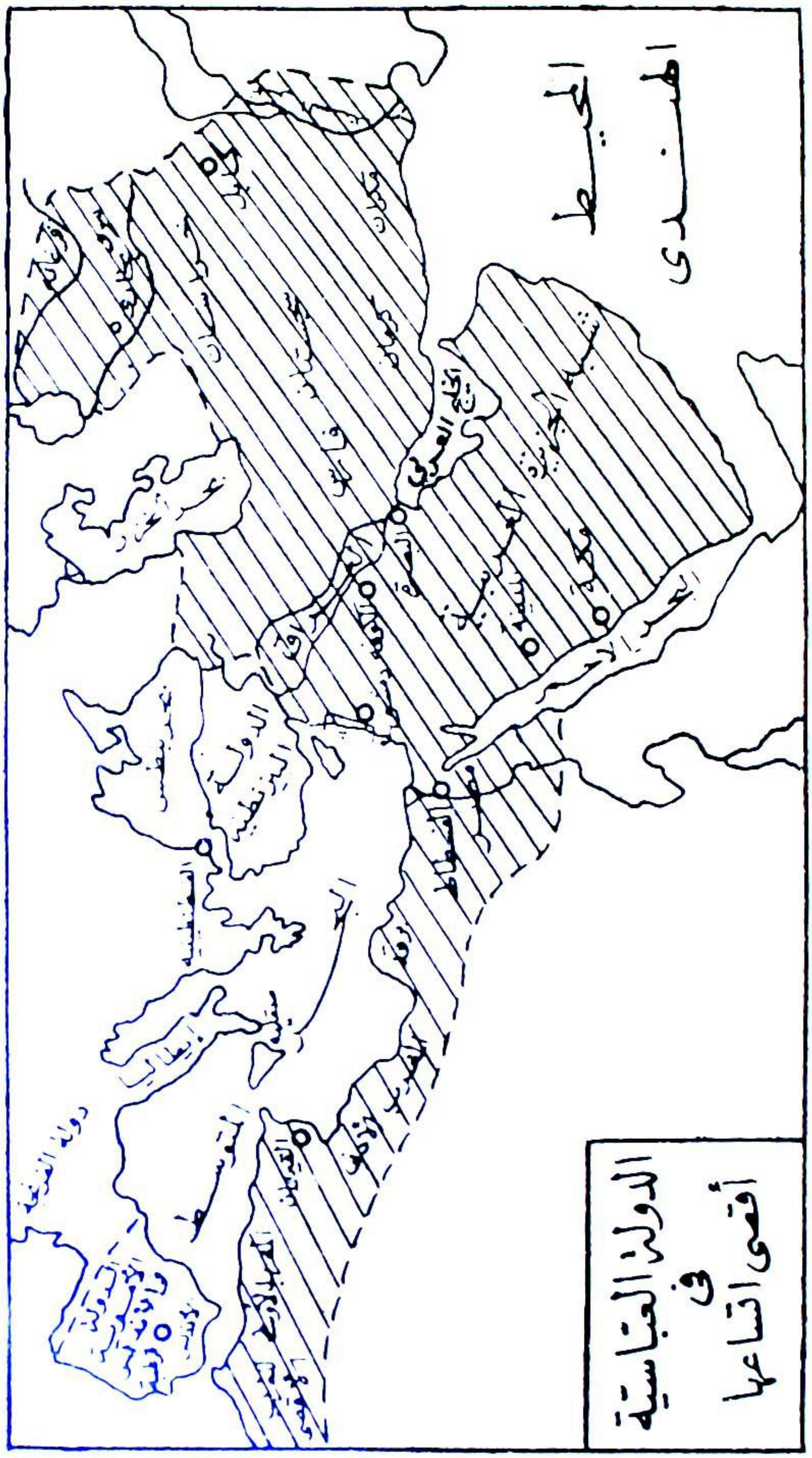

الدولة الفنلندية
في
أقصى اتساعها

Marfat.com

الباب الخامس

الدولة العباسية

(١٣٢ — ٦٥٦ هـ) — (٧٥٠ — ١٢٥٨ م)

قيام الدولة العباسية : ظهرت الدعوة لبني العباس في نهاية عهد الدولة الأموية ، وقد اختار العباسيون بلاد خراسان مركزاً لدعوتهم لبعدها عن دمشق حاضرة الخلافة الأموية ولأن أهلها قد قاسوا الأمرين من نير الأمويين . وقد انكشف أمر العباسيين للأمويين في عهد مروان بن محمد آخر خلفائهم بوقوع كتاب في يده بعث به إبراهيم الإمام (من سلالة العباس) إلى أبي سلمة الخلال الذي كان ينشر الدعوة له في العراق ، فأمر مروان بالقبض على إبراهيم وحبسه وقتله . وقد أوصى إبراهيم قبل موته بالخلافـــة لأخويه أبي العباس ثم أبي جعفر . وأمر أهله بالرحيل إلى الكوفة ليكونوا قريبين من مراكز الدعوة لهم بخراسان .

أبو مسلم الخراساني : وكان أبو مسلم الخراساني أكبر عضد للعباسيين وقد دخل في خدمة زعماء بني العباس منذ صغره ، ولما ظهرت خبرته وذكاؤه صار زعيماً لنشر الدعوة في خراسان ، وما زال يستحث الهمم حتى تمكن سنة ٧٤٧ م من نشر العلَم العباسي الأسود في مرو عاصمة خراسان ، منتهزاً فرصة انشغال الأمويين بقمع ثورات الخوارج ، مما دعا نصر بن سيار عامل الأمويين في خراسان أن يطلب إلى مروان الثاني أن ينهض القضاء على الدعوة ، ولما أبطأ مروان في الرد كتب إليه نصر :

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام
لئن لم يطفها عقـــلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام

Marfat.com

أقول من التعجب ليت شعري أأيقاظ أميـــة أم نيـام
فإن كانوا لحينهمو نيـاما فقل قوموا فقد حان القيام

ولقـد استطاع أبو مسلم الخراساني بما أوتي من الدهاء والمهارة أن يفرق بين القبائل العربية في البلاد ، فلما أمن اجتماع كلمة العرب في خراسان حارب نصر بن سيار أمير هذه البلاد من قبل بني أمية وهزمه . ولما سار أبو مسلم للعراق ودخل الكوفة نادى بأبي العباس السفاح خليفة .

قتل مروان : وقد ندب أبو العباس عمه عبد الله بن علي لقتال مروان ابن محمد ، فلقيه على أحـــد ضفاف الزاب الأكبر ، وهو نهر قرب الموصل بالعراق ، وهزمه وما زال عبد الله يطارده حتى وصل إلى الفسطاط ، فترك عبد الله أمر تتبعه إلى أخيه صالح بن علي ، فلحقه في قرية بوصير [1] حيث قتله واحتز رأسه وأرسله إلى السفاح بالكوفة .

وبهزيمة مروان بن محمد رفرف العـلم الأسود شعار العباسيين فوق حصون دمشق . وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ لتستمر حتى سنة ٦٥٦ هـ .

البيت العباسي : يرجع نسب هذه الدولة إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان العباس في الجاهلية تاجراً وكانت لـه السقاية ، وقد ساعد الرسول في مهمته عام بيعة العقبة الثانية وأسـلم قبيـل فتح مكة ، وكان له في غزوة حنين مواقف تنم عن بطولة وشجاعة . وكان النبي ﷺ يحبه ويكرمه وبنفس المعاملة عامله الخلفاء من بعده . وكانت وفاته في خلافة عثمان ، ولم يطمع في نيل الخلافة بعد وفاة النبي ، مع أنه كان أكبر بني هاشم سناً.

وقد حاول العباسيون في أول الأمر اجتذاب النـاس إليهم بإقناعهم

---

(١) المراد هنا قرية بوصير الملق من مركز الواسطي بمديرية بني سويف بمصر .

Marfat.com

بأنهم لم يسعوا إلى نيل الخلافة إلا لإنقاذ المسلمين من ظلم بني أميـــة وبإعلانهم بأن خطتهم ستكون السير على كتاب الله وسنة رسوله ، وبإفهامهم أن هذه الخطة هي الوحيدة التي تليق بهم باعتبار كونهم ورثة نبي هذه الامة وأحق الناس بتطبيق مادعا إليه من العدل بين الرعية ، والسهر على مصـالحها والمساواة بين أفرادها على اختلاف أجناسهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ، وأديانهم ، وما زالوا يكررون ذلك ويتفننون في وصف دولتهم بأنها حائزة لرضاء الله ، وموفقة إلى الخير بسبب قربهم من الرسول ، حتى استقر في أذهان الناس أن الخلافة قد استقرت في بني العباس أمد الدهر ، وأن من أطاع خلفاءها فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله .

وكـــان أن عمـــرت هـــذه الدولـــة أكثـــر مـــن خمســـة قـــرون في العراق ، على الرغم مما حل بها من الضعف في آخر أمرها . فلما قضى عليها هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م أحس النـــاس أن لا صلاح للعالم إلا بإعادتها ، فأعادها الظاهر بيبرس في مصر ، فعمرت أكثر من قرنين ونصف من الزمان .

وتمتاز هذه الدولة بأنها قامت على أكتاف الفرس ، فكانت لهم فيها اليد العليا بعد الخلفـــاء ، وهذا بخلاف الدولة الاموية فإنها كانت عربية خالصة . ولما عظم نفوذ الفرس قاومه الخلفـــاء ولكنهم عجزوا عن استئصاله ، فعمدوا إلى عنصر جديد في الجيش هو الاتراك بقصد القضاء على النفوذ الفارسي . ولكنهم ما كادوا يتخلصون من هـــذا الشر حتى وقعوا في أشد منه . فقد تدخل الاتراك في شؤون الدولة كبيرها وصغيرها ، حتى أصبحت السلطة الفعلية في أيديهم فضعف العباسيون ، وأدى هذا الضعف إلى قيام دويلات في الاطراف واستقلالها عن الدولة العباسية . ولم يبق للخلفاء العباسيين إلا النفوذ الديني وقد أضعف هـــذا الانقسام الدولة ، فطمعت فيها الامم المجاورة لها فغزوها من الغرب ومن الشرق حتى انقرضت أخيراً .

Marfat.com

السفّاح

(١٣٢ - ١٣٦ هـ) - (٧٥٠ - ٧٥٤ م)

هو عبد الله أبو العباس أول خلفاء الدولة العباسية ، بويع بالخلافة في الكوفة وقد خطب مُنوّها بفضل آل محمد ، وحمل على الأمويين واغتصابهم الخلافة ، ومدح أهل الكوفة وخراسان ، وختم خطابه بقوله (أنا السفاح المبيح) ولذلك غلب عليه لقب السفاح لكثرة ما أراق من دماء ، وقيل لشدة كرمه وكثرة نحره للذبائح .

توطيد دعائم الدولة العباسية : كان لايزال للأمويين أنصار منتشرون في سائر الأقطار الإسلامية ، وكان العلويون يرغبون في أن تكون الخلافة لهم ، وكان الفرس الذين ساعدوا في نقل الخلافة إلى العباسيين قد فكروا في إعادة مجدهم الغابر وبسط سلطانهم على الدولة الناشئة ، لذلك كان أمام أبي العباس السفاح مهمة شاقة لتذليل هذه الصعوبات وتثبيت أقدام دولته . فتتبع الأمويين حتى قضى عليهم ، وأسكت العلويين وذلك بأبي سلمة الخلال الفارسي الذي ساعد على تأسيس الدولة العباسية حتى لقب بوزير آل محمد لما اتهم به من العمل على تحويل الخلافة إلى العلويين ، وهمّ بقتل أبي مسلم الخراساني لما كان يخشاه على دولته من ازدياد نفوذه ، لولا أن حالت منيته دون ذلك ، وترك لأخيه أبي جعفر المنصور دولة زالت عنها أكثر الأخطار .

إصلاحاته : حكم السفاح أربع سنوات وأربعة أشهر كان أثناءها بتوطيد دعائم دولته ونقل عاصمته من الشام إلى العراق ، واتخذ الأنبار عاصمة له وأطلق عليها اسم هاشمية الأنبار تخليداً لذكرى جده هاشم ، ولم يرغب العباسيون في البقاء في دمشق ، لأن بها أتباع بني أمية وأعوانهم

Marfat.com

ولأنها تبعد عن فارس مصدر قوتهم ، وقد اتخذ السواد شعـــاراً لدولتـــه **بدلاً من البياض شعار الأمويين ، وخطب بالناس قائماً ، فأحيا سنة الأولين اذ كان الامويون يخطبون جالسين .**

وقد عهد السفاح بالخلافـة لأخيه أبي جعفر المنصور ومن بعده لابن عمه عيسى بن موسى . **فارتكب بذلك نفس الخطأ الذي وقع فيه بنو أمية ، ولم يعتبر بما جرى لهم من جرائه والذي كان من أقوى أسباب اضمحلال دولتهم . وقد توفي بمدينة الأنبار بمرض الجدري سنة ١٣٦ هـ . ٧٥٤ م**

أبو جعفر المنصور : (١٣٦ — ١٥٨ هـ ، ٧٥٤ — ٧٧٥ م) يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، فقد تربع على عرش الخلافة نحواً من ٢٢ سنة وطد خلالها قواعد الدولة العباسية ، وثبت أركانها وأخمد الفتن والثورات وتخلص من عمه عبد الله بن علي ، ومن أبي مسلم الخراســاني حين عظم نفوذه وظهر عزمه على العصيان ، وشدد الخنـــاق على أولاد علي [1] ، وشيد مدينة جديدة جعلها عاصمة لملكه هي « بغداد » وشجع الحركة الأدبية ، فأوجد النواة للنهضة العلمية التي آتت أكلها في عهد الرشيد والمأمون. فلقد شجع المنصور العلماء على التأليف وترجمة الكتب من الفارسية واليونانية والهندية إلى العربية . وكان مغرماً بالطب والفلك والرياضيات ، ففدت بغداد مورد العلوم والآداب ، وظهر من نوابغ الكتّاب والمترجمين في عهده ابن المقفع فترجم كتاب كليلة ودمنة .

كما اتبع المنصور نظام الحكم المركزي الذي يجعل السلطة مركزة في العاصمة وفي يدها البت في جميع أمور البلاد كلها .

كما نظم البريد ، وكانت مهمـــة صاحب البريـد جمع الأخبار من الأمصار واستقصاء أخبار الولاة ، ورفع التقارير الوافيـة إلى الخليفة ،

---

(١) حارب محمداً النفس الزكية في الحجاز وقتله في المدينة ، وقام أخو النفس الزكية إبراهيم ودعا لنفسه في العراق وفارس ولكن المنصور تغلب عليه وقتله سنة ١٤٦ هـ .

Marfat.com

وهو يشبه نظام المخابرات في عصرنا الحـــاضر ، وقد قصر مدة حكم الولاة وعزل من يخشى استقلالهم بالأقاليم .

أعمـــاله :

تأسيس بغداد : وقد بنى بغـــداد على الشاطىء الغربي لنهر دجلة ٧٦٦ م سنة ١٤٥ هـ .

محاربة البدع والعقائد الزائفة : وقد ظهرت في خراسان في عهد المنصور بعض البدع الدينية والعقائد الفارسية القديمة التي أبطلها الإسلام . وقد استطاع المنصور أن يقضي على هـــذه الحركات التي تظاهرت بأنها تريد الأخذ بثأر أبي مسلم الخراساني ، ولكنها كانت في الواقـع ترغب في إعادة مجد الدولة الفارسية

وفاة المنصور : وقد توفي المنصور وهو في طريقه إلى الحـــج سنة ١٥٨ هـ . بعـد أن خلع ابن عمه عيسى بن موسى ، وخلفه ابنه المهدي ، وقد سعى المهدي لدى عيسى بن موسى حتى خلع نفسه عن ولاية العهد ، وعهد بالخلافة من بعده لولديه الهادي ثم هارون الرشيد .

هارون الرشيد

(١٧٠ ـــ ١٩٣ هـ) ـــ (٧٨٦ ـــ ٨٠٩ م)

يعتبر عهد الرشيد العصر الذهبي للدولة العباسية ، فقد بلغت في عهده أعلى درجاتها قوة وثروة وعلماً وأدباً . وهو أشهر شخصية حكمت هذه الدولة المترامية الأطراف . وقد ازدان عهده بكبار الشخصيات الإسلامية من عرب وفرس ، من حكام وقـــادة ، وأدباء ، وعلماء ، ومترجمين ، وأطباء ، وفنانين . وأصبحت بغداد في عهده كعبة رجال العلم والأدب ومركز التجـــارة بين الشرق والغرب ، وذاع صيته في بلاد الغرب ، وخطب وده أعظم أباطرة أوروبا المعاصرين له وهو شارلمان ملـــك

Marfat.com

الفرنجة . وقد خلد عصره كثير من القصص والروايات التي تدور حوادثها في زمانه ومحورها الرشيد ورجاله ، وأشهرها قصص ألف ليلة وليلة . وقد ترجمت هذه القصص إلى معظم لغات العالم .

سياسته الداخلية :

١ — ظل العلويون على اعتقادهم بأحقيتهم في الخلافة والعمل للحصول عليها ، فدعا يحيى بن عبد الله العلوي لنفسه في بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين) والتف حوله عدد كبير حتى صار خطراً يهدد الدولة العباسية . فبعث إليه الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي لقتاله . وقد عمل الفضل على استمالته باتباع سياسة اللين بدلاً من إراقة الدماء . وأمّنه باسم الخليفة . فقدم يحيى مع الفضل فاحتفى به الرشيد وأكرمه بادىء الأمر ، ثم ما لبث أن حبسه وتخلص منه .

٢ — أما في بلاد المغرب فقد كان لبعد شمال أفريقية عن مركز الخلافة أثر كبير في ثورة البربر على سلطان العباسيين فالتفوا حول إدريس بن عبد الله العلوى ، الذي أسس دولة الأدارسة العلوية الشيعية في مراكش ، فأرسل من دس له السم . ولكن خطر الأدارسة لم ينته بموت إدريس فبايعوا ابنه ، فأرسل لهم الرشيد أحد قادة العرب « إبراهيم بن الأغلب » وأمّره على هذه البلاد حتى تكون حاجزاً بين الأدارسة ، وبين الدولة العباسية . وأخذ ابن الأغلب يستقل بأموره شيئاً فشيئاً عن الدولة العباسية ، وبذلك تأسست دولة الأغالبة وعاصمتها القيروان .

٣ — ولقد قامت في وجه الرشيد عدة ثورات داخلية أخرى ، في الموصل ، والشام ، وأرمينية ، وخراسان ، ولكنه استطاع أن يقضي عليها جميعاً .

Marfat.com

٤ ـ البرامكة : هم من أسرة فارسية عريقـــة تنتسب إلى جدها برمك المجوسي . وقـد أسلم أولاد برمك هـــذا ، وأبلى أحدهم وهو خالد بن برمك بلاء حسناً في نشر الدعوة العباسية فاستوزره السفاح ، ثم ولاه المنصور على بلاد فارس ثم الموصل .

ولما صار الرشيد خليفة ، قرب إليه يحيى بن خالد بن برمك ، وجعله أكبر شخصية في الدولة ، كما قرب أولاد يحيى : جعفر ، والفضل فقصدهم الناس ومدحهم الشعراء .

وقد سعى أعداء البرامكة بهم عند الرشيد وأوغروا صدره عليهم ، واتهموهم بالاستبداد بالسلطان واغتصاب الأموال . وقد تأكد للرشيد خيانة البرامكة من حادثة يحيى بن عبـد الله العلوي . وكان قد حبسه عند جعفر البرمكي فأطلق هذا سراحه دون علم الرشيد . وقد خشي الرشيد من أن يؤدي ازدياد نفوذ هذه الأسرة الفارسية إلى مزاحمة العناصر العربية ، كما أنه خشي أن تعمل هـذه الأسرة على إعادة ملك الفرس الغابر ، أو تحويل الخلافـة إلى العلويين ، لذلك : صمم على الانتقام منهم واستئصال شأفتهم . فقتل جعفر وأودع يحيى وولديه الفضل وموسى السجن وصادر أملاكهم .

تنظيم الدولة وازدهار الحضارة في عهده :

اهتم الرشيد بتعرف أحوال الرعية . فكان كثير التجوال في بلاده لتوطيد الأمن والقضاء على الفوضى ، وكثيراً ما كان يسير في شوارع بغداد متخفياً لإغاثة الملهوف وإقامة العدل . وقد أنشأ شبكة للري ، وأمر بحفر الترع وشجع الصناعة والزراعة ، وعبّد الطرق وأمنها ، وبنى القناطر والجسور ، حتى سارت قوافل التجارة تربط بين جميع أنحاء الدولة حاملة مختلف المحاصيل .

وقد أنشأ المساجد والمدارس والمستشفيات والمكتبات العامة ، فازدهرت

نسخة مجانية

Marfat.com

الدولة وزادت ثروتها حتى تغنى بوصفها الشعراء والكتاب .

وقد اتسعت بغداد عاصمة الخلافة وتضاعفت مساحتها ووصلت إلى قمة مجدها ، وأصبحت أكبر مدينة في العالم في ذلك الوقت ، وبلغ عدد نفوسها حوالى مليوني نسمة ، وصارت زاخرة بالقصور ، والمدارس ، والمستشفيات ، والجوامع ، والحمامات ، والأسواق التجارية ، فاتصلت مع الأقطار المجاورة بالطرق التجارية البرية والنهرية ، وكانت ترد إليها المتاجر من بلاد الفرس ، والتركستان ، والهند ، والصين ، والشام ، والجزيرة ، والحجاز واليمن ، وصارت بغداد محطاً لطلاب العلم من جميع الجهات الإسلامية . وصارت مقر الأئمة والفحول من الشعراء ، والأطباء ، والمهندسين ، والفلاسفة والصناع المهرة . وقد أخذ علماء بغداد علوم الأمم السالفة من فرس ، وهنود ، وروم وزادوا عليها .

السياسة الخارجية :

الصراع ضد الروم : لم تنقطع الإغارات بين الروم والمسلمين ، وقد رأى الرشيد أن يجعل البلاد المتاخمة للحدود الرومية في الجزيرة ، وأعالي الفرات وشمال الشام إقليماً قائماً بذاته يستكثر فيه من الحصون والحاميات ليقوى على دفع إغارات الروم ، وقد سماها « العواصم » لأنها كانت تعصم المسلمين وتمنعهم من العدو .

وقد اتخذ الرشيد لنفسه مدينة « الرقة » ليراقب منها حركات الروم عن قرب ، وليكون قريباً من الجيوش التي يرسلها لقتالهم ، وكان يغزو الروم مرة كل عامين ، لأنه على ماقيل « كان يغزو سنة ويحج سنة إلا إذا منعه المرض » ، وقد صالحته امبراطورة الروم « إريني » على أن تدفع جزية سنوية ، ولكن خليفتها نقض شروط الهدنة فعادت الحرب سيرتها الأولى بين العباسيين والروم ، وبذلك لم تهدأ الحروب بين الفريقين .

Marfat.com

علاقة الرشيد بشارلمان :

كان أعظم ملوك أوروبا في ذلك الوقت هو شارلمان ملك الفرنجة الذي سعى إلى إيجاد علاقات ودية مع هارون الرشيد . وقد استجاب الرشيد لذلك ، وتبادل الهدايا مع ملك الفرنجة . وكان من ضمن الهدايا التي أرسلها الرشيد لشارلمان « ساعة مائية دقاقة » عجب الإمبراطور شارلمان وحاشيته منها ومن دقة صنعها .

ولاية العهد ووفاة الرشيد :

وقع الرشيد فيما وقع فيه خلفاء سابقون من خطأ ، فقد أوصى بالخلافة لابنه الأمين ، ثم من بعده للمأمون ، ثم لابنه الثالث القاسم الملقب بالمؤتمن . وفي الحقيقة : كان الرشيد واقعاً تحت تأثير حزبين : حزب يمثل النفوذ العربي ويعمل لولاية العهد للأمين وتتزعمه زوجته زبيدة ووزيره الفضل بن الربيع ، وحزب يدعو للمأمون ، لانه كان اكبر سنا من الامين وهذا الحزب يتزعمه الفضل بن سهل ، ويمثل النفوذ الفارسي الذي رأى في نشأة المأمون (وأمه فارسية) مايحقق أمانيهم وأحلامهم . وقد كتب الرشيد عهداً لأولاده الثلاثة أشهد عليه كبار بني هاشم ، والقضاة ، والفقهاء وأودعه الكعبة .

وفاته : كان الرشيد قد سار نحو المشرق لقتال رافع بن الليث الذي خرج عليه في تركستان واستفحل أمره . ولكن الرشيد لما وصل مدينة « طوس » مرض ومات فيها سنة ١٩٣ هـ (٨٠٩ م) وكانت سنه ٤٧ عاماً

الأمين والمأمون

(١٩٣ — ٢١٨ هـ ، ٨٠٩ — ٨٣٣ م)

تولى الأمين الخلافة عقب وفاة الرشيد سنة ١٩٣ هـ فترك أمور الدولة في يد وزيره الفضل بن الربيع . وقد زين له الفضل أن يعزل أخاه المأمون من ولاية العهد ، وأن يأخذ البيعة لابنه . وما زال به

Marfat.com

حتى وافق على ذلك ، وأمر بتمزيق كتاب الرشيد الموضوع في الكعبة ، وكان العرب قد التفوا حول الأمين . (وكان من أم عربية هي زبيدة) وأملوا في خلافتـــه أن يعود إليهم نفوذهم الذي سلبهم إياه الفرس منذ قيـــام الدولة العباسية . والتف الفرس حول المأمون ؛ لأن أمه كانت فارسية الاصل ، ولأنه نشأ بينهم وأقام بين ظهرانيهم ، وأملوا في نجاح محاولاتهم لبسط نفوذهم على الدولة العربيـــة . وكان الفضل بن سهل (الفارسي) هو وزير المأمون ومرشده .

بدأ النزاع بين الاخوين ، وكان في الحقيقة نزاعاً بين الفرس والعرب ، وانتهى هذا النزاع بتغلب طاهر بن الحسين قائد المأمون على الامين ، وقتله ، وتحولت الخلافة إلى المأمون سنة ١٩٨ هـ ، وبذلك انتهى النزاع بانتصار العنصر الاعجمي ، فزاد نفوذ الفرس ، وقويت شوكتهم في عصر المأمون .

كان الفضل بن سهل يدبر أمر المأمون حسبما يريد ، وحمله على الإقامة بخراسان حتى شاع في العراق أن ابن سهل ضيق على المأمون وحجبه عن القواد والناس . وقد استاء العرب من ذلك وقامت الثورات الواحدة تلو الاخرى . وكان المأمون يميل إلى العلويين في أول أمره لتأثره بالفرس ، واختار لولاية عهده « علياً الرضـا » العلوي ، وأمر جنده بخلع السواد شعار العباسيين ، واتخاذ اللون الاخضر شعار العلويين . وقد أراد بذلك أن يكسب رضى الفرس لاعتقادهم أن العلويين أحق بالخلافة ، وكل ذلك من تدبير الفضل بن سهل . ولمـا سمع أهل بغداد بهذا الخبر قرروا خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدي أخي الرشيد بالخلافة . ولما بلغ الخبر إلى المأمون وظهر له خداع الفضل ، أمر بنقل دواوين الحكومة إلى بغداد . وبينما هم في الطريق مات الفضل ، ثم مات ولي العهـــد « الرضا » . ولما قرب المأمون من بغداد خرج إليه أهل بيته والأشراف وسلموا عليه . ودخل المأمون بغداد بموكب كبير وعاد إلى السواد شعار العباسيين ، واكتسب بذلك : رضـا أهل العراق عامـــة وأهل بيته خاصة . وفر

Marfat.com

إبراهيم بن المهدي بعد أن بقي في الخلافة سنتين ، ثم عفا عنه المأمون وقربه .

وقد زاد نفوذ العنصر الخراساني في عهد المأمون ، واستقلت أسرة طاهر بن الحسين الذي دخل بغداد وانتصر على الأمين ، بحكم خراسان استقلالاً داخلياً . وفي عهده قامت في بلاد الفرس بعض طوائف دينية أباحت الكثير من المحرمات ، وأفسدت عقول الناس فحاربهم المأمون .

وكان عهد المأمون أرقى مايكون في العلوم ، وذلك بتشجيع الخليفة فكان يشجع العلماء . وظهرت في عهده نهضة علمية عظيمة واسعة النطاق ، أدت إلى تشعب الآراء في المذاهب الدينية والفلسفية .

المعتصم وبدء النفوذ التركي

(٢١٨ — ٢٢٧ هـ ، ٨٣٣ — ٨٤٢ م)

عهد المأمون قبل موته لأخيه المعتصم ، فلما بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ راى ان دولته الواسعة لابد وان يقوم لحراستها جيش قوي . ورأى أن الامويين كانوا يعتمدون في جيوشهم على العرب ، وأن العباسيين قبله كانوا يعتمدون على الفرس ، ورأى خطر كل من العنصرين ، فقرر أن يشكل جيشاً جديداً من غير هذين العنصرين فاختار عنصراً جديداً هو العنصر التركي ، لأن أمه كانت من أصل تركي . فأرسل إلى بلاد ماوراء النهر لإحضار الشباب الاتراك . وألف منهم فرقة خاصة ذات لباس خاص ، وأسقط العرب من ديوان الجند ، وقضى بذلك نهائياً على النفوذ العربي .

وقد ظن المعتصم أنه بعمله هذا سينقذ الدولة من تسلط الفرس ولكنه مالبث أن شاهد ازدياد نفوذ الاتراك في الدولة ، وعملهم على التسلط على جميع مرافق الحياة فيها . وأهم مثل لذلك ، ادفشين ، احد قواد الاتراك الذين اعتمد عليهم المعتصم ، وتبين فيما بعد أنه يريد القضاء على الخليفة والاستيلاء على السلطة . وقد قبض عليه الخليفة وقتله ، ولكنه

(دراسات في التاريخ الاسلامي ، م/٢٧٤)

Marfat.com

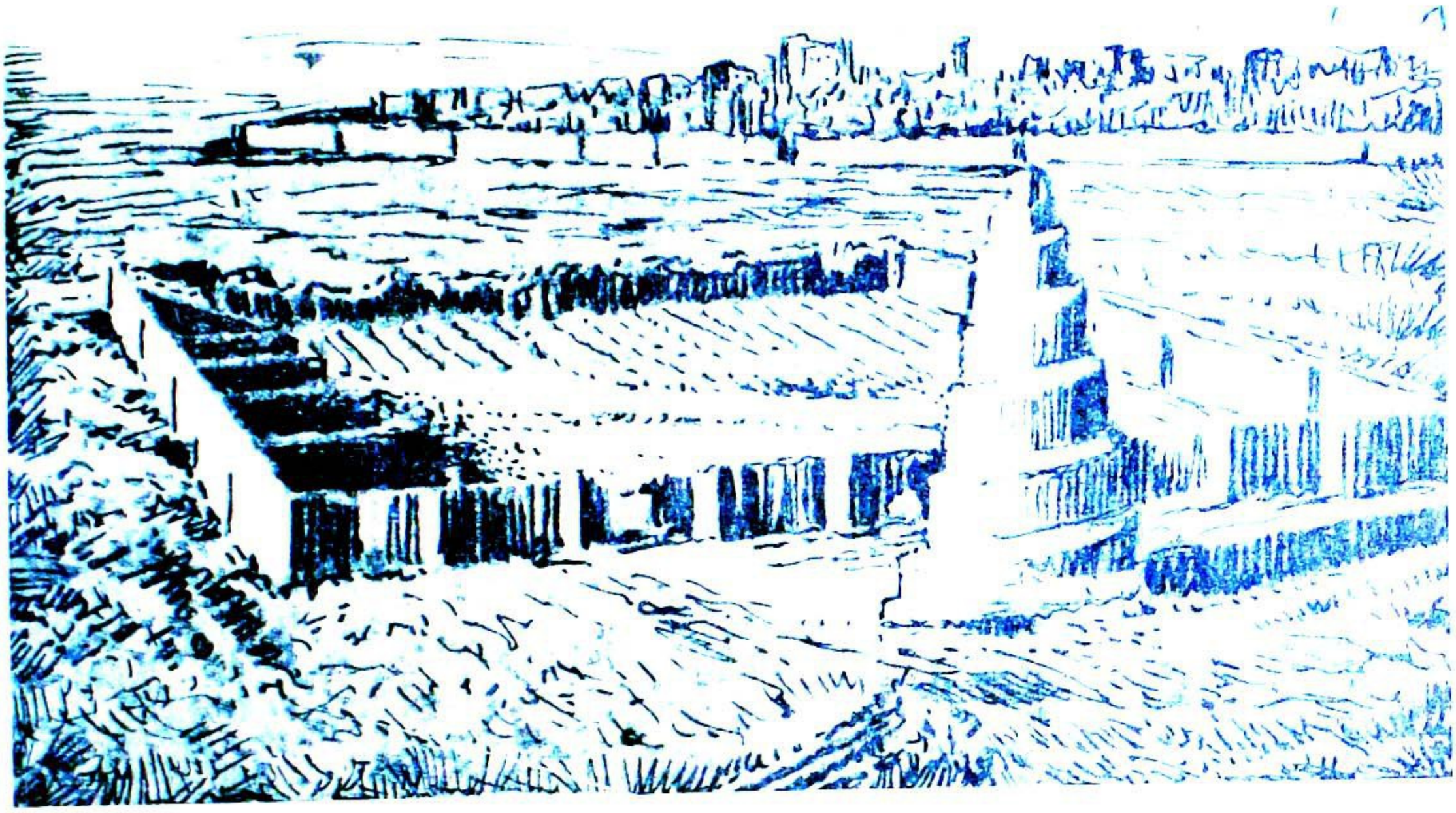

مئذنة جامع سامرا

Marfat.com

لم يستطع أن يتخلص من جميع الاتراك الذين أصبحوا قوة لايستهان بها . وقد استطاع الترك بعد المعتصم أن يلعبوا بالخلفاء العباسيين كما يشاؤون ، فيقتلون ويعزلون ويبعدون أو يسملون عيني من شاءوا من الخلفاء .

بناء مدينة سامرا : (سُرَّ من رأى)

أخذ الجنود الاتراك يعيثون فساداً في بغداد حتى ضج منهم الناس . فلم يجد الخليفة بداً من بناء مدينة جديدة ينتقل إليها هو وجنوده . فأمر ببناء مدينة شرق دجلة بنى له فيها مقراً عظيماً ، وبنى للجنود الاتراك ولقادتهم أحياء خاصة وقد بنى فيها جامعاً واسعاً له مئذنة عالية تسمى « الملوية » وذلك لشكل سلمها الحلزوني . ويبلغ ارتفاعها ٥٥ متراً . ولا تزال باقية إلى الآن . وقد عمرت المدينة وأمها التجار ، والصناع وظلت عاصمة للخلافة العباسية ٦٠ عاماً . ثم أعيدت العاصمة الى بغداد . ويقال : ان اسم المدينة كان « سرور من رأى » ثم اختصر الاسم الى « سُرَّ من رأى » ولكن بعد أن هجرت وخربت سميت « ساء من رأى » واختصرت الى سامراء .

فتح عمورية : هاجم الروم البيزنطيون البلاد الإسلامية ، وسبوا النساء وعذبوا الرجال ، فجهز المعتصم جيشاً عظيماً سار به لقتال الروم ، واستولى على أنقرة ، ودخل مدينة عمورية ، وانتقم لمن عذب من المسلمين ، وقد مدحه الشعراء كأبي تمام الذي قال قصيدة مطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ازدياد نفوذ الأتراك :

سار الواثق [1] على خطة أبيه المعتصم ، من تقريب الأتراك منه ،

(١) تولى الواثق سنة ٢٢٧ هـ التي توافق سنة ٨٤٢ م .

Marfat.com

وتفويض أمور الدولة إليهم ، حتى صارت أكثر وظائف الدولة الرئيسيه بيدهم ، ولقب قائدهم « أشناس » بلقب سلطان ، وتوجه بتـاج مرصع بالجواهر ، وجعله حاجبـاً خاصاً له ، وأعطاه ولاية الجزيرة ، والشام ، ومصر ، وولاية بلاد المغرب ، فولي أشناس على هذه البـلاد ولاة من قبله ، وأقام هو في سامراء . وسار الخلفـاء على هذه القاعدة ، فصار الخليفة يمهد لبعض القـــادة الاتراك بولاية بعض الولايات ، فيقيم في العاصمة وينيب عنه من يقوم مقامه في تلك الولاية (انظر الدولة الطولونية) .

وأخـذ الأتراك يدسّون على الكثير من الموظفين غير الترك ، وأوغروا عليهـــم صدر الواثق ، وزينوا له مصادرة أموالهم كما حدث للبرامكة أيام الرشيد .

فشل المتوكل في القضاء على نفوذ الأتراك :

بعد وفاة الواثق سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) بايع الاتراك أخاه من أبيه جعفر الملقب بالمتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ ، ٨٤٧ — ٨٦١ م) . وقد أدرك المتوكل أن الفضل للأتراك في اختياره خليفة ، وأنهم قادرون على عزله كما استطاعوا توليته ، عـلاوة على سيطرتهم الشاملة على جميع مرافق الدولة . فعزم على الحد من نفوذهم والتخلص منهم بالتدريـج بضرب بعضهم بالبعض الآخر . وقد رأى أيضاً أن يتخذ سياسة التقرب من العرب مع إعادة شيء من النفوذ إليهم ، حتى يكونوا سنداً له في التخلص من الاتراك ، ولذلك نقل عاصمته من سامراء الى دمشق ، وأقام بها ونقل إليها دواوين الحكومة . وهناك تآمر عليه بعض الاتراك وحاولوا اغتياله فترك دمشق ، بدعوى أن مناخها الرطب لا يوافق صحته وعـــاد الى سامراء ، وأسس مدينة المتوكلية بجوارها .

ولما أحس الاتراك بنيـــة المتوكل نحوهم ومحاولة التخلص منهـم ، تآمر بعضهم بالاشتراك مع ابن الخليفـة على قتله قبل أن يحقق مآربه

Marfat.com

ونجحوا في قتله وتنصيب ابنه بدلاً منه ، وأصبحوا هم كل شيء في الدولة .

ولو نجح المتوكل في القضـــاء على نفوذ الاتراك كما نجح أجداده في التخلص من أبي مسلم الخراســـاني والبرامكة وغيرهم لأنقذ دولته من شر مستطير .

أدوار الضعف والانحطاط في الدولة العباسية :

انتهى الدور العباسي الاول ، دور القوة والتوســع والخلفاء الاقوياء الذين استطاعوا أن يحافظوا على هيبة الدولة ، ودافعوا عنها ضد أعدائها من بيزنطيين وغيرهم ، وقضوا على الثورات الداخلية ، وشجعوا العلوم ، والآداب حتى وصلت المدنية العربية في عهدهم إلى أزهى عصورها . وظل الامر على هذا المنوال حتى استخدم المعتصم الترك ، وأعقبه الواثق الذي قربهم إليه حتى طغوا واستبدوا بأمور الدولة . واستطاعوا قتل المتوكل عندما حاول التخلص منهم .

وبوفاة الواثق يبدأ دور ضعف الخلفاء العباسيين . واستبداد الأتراك بهم ، وتدخلهم الصريح في إدارة الدولـــة حتى صار في يدهم تولية الخلفاء وعزلهم .

وأخذ ولاة الاقطار يستقلون بولاياتهم ويلقبون أنفسهم بالملوك والسلاطين ، ولم يكن يربطهم بالخليفة إلا الدعاء له في خطب الجمع والاعياد .

وقد ظهرت خلافتان أخريان : إحـداهما في الاندلس ، والاخرى في مصر . وقد حاولت الخلافـة الفاطمية في مصر القضاء على الخلافة العباسية في بغداد ، وقد استمرت الدولة العباسية في ضعفها حتى قضى عليها المغول ، وسقطت بغداد في يد المغول سنة ١٢٥٨ م ، سنة ٦٥٦ هـ .

ويقسم المؤرخون هذا العصر إلى ثلاثة أدوار نسبة إلى العناصر المتغلبة في كل دور على الدولة العباسية في بغداد . وهذه الأدوار هي :

Marfat.com

١ – دور نفوذ الاتراك : (٢٣٢ – ٣٣٤ هـ – ٨٤٧ – ٩٤٥ م) ومدته ١٠٢ عاماً .

وفي هذا الدور : أخذ كثير من الولايات في الاستقلال عن بغداد ، كالطولونية ، والإخشيدية في مصر والشام .

٢ – دور نفوذ آل بويه : (٣٣٤ – ٤٤٧ هـ ، ٩٤٥ – ١٠٥٥ م) .

وقد دعاهم الخلفاء لمعاونتهم وتخليصهم من الحالة السيئة التي كانوا (أي الخلفاء) عليها ، وهم من الديلم ، كانت لهم دويلات في فارس ، والعراق ، والاهواز قبل أن يستبدوا بالسلطة في بغداد ، وقد شجعوا الحركات الادبية والعلمية .

دور نفوذ الاتراك السلاجقة : (٤٤٧ – ٦٥٦ هـ ، ١٠٥٥ – ١٢٥٨ م)

وفي هذا الدور كان النفوذ والسلطان بيد الاتراك السلاجقة الذين ينتسبون إلى سلجوق أحد زعماء بلاد التركستان . وقد قضى طغرل بك أحد زعمائهم على آخر أمراء البويهيين وأصبحوا أصحاب السلطة في بغداد .

ويمتاز عصر السلاجقة بظهور غزوتين :

١ – أولاهما مجيء الحملات الصليبية ، وتأسيس إمارات لاتينية في سوريا وفلسطين .

٢ – قيام غزوات مغولية أخذت تفد من الشرق حيث صحراء منغوليا في أواسط آسيا ، وتتجه غرباً مستولية على البلاد الإسلامية ، حتى استولوا نهائياً على بغداد سنة ٦٥٦ هـ – ١٢٥٨ م .

عوامل سقوط الدولة العباسية :

يرجع سقوط الدولة العباسية إلى عدة عوامل :

١ – كانت الدولة الاموية دولة عربية بحته . ولكن الدولة العباسية كانت فارسية الصبغة . وقد آثر العباسيون الفرس بالمناصب المدنية

Marfat.com

والمسكرية ، وصار منهم الوزراء والقواد وغيرهم . وأوغر هـذا صدر العرب على العباسيين . ومما زاد في حقدهم أنهم مثلوا ببني أمية وناصبوا العلويين العداء . وقد عمل الفرس على إقصاء العرب عن الخلفاء خوفاً من تأثير العرب على الخلافه .

وقد استبدل الخلفـــاء الأتراك بالفرس . وقد حاول الاتراك بدورهم انتزاع السلطة من الخلفاء ، فصارت الدولة ميداناً للدسائس والخيانة . فبطبيعة الحال لم يكن الفرس والاتراك يتصفون بالإخلاص والولاء للدولة العباسية . وقد اختل توازن الدولة وسادتها الفوضى ، حتى أصبح الخلفاء ألعوبـة في يد القواد من الاتراك علاوة على التنازع والتشاحن بين القواد أنفسهم مما لم يترك للدولة الفرصة للاستقرار .

٢ – امتاز العصر العباسي الاول بخلفـاء أقوياء وطدوا الدولة وثبتوا دعائمها ورفعوها إلى أوج عزها ومجدها . وقد أتى بعدهم خلفاء ضعاف لم يتمتعوا بصفات أسلافهم العظام ، بل أخلدوا إلى الدعة وأسرفوا في الترف والتبذير . فأدى ذلـــك إلى سوء الحالة الاقتصادية ، وازدياد المصروفات وثقل الضرائب فضعفت الدولة .

٣ – كان العلويون يعتقدون أنهم أحق بالخلافـــة من بني العباس . فقامت عدة ثورات للانتقاض على حكم العباسيين ، فتمكنوا من تأسيس عدة دول مستقلة ، مثل : دولة الأدارسة ببلاد المغرب ، والدولة الفاطمية في شمال افريقية ومصر ، والدولة البويهية في بغداد .

٤ – كانت الدولة العباسية مترامية الأطراف ، فقد امتدت من المحيط الأطلسي غرباً إلى حدود الصين شرقاً . فلم يستطع الخلفاء الدفاع عن أطراف الدولة . وقد انتهز ولاة الأقاليم فرصة ضعف الحكومة المركزية في بغداد فاستقلوا بأقاليمهم .

٥ – ظهور مذاهب دينيه جديدة ، وانتشار البدع والآراء الفلسفية

Marfat.com

مما أدى إلى قيام المذاهب المختلفة ، الأمر الذي فرق كلمة الأمة ومزق وحدتها ، وأذكى نار العداوة بين المسلمين .

٦ — لم يتعظ الخلفاء العباسيون بما حدث في أيام الامويين فاتبعوا نظام تولية العهد اثنين يلي أحدهمـــا الآخر ، وقد أدى انقسام الاسرة المالكة على نفسها إلى محاولة ولي العهد - متى أصبح خليفة - إحلال أحد أبنائه محل ولي العهد الثـاني ، فتنقسم الأسرة قسمين متعاديين يحاول كل منهما القضاء على الآخر .

أســـئلة

(على الباب الخامس)

١ — اغتصب العباسيون الخلافة من الأمويين . اشرح كيف انهارت الدولة الأموية وكيف انتقل الحكم العباسيين ؟

٢ — « يعتبر عصر الرشيد من أزهى عصور الدولة العباسية » اشرح ذلك .

٣ — « كان النزاع بين الأمين والمأمون في الحقيقة نزاعاً بين نفوذ الفرس والعرب . » اشرح ذلك تاريخياً .

٤ — يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، فما دليك على ذلك ؟

٥ — ما العوامل التي أضعفت الدولة العباسية وأدت في النهايـة إلى سقوطها ؟

Marfat.com

الباب السادس

الحركات الانفصالية وأثرها في الدولة الاسلامية

بالرغم من قوة الدولة العباسية في إبان مجدها وعزها ، ظهرت بعض الحركات الانفصالية ، ولعل ذلك راجع إلى سعة رقعتها وانفساح مداها . فلقد استقل عبد الرحمن الداخل ببلاد الاندلس سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) . ثم تأسست دولة الأدارسة في مراكش (١٧٢ - ٣١١ هـ ، ٧٨٨ - ٩٢٣ م) في عهد الرشيد . كما أننا نعلم أن الرشيد نفسه قد منح إبراهيم بن الاغلب استقلالاً داخلياً في تونس ، فقامت بذلك دولة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦ هـ ، ٨٠٠ - ٩٠٢ م) في بلاد المغرب . وفي أيام المأمون قامت الدولة الطاهرية في خراسان (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ ، ٨٢٠ - ٨٧٢ م) .

وحينما انتابها الضعف واستبد الاتراك بالسلطان فيها ، زادت حركة الخروج على الدولة العباسية ، فاستقل أحمد بن طولون بمصر (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ ، ثم تلاه الاخشيديون (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ ، ٩٣٥ - ٩٦٩ م) ثم تلاهم الفاطميون حيث قامت بها خلافة جديدة تنافس الخلافة العباسية ببغداد .

وقيام هذه الدويلات ، وإن كان مظهراً من مظاهر ضعف الدولة العباسية ، إلا أنه كان له أثر كبير في الحضارة الإسلامية . فقد ظهرت مراكز أخرى تنافس بغداد ، مثل : قرطبة ، والقاهرة ، وبخارى . وأصبح كل منها قبلة العلماء والشعراء بعد أن كانت بغداد وحدها مركز الحضارة .

بعض الدول المستقلة التي انفصلت عن الدولة العباسية

١ - البويهيون :

وقد سبق الكلام عنهم عند الكلام عن أدوار الضعف في الخلافة العباسية .

Marfat.com

٢ ـ الدولة الحمدانية :

(٣١٧ ـ ٣٩٤ هـ ، ٩٢٩ ـ ١٠٠٣ م)

وقد تأسست في الموصل والشام واشتهر من أفرادها سيف الدولة الحمداني الذي اتخذ حلب عاصمة لملكه . وقد كان سيف الدولة مقداماً شجاعاً يمثل الكرامة العربية في الوقت الذي كانت الولايات الإسلامية الأخرى في أيد فارسية وتركية .

ورغم المتاعب التي كان يواجهها سيف الدولة من الروم في الشمال والفاطميين في الجنوب . فقد استطاع أن ينشر العلم ويرعى الادب ، فنبغ في عهده كثير من العلماء والادباء ، وقصائد أبي الطيب المتنبي في سيف الدولة الحمداني أشهر من أن تذكر . كما أن أبا الفرج الاصفهاني ألف خصيصاً له كتاب الاغاني . فأجازه عليه جائزة سنية بلغت ألف دينار .

٣ ـ الدولة السلجوقية :

(٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ ، ١٠٥٥ ـ ١٢٥٨ م) .

وقد تكلمنا عن هذه الدولة عند الكلام عن أدوار الضعف في الدولة العباسية .

٤ ـ الدولة الأموية في الاندلس :

(١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ ، ٧٥٦ ـ ١٠٣١ م) .

أسسها أحد أفراد البيت الأموي ، وهو : عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بعبد الرحمن الداخل ، المعروف بصقر قريش لأنه أول من دخل الاندلس من الامويين . وقصة ذلك : أن عبد الرحمن ابن معاوية فر هارباً من انتقام العباسيين إلى شمال افريقية حيث أخواله واختفى بينهم . وكان يحكم الاندلس في ذلك الوقت : يوسف بن عبد الرحمن الفهري . وكانت أحوال الاندلس في اضطراب شديد والخلاف بين القبائل العربية وخصوصاً بين المضريين واليمنيين على أشده ، وكذلك بين العرب من ناحية والبربر من ناحية أخرى ، يضاف إلى ذلك محاولة الاسبان الهجوم على أملاك المسلمين ، مستفيدين من هذا الخلاف .

فانتهز عبد الرحمن الداخل هذه الفرصة ، واتصل بزعماء القبائل اليمنية

Marfat.com

بواسطة مولاه « بدر » فرحبوا به ، وأحسنوا استقباله ، وكثر أتباعه واستطاع أن ينتصر على يوسف الفهري في موقعة « المسارة » بالقرب من قرطبة سنة ١٣٩ هـ ، وتأسست الدولة الاموية في قرطبة بالاندلس مستقلة عن الدولة العباسية .

وقد تمكن عبد الرحمن من التغلب على الصعاب التي واجهته في حكمه . ومن هذه الصعاب محاولة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور القضاء على هذه الدولة الناشئة . ولكن عبد الرحمن تمكن من القضاء على جيش المنصور ، الذي كان بقيادة العلاء بن مغيث ، مما حدا بأبي جعفر المنصور أن يقول : « الحمد لله الذي جعل بيني وبين صقر قريش (يعني عبد الرحمن الداخل) هذه البحار الواسعة » . كذلك لم تنجح محاولات عبد الرحمن الفهري ، وحليفه شارلمان في القضاء على عبد الرحمن .

وبالرغم من كل ذلك وجد عبد الرحمن وقتاً للقيام بالاعمال العمرانية ، فزين قرطبة بالمباني الفخمة والحدائق الغناء . وبدأ بإنشاء مسجدها الكبير الذي أكمله بعده ابنه . وكان عبد الرحمن محباً للعلم والصناعة ، وتوفي سنة ١٧٢ هـ .

وكانت مدة حكمه ٣٣ سنة ، وقبره بجامع قرطبة إلى الآن .

هشام بن عبد الرحمن

(١٧٢ - ١٨٠ هـ) — (٧٨٨ - ٧٩٦ م)

خلف هشام أباه عبد الرحمن ، وكان تقياً صالحاً ، حتى شبهه بعض المؤرخين بعمر بن عبد العزيز ، وكان محباً للعمران ، زين مدينة قرطبة بالمباني الفاخرة والبساتين ، وأتم بناء جامع قرطبة ، الذي أسسه أبوه وكان متواضعاً يختلط بالرعية ويتفقد أحوالهم ومات بقرطبة ، وكانت مدة حكمه سبع سنين ، وخلفه ابنه الحكم الاول .

Marfat.com

الحكم بن هشام

(١٨٠ ٢٠٦ هـ) — (٧٩٦ - ٨٢٢ م)

خلف أباه هشاماً . وكان العلماء والفقهاء يتمتعون بمنزلة عالية ، ونفوذ كبير في عهد أبيه . ولكنه اتبع سياسة مخالفة ، فأراد إبعادهم عن التدخل في شؤون الدولة وقصر عملهم على إقامة الشعائر الدينية ، والفصل في القضايا فقط فحنقوا عليه ، وصاروا يذمونه في المساجد والطرقات . ومما زاد في ثورتهم أنه أتى بكثير من الجند المرتزقة من زنوج أفريقية ليكونوا حرساً له . وقد عاثوا في الطرقات فساداً ، واستطاع العلماء أن يحرضوا المولدين الأسبان (وهم سكان البلاد الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام) على العصيان . وقد استطاع الحكم أن يتغلب عليهم جميعاً .

وقد قامت في عهده ثورة دبرها عماه عبد الله وسليمان ولدا عبد الرحمن ، استعانا بشارلمان ، ولكن الحكم انتصر عليهم ، وأنقذ بذلك الاندلس من الثوار الداخليين وحماها من الغزو الاجنبي ، ووطد الامر لمن جاء بعده .

عبد الرحمن الثاني

(٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) — (٨٢٢ - ٨٥٢ م)

ورث عبد الرحمن الثاني عن آبائه دولة متحدة كثيرة الخيرات ، فاستطاع أن يتفرغ لإصلاح البلاد والعمران ، والاهتمام بالعلوم والمعارف ، حتى نافست الدولة الأموية في الاندلس في عهده : الدولة العباسية في بغداد في العظمة والنهضة العلمية . وقد بالغ في تجميل مدينة قرطبة ، وأقام بها الحمامات العامة ، والحدائق ، والبساتين وشق الشوارع الفسيحة ، وزاد في بناء الجامع الكبير ، وأنشأ المساجد ، وجعل إلى جانب كل مسجد مدرسة ومستشفى ، وشجع العلوم والآداب ، والفلسفة ، حتى نبغ في أيامه العلماء في كل فن .

Marfat.com

وكان يمتاز بالتسامح الديني ، وترك للمسيحيين من أهل البلاد الحرية في إقامة شعائر دينهم ، كما كانوا يعينون في أرقى المناصب المدنيـــة والعسكرية . وقد اعتنق الكثير منهم الإسلام ، وانتشرت بينهم اللغة العربية .

وعلى الرغم من هـــذا التسامح الديني ، الذي كان يتمتع به أهـــل الأندلس ، استطاع بعض المتعصبين أن يوقعوا الفتنة بين المسلمين والمسيحيين . فقامت عدة مذابح . ولكن الأمور عادت إلى السكينة حينما رجع القسس إلى صوابهم .

وحينما التقت مصالح الدولة البيزنطية مع مصالح الدولة الأمـــوية في الأندلس قام بينهما شبه تحالف للقضاء على المعسكر الآخر ، الذي تمثله الدولة العباسية في الشرق وشارلمان[1] في الغرب (عدو الدولة البيزنطية) .

عبد الرحمن الثالث

(٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) - (٩١٢ - ٩٦١ م)

بين سنتي ٢٣٨ - ٣٠٠ هـ تعاقب على عرش بلاد الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الثاني ، ثلاثة أمراء ضعاف تأخرت بلاد الاندلس في عهدهم ، وأصبحت تتألف من مقاطعات كثيرة مستقلة بشؤونها الداخلية ، يحكمها أسرات من العرب ، أو البربر ، أو المولدين . وأصبح نفوذ الامـــير الاموي يكاد يكون قاصراً على العـــاصمة . وقد ظلت بلاد الاندلس على هذا الحـــال من الضعف والتفكك ، والاضمحلال وأوشكت على الزوال لولا أن وليها أمير قوي هو عبـــد الرحمن الثالث الملقب بالناصر الذي استطاع أن يعيد لها قوتها وهيبتها .

وقد عمل عبد الرحمن الناصر ، منذ ولي عرش الامويين في الاندلس على إعادة الوحدة إلى البلاد .

---

(١) انظر العلاقات بين شارلمان وهارون الرشيد ،

Marfat.com

إحياء الخلافة الاموية : لقب عبد الرحمن الثالث باسم الناصر ، ولم يتصد أمويو الاندلس لمنصب الخلافة في بادىء الأمر لما كان له من الرهبة في النفوس ، ولأن خلفاء بغداد الاول كانوا أقوى ملوك الارض بلا جدال . لذلك لم يتلقب من سبق عبد الرحمن الناصر على العرش من الأمويين بالخلافة ، بل اكتفوا بلقب أمير . ولكن في عهد عبد الرحمن كان الحال قد تغير فقد أخذت الدولة العباسية في الإنحلال والضعف ، حتى استبد الأمراء الأتراك بالحكم . ورأى عبد الرحمن بعد انتصاره على أعدائه جميعاً أن يتلقب بلقب خليفة خصوصاً وأن هناك خليفتين آخرين هما : الخليفة العباسي ، والخليفة الفاطمي (ومقره القاهرة) . وقد بايعه أهل الاندلس والمغرب الاقصى على أنه أمير المؤمنين الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله . وهكذا أحييت الخلافة الأموية بالاندلس .

وفي عهده : ازدهرت قرطبة الواقعة على نهر الوادي الكبير ، وصارت أعظم مدن العالم في السعة والشهرة ، من حيث العمائر الفخمة والمساجد العظيمة ، والجسور والمدارس التي أصبحت محطاً للطلاب من جميع أنحاء أوروبا ، وقد بنى مدينة الزهراء - إحدى ضواحي قرطبة - وأنفق عليها سبعة ملايين دينار ، وبنى فيها قصراً فخماً ومسجداً عظيماً .

وفي عهده نشطت الزراعة ، والصناعة والتجارة ، والعلوم والفنون . وبلغت البلاد في أيامه درجة كبيرة من المجد حتى صارت قرطبة تنافس بغداد عاصمة الدولة العباسية في ذلك الحين .

نهاية الدولة الأموية في الاندلس : سارت الخلافة الأموية نحو الضعف ، واستبد حجاب القصر ، وأشهرهم : محمد بن عبد الله بن أبي عامر الذي عرف بالمنصور ، استبدوا بالسلطة دون الخلفاء ، وصاروا يتوارثون المناصب . وأصبح الخليفة بالاسم فقط ، ولا حول له ولا قوة . وأخيراً تمكن أحد القواد ، وهو ابن حمود ، من دخول قرطبة وقتل الخليفة . وقد بايعه

Marfat.com

الناس بالخلافـــة وهو ليس من نسل الأمويين ولكنه من الأدارسة . ثم حدث خلاف بين بني حمود ، فبايع أهل قرطبة لبعض الأمويين ، الذين عادوا من جديد إلى الفرقة والإنقسام والتخاصم ولم يفكروا في الإتحاد ضد أعدائهم مما سهل للمناوئين القضاء عليهم .

وفي سنة ٤١٧ هـ ١٠٢٥ م أصبحت قرطبة بلا خليفة وانعقد مؤتمر في قرطبة للنظر في أمر الخلافة الأموية وقرر نهايتها . وتأسس مجلس إدارة لحـــكم البلاد . وبذلك : قامت في الأندلس دويلات عديدة ، من بينها دولة « بني عباد » في أشبيلية ، وبني « ذو النون » في طليطلة ، و « الزاويين » في غرناطة ويعرف أمراء هذه الدويلات بملوك الطوائف - أي صغار الملوك .

خروج العرب من الأندلس : وقـــد أدى تجزؤ بلاد الأندلس إلى ضعف المسلمين ، ومهد السبيل للإمارات المسيحية في الشمال للقيـــام في وجه أمراء العرب على أثر ما قام بينهم من التنازع والتنافس على السلطة ، حتى بلغ من تنافسهم أن كان بعضهم يستعين بالمسيحيين على المنافسين . وقد قوي أمر المسيحيين في شمـــال الأندلس حتى أصبحوا خطرا على الدويلات الإسلامية . وقامت الحروب الاهلية بين العرب والبربر ، وقوي بذلك نفوذ الإمارات المسيحية في الشمال ، وتقدموا نحو الجنوب وهددوا قرطبة . فاستعان عرب الاندلس بالموحدين في مراكش سنة ٥٤٠ هـ ، ١١٤٥ م. ولما ضعفت دولة الموحدين ، وتجزأت بين أمراء العرب استمر المسيحيون يهاجمون قرطبة ، حتى استولوا عليها سنة ٦٣٤ هـ ، ولم يبق في وجههم سوى بني نصر ، أو بني الأحمر ، الذين استقلوا ببلنسية سنة ٦٣٠ هـ.

وقد انكمشت دولة المسلمين في إمارة غرناطـــة التي أسس بها محمد

Marfat.com

ابن الأحمر دولة قوية ، وقفت في وجه المسيحيين قرنين ونصف ، وساعدها على ذلك مناعة موقعها وعدم اتحاد الأمراء المسيحيين ضدها ، وقد عمل أمراء بني الأحمر على تنمية ثروة إمارتهم ، فارتقت صناعتها وراجت تجارتها وتقدمت الزراعة كما شجعوا العلوم والفنون ، ومن أشهر آثارهم قصر الحمراء وهو عبارة عن حصن أحمر اللون داخله قصر فخم لا يزال إلى الآن محلا للاعجاب برغم طول العهد الذي مر عليه .

وقد ظلت إمارة غرناطة قوية منيعة إلى أن دب الانقسام بين أمرائها بسبب التنافس على السلطة . وفي نفس الوقت كان الأمراء المسيحيون يعملون على توحيد كلمتهم ، ولما زادت قوتهم باتحاد أرجونة وقشتالة

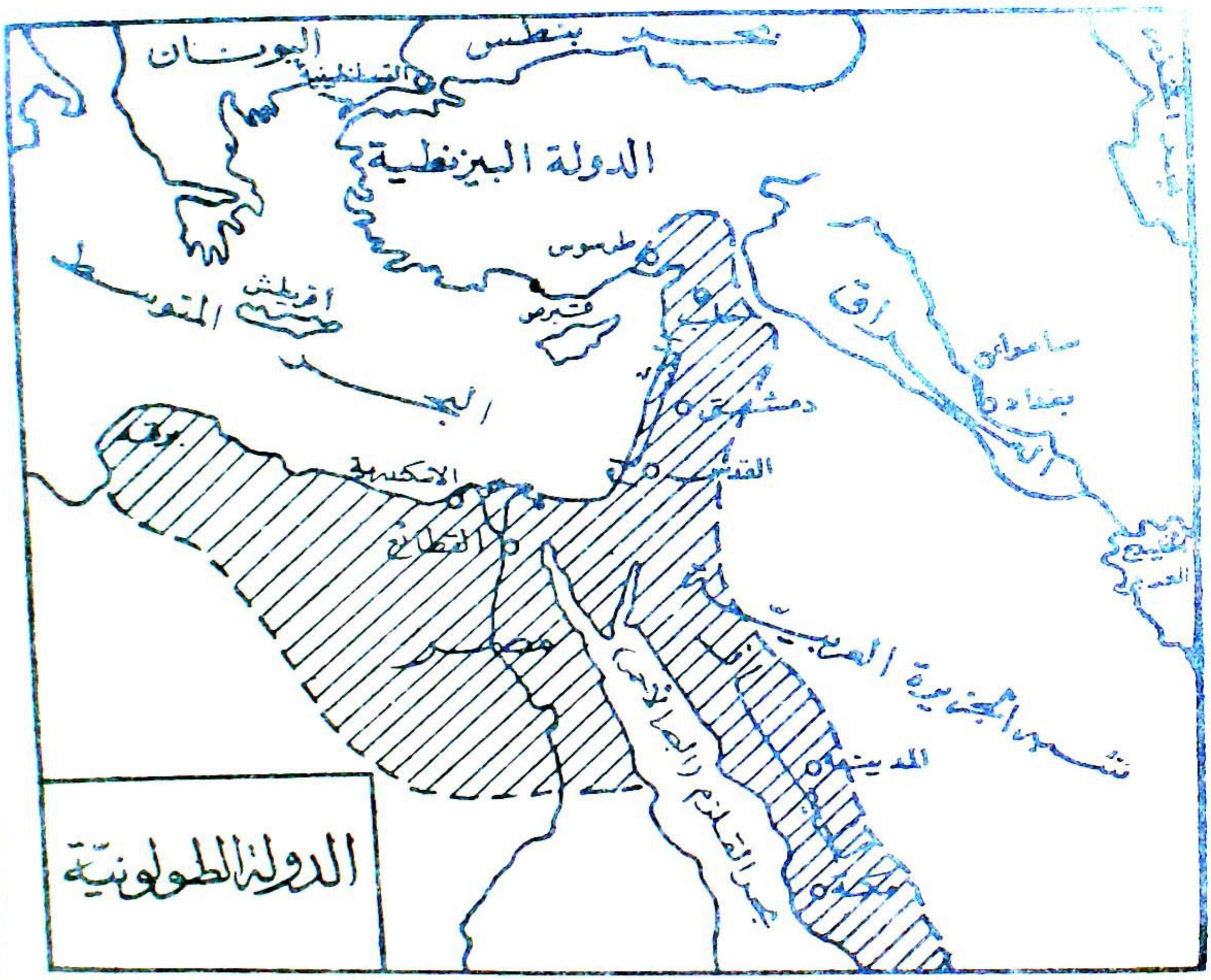

Marfat.com

استولوا على غرناطة سنة ٨٨٧ هـ ، ١٤٩٢ م .

وبسقوط غرناطـــة في يد الأسبان انتهى حـــكم المسلمين في بلاد الأندلس ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

٥ ـ الدولة الطولونية في مصر:

(٢٥٤ ـــ ٢٩٢ هـ) ـــ (٨٦٨ ـــ ٩٠٥ م)

تأسيسها : أسسها أحمد بن طولون ، الذي نشأ نشأة حسنة . وكان

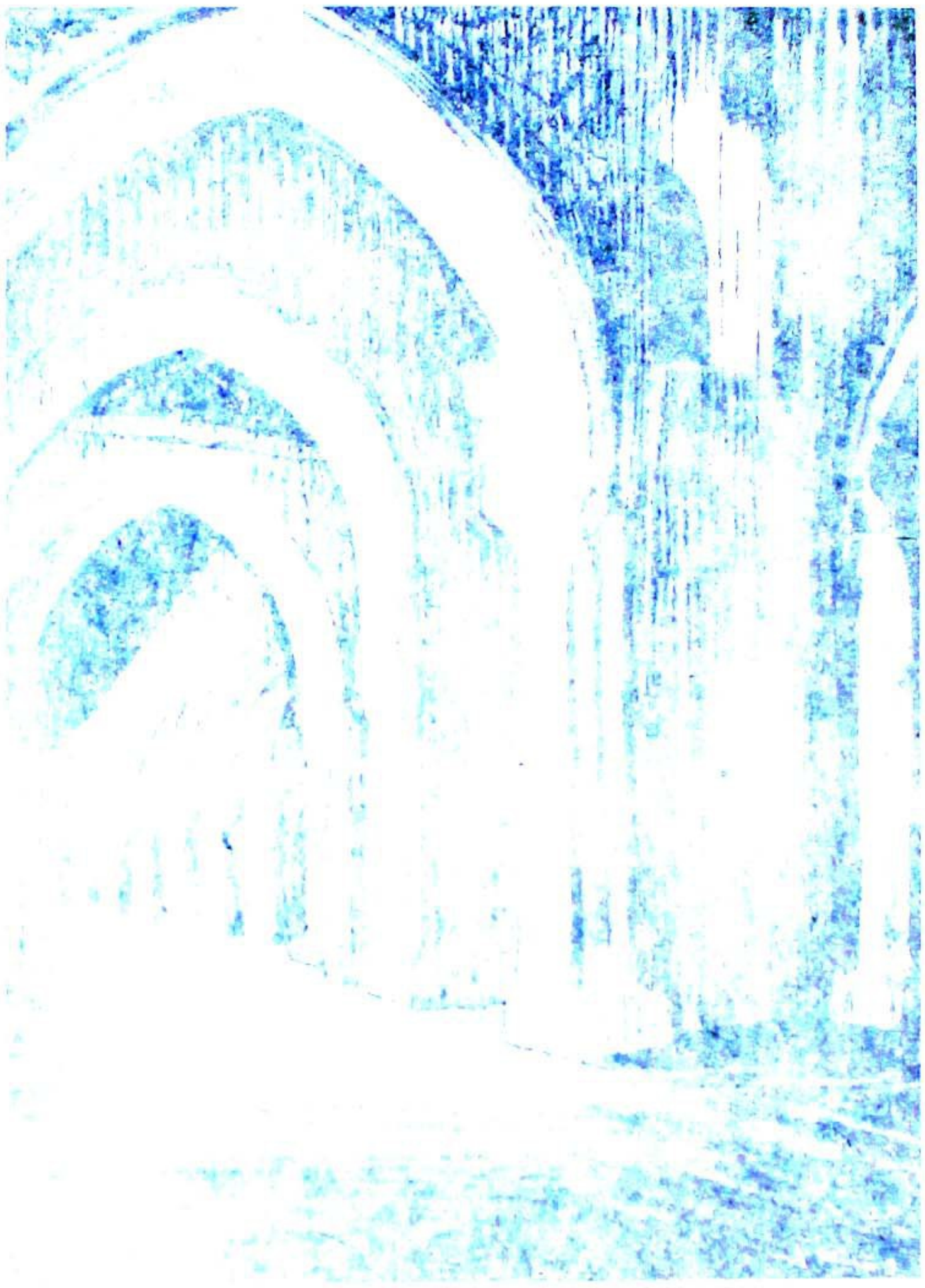

جامع ابن طولون

(دراسات في التاريخ الإسلامي ٢ـ م - ٨)

Marfat.com

شجاعاً مقداماً ، نبغ في الشريعة ، والأدب ، والفنون الحربية . وكان أبوه « طولون » مملوكاً تركياً أرسله حاكم بخارى هدية إلى الخليفة العباسي « المأمون » ، وظل يرتقي المناصب حتى عينه الخليفة رئيس حرسه .

وفي سنة ٢٥٤ هـ عين الخليفة الأمير بايكباك (بقبق) والياً على مصر ، وكان من عادة هؤلاء الولاة أن يبقوا في مركز الخلافة وينيبوا عنهم من يذهب إلى الولايات لإدارة شؤونها . وهـذا ما حدث حين تولى بايكباك ولاية مصر ، فقد أرسل نائباً عنه : أحمد بن طولون . وكان بايكباك يعرفه حق المعرفة ؛ لأنه (أي بايكباك) تزوج أمه بعد وفاة أبيه طولون .

وقد أظهر أحمد بن طولون من حسن الإدارة وتصريف الأمور ما جعل الناس يثقون فيه ويحبونه ، الأمر الذي ساعده على النهوض بمصر .

وقد صادفت أحمد بن طولون صعاب أمها :

١ — لما قتل بايكبـاك تصادف أن عين الخليفة أميراً آخر على مصر ، ولحسن حظ أحمد كان الوالي الجديد صهره المسمى برقوق ، فأبقاه في منصبه وزاد على ذلك أن ولاه الاسكندرية وأطلق يده في شؤون مصر .

٢ — كان عامل الخراج على مصر شخصاً عرف بالطموح والدهـاء والمكر وهو أحمد بن المدبر . وكان يطمع أن يكون والياً على مصر ، فبدأ يدس لأحمد بن طولون عند الخليفة . ولكن أحمد بن طولون قطع عليه الطريق بأن استمال الخليفة بالهدايا ، وتمكن من أن ينقل ابن المدبر إلى مثل وظيفته بالشام

٣ — حاول « الموفق » أخو الخليفة ، وكان كارهاً لأحمد بن طولون أن يحاربه ، ولكن ابن طولون كان قد وطد علاقته مع الخليفة مباشرة . كما رأينا فلم يستطع الموفق برغم دسائسه أن ينال بغيته من ابن طولون .

استقلاله بمصر : كوّن ابن طولون جيشاً قوياً وأسطولاً ضخماً ، وساعده ذلك على زيادة نفوذه ، الأمر الذي حدا به أن يمنع الخراج

Marfat.com

عن الموفق لينفق على أسطوله وجيشه ، فحنق الموفق عليه . ولكنه كان عاجزاً عن محاربته بسبب عـدم وجود المال اللازم . وقـد استطاع ابن طولون باستمالة الخليفة أن يحقق لنفسه استقلالاً داخلياً .

توسيع ملكه : لما وافت المنية « ماجور » والي الشام ، طمع ابن طولون في الإستيلاء عليها ، فوجه جيوشه إلى الشام ، وفتح دمشق ، ووصل شرقاً حتى الفرات ، وشمالاً حتى جبال طوروس . وقـد انتصر على الروم في شمال الشام قرب طرسوس وغنم غنائم كثيرة .

أعماله السلمية .

١ - لما ضاقت مدينة العسكر (وكان قـد بناها العباسيون بجوار الفسطاط) بجند ابن طولون ، أسس حاضرة جديدة لملكه سماها « القطائع » في شمال الفسطاط ، وسبب هذه التسمية : أن كبار رجال دولته وقادته وغلمانه اتخذ كل منهم قطيعة خاصة به . وقد اتسعت القطائـع حتى اتصلت بالفسطاط .

٢ - اهتم بالعمائر الكثيرة ، وأشهر مبانيه : جامع ابن طولون الموجود حتى الآن بالقاهرة ، ويمتاز بمئذنته ذات السلم الحلزوني من الخـارج (على مثال جامع سامراء) وقد ألحق بذلك الجامع طبيباً خاصاً ليشرف على مداواة المصابين والمرضى من المصلين في يوم الجمعة . كما أنه أنشأ مارستاناً - أي مستشفى - يقيم فيه المرضى من كل دين وملة وتصرف لهم الأدوية بلا مقابل .

٣ - أنشأ داراً لسك العملة ، واتخذ الدينار الذهبي وحدة لهذه العملة .

٤ - اعتنى بميناء الاسكندرية فرممه وأصلح منارته .

٥ - حصن الثغور وبنى حصنا منيعاً في جزيرة الروضة ليكون معقلاً له وقد بلغ من نفوذ ابن طولون أن استطاع أن يورث الولاية لابنـه خمارويه . وقد تُوفي ابن طولون ، وهو في الخمسين من عمره ، بعـد

Marfat.com

أن أوجد في مصر نظاماً واستقراراً نهضت مصر نتيجة لهما وعم فيها الرخاء .

خمارويه : تولى بعد أبيه . وقامت الحروب بينه وبين الخليفة . وكان في أول الأمر جاهلا بشؤون الحرب ، مما جعله يخسر معارك كثيرة ، ولكنه بعد أن اعتاد على المعارك أظهر شجاعة كبيره ، وانتصر في النهاية فاسترجع الشام التي كانت قد ضاعت منه أول الامر ، كما صالح الخليفة وزوجه ابنته « قطر الندى » وصرف على ذلك مبالغ طائله حتى فرغت خزائنه التي تركها والده أحمد بن طولون مكدسة بالأموال . وكان خمارويه ميالاً إلى الترف فاتخذ الحدائق وبها الحيوانات كالأسود بعد أن استأنسها ، كما عمل له بركة من الزئبق ليضع فيها سريره ليستطيع النوم بعد أن انتابه الأرق .

وقد تقدمت الصناعة في عهده وراجت التجارة ، وعمرت الأسراق ولكن الإسراف الذي سار عليه خمارويه أفقر الخزانة وأضعف الدولة .

وبعد وفاة خمارويه تولى ابنه « أبو العساكر الجيش » وكان ميالاً للهو والملذات . ففسدت إدارة البلاد وخلت الخزينة من المال ، وخرجت سوريا عن طاعته وانتهى به الأمر إلى العزل ، وعادت مصر للخلافة العباسية ثانية ، وظلت كذلك إلى أن وليها محمد بن طغج الأخشيد سنة ٣٢٣ هـ . فدخلت مصر في عهد جديد من التقدم والاصلاح .

(و) االدولة الإخشيدية

(٣٢٤ - ٣٥٨ هـ) — (٩٣٥ - ٩٦٩ م)

ظلت مصر بعد الدولة الطولونية في فوضى بسبب رجوعها إلى الإدارة العباسية وزوال استقلالها ، حتى تولاها ابن طغج الإخشيد .

محمد بن طغج الإخشيد : وهو من سلالة ملوك فرغانة . وقد خدم أبوه في جيش خمارويه ، ويلقب بالإخشيد . وقد عينه الخليفة العباسي

Marfat.com

« الراضي » والياً على مصر . فنظم الأقنية ونشط الزراعة ، حتى عاد لمصر رونقها وأمنها وطمأنينتها . وقوى جيشه ، حتى بلغ ما يزيد على أربعين ألفاً حارب بها ابن رائق وتغلب عليه ثم عقد معه صلحاً على أن يقتسما بلاد الشام . فيأخذ الإخشيد القسم الجنوبي ، ويأخذ ابن رائق القسم الشمالي . وبعد وفاة ابن رائق ضم الإخشيد باقي الشام بدون حرب ، ثم فتح الحجاز وضمها إلى مصر وأصبحت بيده ولاية مكة المكرمة والمدينة المنورة :

وقد هاجمه سيف الدولة الحمداني في الشام . فانتصر عليه الإخشيد في معركة قنسرين ، ودخل حلب . ولكنه مع ذلك صالح سيف الدولة وتنازل له عن شمال سوريا ، وبعد وفاة الإخشيد سنة ٣٥٨ هـ خلفه ابناه وكانا صغيرين فحكما تحت وصاية « كافور » وهو عبد حبشي اشتراه الإخشيد ورباه تربية عسكرية . فارتقى حتى صار قائداً عاماً للجيش وأسعده الحظ . فأصبح الوصي على عرش مصر ولقب « الأستاذ أبو المسك كافور الإخشيدي العالي بالله » . وقد نجح كافور في حروبه مع الحمدانيين ، وامتدت حدود مصر في أيامه إلى جبال طوروس .

وقد أكرم الشعراء وكثر عددهم في بلاطه ، ومنهم أبو الطيب المتنبي ، الذي مدحه ، ثم هجاه ، ودام حكم كافور ٢٢ عاماً .

ولم تمض مدة على موت كافور حتى دخل الفاطميون مصر سنة ٩٦٩ م وبذلك انفصلت مصر مدة طويلة عن بغداد .

٦ ـ الدولة الفاطمية

(٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) - (٩٦٩ - ١١٧١ م)

تأسيسها :

لجأ بعض العلويين إلى شمال أفريقية فراراً من الإضطهاد الذي وجدوه

Marfat.com

من كل من الأمويين والعباسيين ، وهناك في شمال أفريقية وجدوا التربة الصالحة لدعوتهم بسبب بعد هذه البقعة عن مركز الخلافة العباسية ، وبسبب كراهية أهل شمال افريقية للولاة العباسيين الذين أرهقوهم بالضرائب .

وفي سنة ٢٨٨ هـ ظهر أبو عبد الله الشيعي ، الداعية إلى المذهب الشيعي ولأولاد على من فاطمة ، ومن هنا جاءت تسمية هذه الدولة الفاطمية[1] . وقد نجح في دعوته ، وتمكن من القضاء على دولة الأغالبة وأقام عبيدالله المهدي خليفة في هذه البلاد فبايعه الناس . وقد اتخذ مدينة المهدية عاصمة لدولته ونشر نفوذه بين القبائل فدانت له . وقد حاول عبيد الله المهدي فتح مصر ولكن المنية عاجلته قبل أن يبدأ في ذلك ، وخلفه ابنه القائم الذي كرر محاولة أبيه ، ولكن محمد بن طغج الإخشيد أفسد تلك المحاولة ، ومات القائم سنة ٣٣٤ هـ فخلفه ابنه المنصور الذي عمل على فتح مصر لولا أن شغلتة الثورات الداخلية في المغرب . ولم ينجح إلا الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي الذي تولى سنة ٣٤١ هـ وفتح مصر .

المعز لدين الله الفاطمي : كان هذا الخليفة عادلا شجاعا ، استحوذ على قلوب الناس بكرمه وبلاغته ، كما أنه يعرف لغات كثيرة . وقد تمتعت الرعية في زمنه بالأمن والرخاء واتسعت المملكة في أيامه سمة عظيمة .

بدأ المعز بالطواف في ملكه لتنظيم اقتصاديات البلاد ونشر العدل ، ثم شرع في تنظيم الجيش لفتح مصر التي هي أغنى بقعة في شمال افريقية، لعظم خصبها ووفرة تجارتها فضلاً عن توسط موقعها بين الشام والحجاز واليمن ، مما يسهل عليه - بعد فتحها - الإستيلاء على كثير من الأقطار التي تستظل بظل الدولة العباسية .

فتح مصر . وفق المعز إلى قائد ماهر اسمه جوهر الصقلي أرسله على

---

(١) الذين في حقيقة أمرهم أدعياء، وأنهم من أصل يهودى ومذهبهم الرفض والالحاد والقرمطة

Marfat.com

رأس جيش لفتح مصر منتهزاً فرصة ضعف الدولة الإخشيدية وموت « كافور » وعصيان الجند وانخفاض النيل ، وما أعقبه من قحط ووباء مات به خلق كثير . كما أنه مهد لذلك الفتح بحفر الآبار على طول الطريق الساحلي ليشرب منها الجيش الزاحف . وقد تمكن جوهر الصقلي من الإستيلاء على الاسكندرية بعدَ مقاومة خفيفة ، ثم قصد الفسطاط وفتحها . وقد كسب جوهر محبة المصريين بعد أن فرج عنهم كربة القحط الذي شملهم ، بأن وزع عليهم الحبوب التي كان قد جلبها معه ، وبعد أن ترك لهم الحرية الدينية .

وقد وضع جوهر أساس عاصمة جديدة هي القاهرة سنة ٣٥٨ هـ .

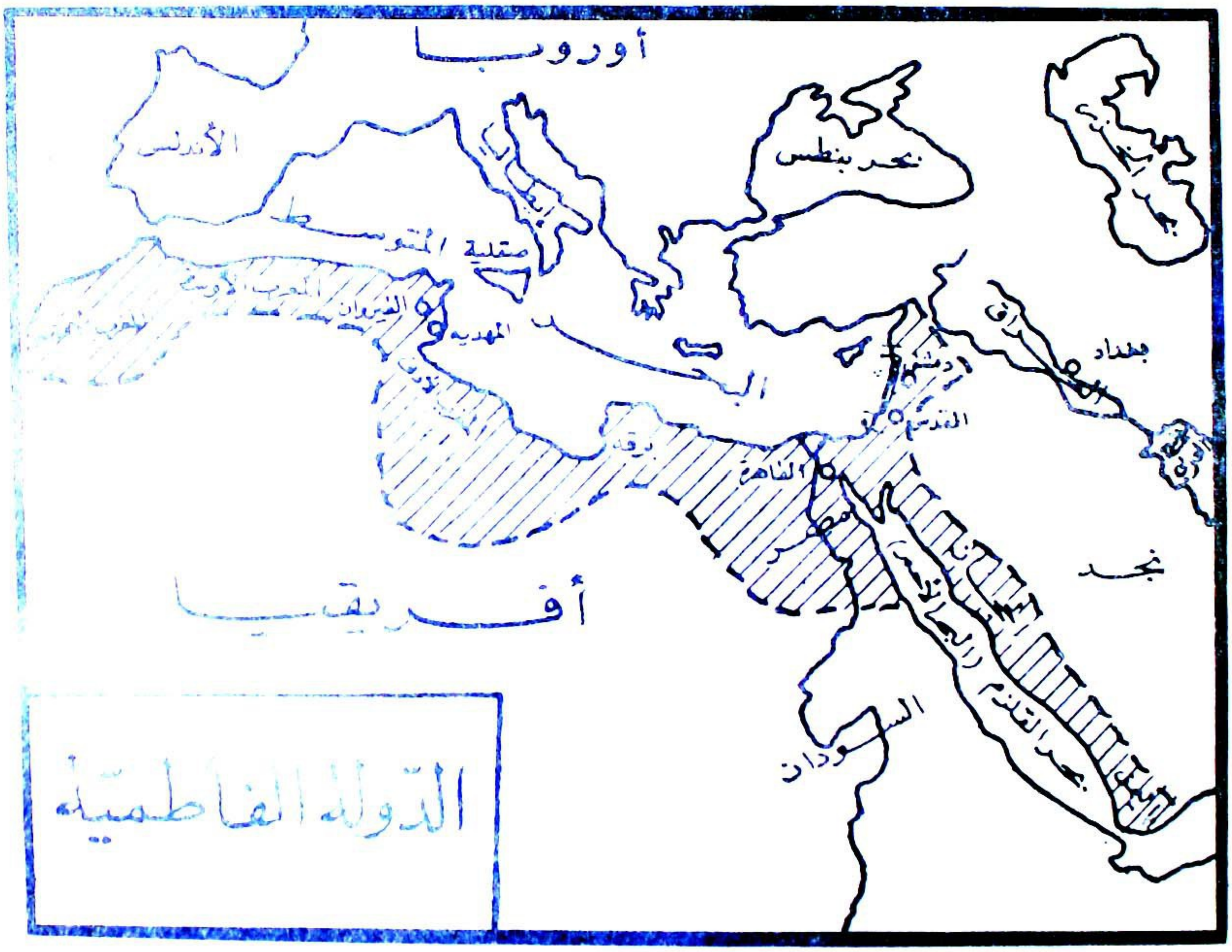

Marfat.com

وأحاطها بسور كبير ، وبنى قصراً للخليفة المعز .

وفي سنة ٣٥٩ وضع أساس الجامع الأزهر ، الذي تم بناؤه سنة ٣٦١ هـ. وكان الغرض منه باديء الأمر بث الدعوة الشيعية ، ولكنه لم يلبث أن أصبح جامعة إسلامية يتلقى العلم فيها طلابه من كل صوب وقد ظل الأزهر يؤدي رسالته في خدمة الشريعة الغراء واللغة العربية حتى عهدنا الحاضر ، ويعتبر أقدم جامعة باقية في العالم .

حضور المعز إلى القاهرة : لما استتب الأمر لجوهر دعا سيده للحضور إلى مصر فجاء إلى القاهرة هو وجميع أهله ، حتى رفات أسلافه أحضرها معه ، واتخذ المعز القاهرة عاصمة له سنة (٣٦٢ هـ) ٩٧٣ م .

أهم أعماله :

١ — رتب المصالح والإدارة ، وجعل لكل مصلحة رئيساً مصرياً ، وآخر مغربياً ، ولم يفرق في المعاملة بين مسلم ومسيحي من أهل مصر.

٢ — عمل على تنمية موارد الثروة وتوقية دولته حتى تنافس الدولة العباسية ، فعني بترقية الزراعة ، والتجارة ، والصناعة . وارتقت في عهده صناعة المنسوجات خاصة ، وبنى دار الكسوة ، حيث كانت تفصل لموظفي الدولة على اختلاف مراتبهم كسوة الشتاء والصيف ، كما ازدهرت صناعة الذهب والفضة ، والأواني الزجاجية والسكر ، والعقاقير ، والأدوية .

٣ — أنشأ المعز بالمقس (أحد أحياء القاهرة الآن) داراً لصناعة السفن فبنى ما يزيد عن ٦٠٠ سفينة حربية ، كانت تتخذ عسقلان ، ودمياط ، والاسكندرية ، وعكا وصور موانيء لها .

٤ — في أواخر حكمه ، غزا القرامطة مصر ، وهزموا جيش المعز ، وحاصروا القاهرة ، فاستمال المعز شيخ بني طي حليف القرامطة بمبلغ من المال الزائف فتخاذلوا وارتدوا إلى سوريا .

Marfat.com

٥ – اهتم المعز ومن جاء بعده من الخلفاء بنشر المذهب الشيعي ، ولكنه أخذ ينشره تدريجياً حتى لايثير عواطف أهل البلاد الذين كانت غالبيتهم من السنيين .

أعماله الخارجية :

بعد أن استقر الأمر للفاطميين في مصر ، اتجه قائدهم جوهر الصقلي إلى توسيع رقعة الدولة ، ففتح بلاد الشام ، وكان جزء منها تابعا للحسن الإخشيدي ، فهزمه ثم احتل طبرية ، وفتح دمشق سنة ٣٥٩ هـ ، كما أنه أخضع بلاد النوبة ، وصارت له السيادة في الحجاز .

الخلفاء من بعد المعز : تولى بعده ابنه العزيز . وقد سار على سياسة والده من الإهتمام بالأمور الداخلية ، وتوطيد الامن ، والعناية بالزراعة والصناعة والتجارة . وقد أدى كل ذلك إلى الرخاء الذي مكنه من أن يبني القصور الفخمة ، وأن يبدأ في الجامع العظيم الذي أتمه ابنه من بعده وعرف باسم جامع الحاكم .

وفي عهده تحول الأزهر من جامع تقام فيه الصلاة فقط إلى دار للعلم يقدم لطلابه زيادة على ذلك المسكن والملبس والمأكل .

كما أنه سار على سياسة أبيه في العمل على نشر المذهب الشيعي ، وحتم على القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق قوانين هذا المذهب .

وكان المعاون الأكبر للعزيز وزيره يعقوب بن كلّس الذي كان يهودياً وأسلم ، وعيسى بن نسطورس ، وبسببهما امتلأت خزائن العزيز بالمال .

الحاكم : وبعد العزيز تولى ابنه الحاكم بأمر الله ، وهو [illegible] السن ، فقد كان استاذه ، بيرجوان ، وصياً عليه ، ولكن السلطة [illegible] كانت في يد ابن عمار قائد الجيش الذي لقب بأمين الدولة . ولكن أمين الدولة قتل أثناء المنازعات التي قامت بين الجنود الأتراك والمغاربة ،

Marfat.com

فانفرد بيرجوان بالأمر . ولكنه لقي مصرعه على يد تلميذه الحاكم حينما شب وتسلم بيده مقاليد السلطة ، وكان ذلك دليلاً على ما كان عند الحاكم من شذوذ . ومن آيات هذا الشذوذ ما أصدره من أوامر منها :

١ – الأمر بقفل الحوانيت نهاراً والعمل بها وإضاءتها ليلاً .

٢ – منع السيدات من الخروج وحرم على العمال عمل الأحذية للسيدات .

٣ – منع أكل الزبيب وكذلك العسل والملوخية .

٤ – كان يضطهد اليهود والنصارى ، ثم يعود ويرضى عنهم ، ويضطهد المسلمين ، وهكذا

٥ – وكان آخر ما وصل إليه من الشذوذ ادعاؤه الألوهية .

ولما زاد ظلمه خرج عليه جنوده من أتراك ومغاربة ، وقتل الحاكم وهو يتجول في الصحراء ، ولم يعثر على جثته . ويقال إن أخته « ست الملك » الفاطمية هي التي شجعت على قتله .

ومن أعماله السلمية : إنشاؤه دار الحكمة ليجتمع فيها العلماء من كل ناحية ليتباحثوا في العلوم المختلفة ولنشر المذهب الشيعي ، كما أنه ألحق بها مكتبة كبيرة . وأتم مسجد والده — وهو يعتبر آية في فن البناء — وما زال موجوداً إلى اليوم في القاهرة بالقرب من باب النصر . وكان مولعاً بدراسة النجوم والتطلع إلى السماء . فأنشأ مرصداً في سفح المقطم .

المستنصر : تولى بعد أبيه الحاكم ، وكانت سنه سبع سنوات . فانتقلت السلطة إلى الوزراء الذين عرف عصرهم بإسم عصر « الوزراء العظام » وقد كان هذا النظام — نظام الوزراء — مصدر كثير من الاضطراب والفتن في الدولة نظراً للمنافسة الشديدة بين هؤلاء الوزراء ، حتى إن آخرهم « شاور » ومنافسه « ضرغام » لم يتورعا عن الاستعانة بأعداء البلاد الصليبيين الذين كانوا يريدون شراً بالبلاد الإسلامية ، وما دفعهما إلى ذلك إلا حب السيطرة والسلطة .

Marfat.com

وأشهر الوزراء « بدر الجمالي » وكان قبل تعيينه وزيراً حاكماً لعكا استدعاه الخليفة المستنصر بعد أن تفاقم الحال وازدادت الضائقة المالية وعم القحط واستفحل الخراب . فسيطر الجمالي على الحال بأن قتل زعماء الجند الأتراك في ليلة واحدة ، وبذلك أعاد الطمأنينة والأمن إلى البلاد .

ومن أعماله الباقية إلى الآن ذلك السور الذي بناه حول القاهرة . ويمكن لمن يزور القاهرة أن يرى آثاراً منه تتمثل في باب زويلة ، وباب النصر ، وباب الفتوح . وكلها تشهد بمقـــدار العظمة التي كان عليهـــا ذلك السور .

وقد مات الخليفة المستنصر والجمالي في سنة واحدة .

وبعد المستنصر تولى خلفاء ضعاف . ولكن السلطة الحقيقية كانت في يد الوزراء الذين كانوا يفضلون مصلحتهم الخاصة على مصالح الوطن ؛ فكانوا يتنازعون ويتنافســـون . وقد كان آخر هؤلاء الوزراء الوزيرين شاور وضرغام اللذين تنازعا السلطان . فاستعان شاور بالسلطـــان نور الدين صاحب حلب ، واستعان ضرغام بآموري ملك بيت المقدس الصليبي .

وفي النهاية تمت الغلبة لفريق نور الدين محمود ، الذي أرسل أسد الدين شيركوه ، وابن أخيـــه صلاح الدين الايوبي إلى مصر . وقد تمكن صلاح الدين من القضـــاء على الفوضى وتأسيس الدولة الأيوبية في مصر .

مميزات هذه الدولة :

لقد أفادت هـــذه الدولة العرب . ففي الوقت الذي كان فيه الأعاجم يبسطون نفوذهم على بلاد المشرق من العراق إلى الهنـــد ، كانت هذه الدولة عربيـــة الصبغة ، حافظت على النفوذ والكيان العربي في شمال أفريقية وبلاد الشام . ومن دراستك لتاريخ هذه الدولة يمكن أن تعرف مميزاتها :

١ — تقدم فن العمارة تقدماً عظيماً تدل على ذلك مساجدهم الباقية الى يومنا هذا ، كمدينة القاهرة المعزية ، وما تحويه من مساجد أشهرها الجامع الازهر ، وجامع الحاكم ، وجامع الجيوش ، وسور القاهرة .

Marfat.com

وبنى الفاطميون القصور ، وتفننوا في زخرفتها وتجميلها بالنقوش البديعة ، والقناديل ، والنوافذ ، والأواني الفضية وغير ذلك .

٢ – شجع الفاطميون العلوم والآداب . فقد تحول الأزهر في عهدهم الى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية . وقد حمل الأزهر مشعل النور ، وما يزال لأكثر من ألف سنة . وقد رأينا تشجيع الخلفاء لطلبة العلم بتقديم المسكن ، والملبس ، والمأكل للغرباء الذين ينزحون من ديارهم سعياً وراء العلم والمعرفة . كما اهتموا بالمكتبات العامة والخاصة ، وأصبحت مجالس العلم تعقد في كل دار ، وبنى الحاكم « دار الحكمة » لتكون مجتمعاً للعلماء يتباحثون فيها .

٣ – اهتموا بترقية البلاد . فنعمت في عهدهم برخاء كبير ساعد عليه تقدم الزراعة ، والصناعة ، والتجارة . واهتموا لذلك بطرق القوافل ، وموانيء التجارة ، مثل القلزم (السويس) وعيذاب (على مقربة من القصير على الساحل الغربي للبحر الأحمر) .

٤ – صارت مصر مركزاً لدولة عظيمة . امتدت إلى الشام شمالاً ، والحجاز واليمن شرقاً ، والمحيط الاطلسي غرباً ، وصارت الحاضرة « القاهرة » تنافس بغداد وغيرها من العواصم الاسلامية .

٥ – ومن مساوئها ادخال المذهب الشيعي الذي اعتنقه عدد كبير من أهل البلاد حباً في الترقي الى المناصب العالية في الدولة . كما تبع ذلك نشوء أعياد واحتفالات خاصة ، كيوم عاشوراء . والمولد النبوي ، ورأس السنة الهجرية وكلها تجرى لها مراسيم خاصة ، ويشارك الخليفة الشعب في الاحتفال بها . وما تزال هذه الأعياد يحتفل بها المصريون وكثير من البلاد الاسلامية .

Marfat.com

٧ ـ الدولة الأيوبية

(٥٦٧ — ٦٤٨ هـ) — (١١٧١ — ١٢٥٠ م)

نشأتها : كانت الدولة الفاطمية قد بدأت تدخل في دور الانهيار ، وذلك لضعف الخلفاء ، واستبداد الوزراء بالسلطة مع المنافسة الشديدة فيما بينهم ، يضاف الى ذلك النزاع بين فرق الجيش من مغاربة ، وسودانيين ، وأتراك .

وقد حدث نزاع بين الوزيرين شاور وضرغام ، وحاول الصليبيون التدخل في شؤون المسلمين ومصر . فاستجار شاور بنور الدين الزنكي ملك الشام ، واستعان ضرغام بالصليبين . ولكن النصر كان حليف شاور حينما بعث نور الدين بأحد قواده واسمه أسد الدين شيركوه لنجدة شاور . وقد تمكن أسد الدين من قتل ضرغام . وأصبح وزيراً للعاضد بعد أن تحول شاور للصليبين وحالفهم ، فقتله أسد الدين . ولكن أسد الدين لم ينعم بثمار مجهوداته . فتوفي ولم يمكث طويلا في الوزارة ، فخلفه فيها صلاح الدين الأيوبي . وكان يدين بالولاء لنور الدين زنكي ، وهو سني المذهب ، ويعمل وزيراً للخليفة العاضد وهو شيعي المذهب . ولكن الظروف خدمته ، إذ توفي الخليفة الفاطمي ، فاستولى على قصره ومخلفاته وحول الدعاء في خطبة الجمعة إلى الخليفة العباسي ، وأخذ يعمل بتؤدة وحذر على تحويل البلاد إلى المذهب السني .

صلاح الدين : وقد مات نور الدين محمود سنة ١١٧٤ م ، وبذلك قوّى مركز صلاح الدين في مصر ، إذ لم يكن لنور الدين إلا ابن صغير اسمه الملك الصالح بن نور الدين ، سرعان ما اختلف مع صلاح الدين وقامت بينهما الحرب ، ولكن صلاح الدين انتصر على الملك الصالح ، وضم دمشق إلى أملاكه ، واعترف به الخليفة العباسي سلطانا على مصر والشام سنة ١١٧٥ م .

Marfat.com

ولما مات الملك الصالح سنة ١١٨١ م ضم صلاح الدين حلب والموصل ، وبذلك أعاد صلاح الدين توحيد بعض البلاد الاسلامية لمواجهة الخطر الذي كان يتهددها متمثلا في الصليبيين .

أعماله : وقد استطاع صلاح الدين أن ينزل بالصليبيين هزيمة ساحقة فاصلة في حطين (عام ٥٨٣ هـ) — (١١٨٧ م) ؛ وعقد مع ريشارد قلب الأسد معاهدة الرملة التي رحل بعدها صلاح الدين من مصر، واتخذ دمشق عاصمة له ، حتى توفي فيها (سنة ٥٨٩ هـ) — (١١٩٣ م) .

وقد اتصف هذا الملك بالصفات والفضائل السامية . فكان ذا عقل راجح ، وحلم عظيم ، وشجاعة نادرة ، وتسامح كبير ، فضلا عن زهده في الدنيا . وكان محباً للخير والعلم . فانشأ كثيراً من المدارس ، والمكاتب ، والمستشفيات . ولقد ساعده في كل ذلك وزيره المشهور القاضي الفاضل عبد الرحيم .

وقد استمرت الدولة الايوبية التي أسسها صلاح الدين نحو ٨٠ عاماً ، ولي الملك فيها من ابنائه عشرة ملوك . وقد واصل الأيوبيون عمل صلاح الدين في جهاد الصليبيين .

وتولى بعده اخوه الملك العادل سيف الدين أيوب الذي واصل جهاده ضد الصليبيين ، ثم تولى بعده ابنه الملك الكامل ، وفي عهده فشلت الحملة الصليبية الخامسة على مصر . وكذلك السادسة التي استولى فيها الملك الصالح على بيت المقدس

وكان آخر ملوك الأيوبيين هو الملك الأشرف . وقد استولى المماليك على مقاليد الامور في أواخر أيام هذه الدولة .

مميزات هذه الدولة : أدت هذه الدولة خدمات جليلة لمصر خاصة ، وللعالم الاسلامي عامة ، إذ حموا الشرق الادنى من هجمات الصليبيين . وكانت سياستهم التجارية ممتازة . فعقدوا معاهدات مع البنادقة (أهل مدينة البندقية في ايطاليا) كان من شأنها أن زادت ثروة مصر ، والشام . وقد اهتموا بالعلم والأدب ، فظهر في أيامهم « القاضي الفاضل » و « بهاء الدين زهير » وكثر المتعلمون ، وانتشرت المدارس ، وظهرت في أيامهم نهضة عظيمة .

Marfat.com

صلاح الدين

Marfat.com

خاتمة الباب السادس :

وبالاضافة إلى الدول التي ذكرناها ، والتي انفصلت ، واستقلت عن العاصمة العباسية توجد دويلات أخرى . كالسامانية ، والصفارية ، والغزنوية وغيرهـــا .

النهاية ، حتى غزا التتر العاصمة العباسية ، وغزا العثمانيون معظم الشرق العربي بعد أن أرهنته الفتن وأفسدته المنافسات والمشاحنات .

وبالرغم من أن كل هذه الدول التي ذكرناها آنفاً (مبتدئين بالدولة البويهية ومنتهين بالدولة الأيوبية) قد عملت جهدها على إصلاح الحال ، والنهوض بالبلاد التي حكمتها ، إلا أن ذلك كله لم يكن يسير في إطار كامل . وكان يمكن للدول العربية الاسلامية أن تستفيد أكثر ، وأن تنهض إلى درجـــة أعلى لو كانت المنافسة التي قامت بينها قاصرة على نواحي العلم والأدب والفنون . وكم كان الأمر يبدو جميلاً لو أنها امتنعت عن المنافسة السياسية ، التي أدت بها جميعاً الى التدهور في

أســـئلة

(على الباب السادس)

١ — كيف أنشأ عبد الرحمن الداخل دولته في الأندلس ، وما الذي ساعده على ذلك ؟

٢ — من هم الفاطميون ، وما العوامل التي ساعدتهم على فتح مصر ؟

٣ — اذكر نتيجة النزاع بين شاور وضرغام ، وما مقدار ما أدته الدولة الأيوبية لمصر والعالم الاسلامي من خدمات ؟

٤ — « يعتبر عصر أحمد بن طولون من العصور الهامة في التاريخ الوسيط » . إشرح هذه الحقيقة موضحاً :

(ا) الخطوات التي اتخذها لتأسيس دولته .

(ب) مركز مصر السياسي ومدى اتساع نفوذها في عهده .

(ح) أهم الآثار الباقية من عهد تلك الدولة .

٥ — إشرح كيف كانت الدول الانفصالية وبالاً على الوطن العربي ككل .

Marfat.com

الباب السابع

الوطن الاسلامي يتعرض للغزو الخارجي

كان من نتائج ضعف الدولة العباسية ، وقيام أمراء مستقلين ، كثيري العدد في كل ولاية بحروب كثيرة غرضها التوسع أو الإستيلاء على السلطة ، كان من نتائج ذلك الانقسام وتلك الفرقة ، أن انتهزت الامم المجاورة لهذه الامبراطورية هذه الفرصة الذهبية للانقضاض عليها ومحاولة الاستيلاء على أملاكها . وكان المغول يجاورون الامبراطورية الإسلامية من الشرق ، والأوربيون المسيحيون يجاورونها من الغرب . وكان من نتيجة ذلك . أن تعرضت الدولة العباسية ، لغزوات عديدة سنتكلم عن بعضها فيما يلي :

١ - الغزو المغولي :

التتر : هم شعب كبير من الأمة التورانية تتفرع منه قبائل كثيرة ، منها : المغول الذين يسكنون وسط آسيا ، ظهر فيهم ملك شديد البطش في القرن السادس الهجري هو « جنكيز بهادر خان » تمكن من جمع القبائل التترية حوله . فأنشأ دولة واسعة الحدود يسكنها قبائل رحل من المغول لا يكاد يحصيها العدد ، اتخذ له عاصمة في صحراء منغوليا ، وألف جيشاً من قومه البدو ، قصد به غزو المملكة الإسلامية المجاورة له ، والتي اشتهرت بالعمران والغنى .

مهاجمة جنكيز خان للبلاد الإسلامية :

اتفق ان قصد تجار من التتر بلاد خراسان . فعاملهم أحد الولاة معاملة سيئة ، فشكوا إلى ملكهم جنكيز خان الذي اتخذ هذه الحادثة ذريعة للتحرش

دراسات في التاريخ الاسلامي ٢ م /٩

Marfat.com

بالدول الاسلامية . فسار بجند يفوق الحصر ، متجهاً نحو البـــلاد الإسلامية غازياً ، فاتحاً ، باطشاً ، سفاكاً ، واستولى في مدة قصيرة على كافة مدن تركستان ، وخراسان ، وبعض بلاد فارس ، حتى وصل إلى همدان .

هولاكو ونهاية الدولة العباسية : ظهر من أحفاد جنكيز خان ملك اسمه هولاكو . وكان معاصراً للخليفة المستعصم بالله ، وهو السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس وآخرهم . وكان عاجزاً ضعيف الارادة .

وقد توجه هولاكو إلى بغداد بخيله ورجله . وكان كلما مر ببلد نهبها ثم احرقها وخربها إلى أن وصل إلى بغداد ، فحاصرها أياماً . ولما اشتد الحصار على أهلها وسطوا ابن العلقمي بأخذ الأمان لهم من هولاكو ، فخرج إليه وعرض عليه التسليم على شرط أن يؤمن الخليفة وأهل بغـــداد على أنفسهم وأموالهم ، فأجابهم إلى الصلح . ولكنه غدر بالخليفة ، وقتله ونهب المدينة وأباحها لجنده .

وقد كانت هذه إحدى الضربات القاسية التي وجهت للمسلمين والعرب فأوقفت تقدمهم ، وأخرتهم إلى الوراء أجيالاً فسبقهم إلى مضمار الحضارة قوم لم يتعرضوا لمثل هذا الغزو البربري .

عين جالوت : على أن المماليك استطاعوا أن يوقفوا تيـــار المغول الزاحف وأن يوقعوا بهم الهزيمة النكراء . وتفصيل ذلك : أن التتـــار قـــد جمعوا جموعهم بعد استيلائهم على بغداد وساروا غرباً . وكانت الشام ومصر تحت حكم المماليك في ذلك الوقت . وما كاد التتار يقتربون من حدود البلاد حتى كان « سيف الدين قُطز » سلطان مصر آنئذ قد جمع جموعه وخرج لملاقاة العدو الجبار . وتقابل الفريقان في موقعة « عين جالوت » من أرض فلسطين (سنة ٦٥٨ هـ — ١٢٦٠ م) وفيها هزم التتار شر هزيمة . وكان قائد هذه المعركة الرهيبة الأمير بيبرس الذي تسمى فيما

Marfat.com

بعد باسم السلطان الظاهر بيبرس . وهزم التتار هزيمة أخرى في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وكانوا قد استولوا على دمشق ، فأعـــد لهم السلطان جيشاً هزمهم قرب حلب ، ولم يستطع السلطان « تيمورلنك » المغولي أن يرهب السلطان فرج ، فرد عليه خطابه الجريء بجرأة أكبر منها ، ولم ينزل عند تهديده ، ولكنه لم يلتحم معهم في معركة ، بل عاد سريعاً الى مصر لوقوع فتنة في الجيش . ولما تولى السلطان المؤيد شيخ المحمودي ، استرد الشام كله من المغول .

٢ - الغزو الصليبي :

قامت الدول الأوروبية المسيحية بعدة حملات على شرقنا العربي ، القصد منها : الاستيلاء على الأراضى المقدسة ؛ لأنها مهد المسيح ، ولا يصح في زعمهم أن تكون في أيد غير مسيحية ، علماً بأن المسلمين قد كفلوا للطوائف المسيحية كل حرية دينية ، كما تأمرهم بذلك الشريعـــة السمحة . وسميت هذه الحروب بالصليبية ؛ لأن الحملات اتخذت لهـــا شعاراً وهو « الصليب » . وقد كانت هذه الحملات ثمانياً دامت قرنين من الزمان ضرب أثناءها كثير من مدن الشام ، وقتل الملايين من أبنائها . وكانت النتيجة : أن تغلب المسلمون على الافرنج وردوهم إلى البحر حيث جاءوا . وكانت أول هذه الحروب في أيام الخليفة « المستظهر بالله » عام ٤٩١ هـ ، وانتهت عام ٦٩٠ هـ بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد وظهورها من جديد في مصر على يد المماليك الذين أحيوا الخلافة العباسية مرة ثانية .

Marfat.com

حالة الشرق الادنى قبيل الحروب الصليبية :

بينما كانت أوروبا تتمخض عن اجتماعات وتحشيدات ينظمها البابا للقيام بالحروب الصليبية والإستيلاء على الشام ، كانت الحالة في الشرق الأدنى كالآتي :

١ – كان العراق تحت حكم السلاجقة من أخوة وأولاد ملكشاه الذين كانوا يتنازعون على الملك ، وخلفهم فيه الأتابكة أتباع السلاجقة . وكان عميدهم « عماد الدين الزنكي » الذي تغلب على شمال العراق ، والجزيرة ، وشمال الشام .

٢ – كان الفاطميون في مصر قد بلغ منهم الضعف مبلغاً عظيماً بعد موت « ست الملك » فضعف الجيش ، وأخذ القواد يتنازعون على السلطة ، والخلفاء الفاطميون ليس لهم من الأمر شيء .

٣ – وكان يحكم آسيا الصغرى « قليج أرسلان » ملك الدولة السلجوقية الرومية ، وكان ملوك هذه الدولة يجاهدون الجهاد الصادق ، حتى أضعفوا البيزنطيين ، وكادوا يستولون على القسطنطينية . وكان لهذه الدولة فضل كبير في تبديد الحملات الصليبية الأولى ، التي كانت تسلك طريق البر مجتازة البوسفور إلى آسيا الصغرى ، وهي في طريقها إلى الشام .

وكان لهذه الحروب الصليبية أسباب أهمها :

١ – الشعور الديني : كان نصارى أوروبا خاضعين لسلطان الكنيسة ويخشون عقابها ، فإذا اقترفوا ذنباً فلا يكفر عن خطيئتهم – في زعمهم – سوى غفران الكنيسة ، أو القيام بالأعمال الصالحة ، ومنها الحج إلى الديار المقدسة التي عاش فيها السيد المسيح . وإذا كان ثواب الحج في

Marfat.com

نظرهم كبيراً ، فلا شك أن القتـال في سبيل تحرير هذه البـلاد المقدسة من أيدي المسلمين أعظم وأكبر ثواباً وجزاءً عند الله .

٢ – اضطهاد الحجاج المسيحيين : كان المسيحيون يروحون ويغدون آمنين مطمئنين في ظل التسامح الإسلامي الكريم وحينما استولى السلاجقة الأتراك على سـوريا ، وفلسطين ، وكانوا حديثي عهد بالإسلام ، عاملوا المسيحيين بالشدة ، وأخذوا منهم الضرائب الباهظة مما جعلهم يتذمرون ويشكون للبابا ، ويبالغون كثيراً في سرد هذه الحوادث لإثارة العاطفة الدينية ضد المسلمين .

٣ – أطماع البابا والفرسان : أراد البابا وفرسان أوروبا أن ينشئوا دولاً نصرانية في بلاد الشرق الأدنى . وكانت في ذلك الوقت هي المثل الأعلى للمدنية والحضارة .

٤ – ضعف المسلمين : ولقـد ذكرنا قبلاً كيف ساءت حال المسلمين ، وانتهى بهم التنازع والتشاحن إلى الضعف الذي أطمع فيهم هؤلاء الأوربيين .

٥ – نشوء جمهوريات البندقيـة وجنوة : كانت هاتان الجمهوريتان المسيحيتان قد خرجتا إلى حيز الوجود وتغلبتا على قرصان البحر الابيض ، مما مهد الطريق أمام الصليبيين إلى الشرق .

٦ – وهذا هو السبب المباشر : فقد توغل السلاجقة في آسيا الصغرى وهددوا القسطنطينية كما ذكرنا آنفاً مما اضطر امبراطور بيزنطـة إلى الاستنجاد بملوك أوروبا وبالبابا في روما ، وصادف ذلك هوى من نفسه ، لأنه كان يسعى إلى توحيد الكنيستين : كنيسة روما ، وكنيسة القسطنطينية .

Marfat.com

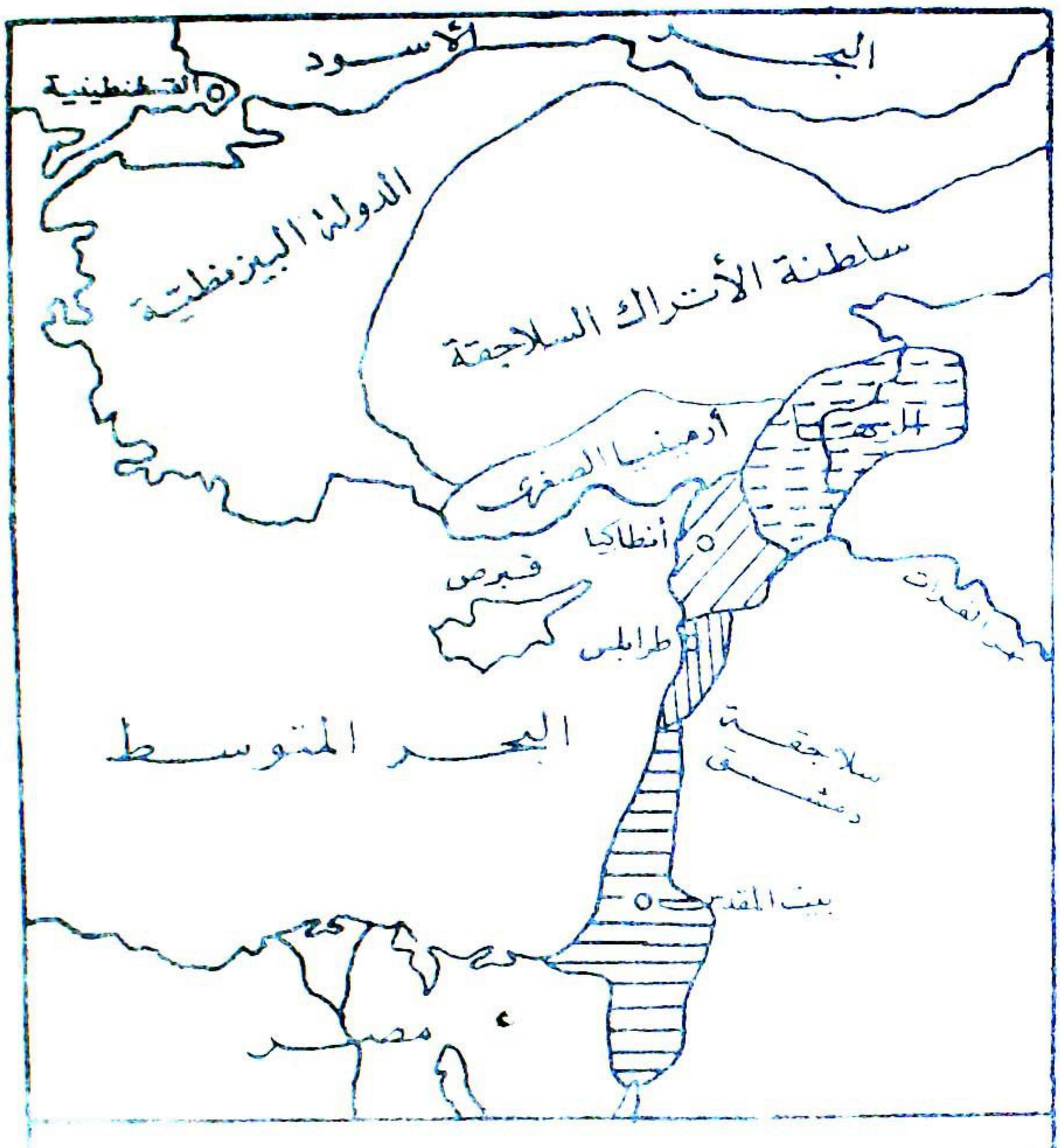

نتائج الحملة الصليبية المعروفة بالأولى

Marfat.com

فقام البابا بالاتصالات اللازمة ، وشجع ملوك أوروبا على الجهاد الديني أملا في الحصول على بركة البابا وغفران الكنيسة .

الحملة الصليبية الأولى :

كثر المتطوعون من فرنسيين ، وألمان ، وإيطاليين ، وقرروا أن يصلوا إلى القسطنطينية منفردين ، ويتخذوها نقطة تجمع ، وقد بلغ عددهم جميعاً مائة ألف فارس و ٦٠٠ ألف راجل منهم القسيس ، والحاج بالإضافة إلى النساء ، والأطفال . وقد عبروا البوسفور إلى الأناضول سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) وحاصروا نيقية وفتحوها فانسحب قليج أرسلان إلى قونية أمام كثرة عددهم الهائلة . فاستولوا على المدن التي كانت في طريقهم إلى الشام . ثم زحف فرع منهم إلى أورفا (الرها) واستولوا عليها وأسسوا فيها أولى إماراتهم سنة ١٠٩٨ م .

وزحف باقي الصليبيين إلى انطاكية وحاصروها تسعة أشهر ، فدافع عنها « رضوان » السلجوقي دفاع الأبطال ، وذاق الصليبيون خلالها مرارة الجوع والبرد والطاعون حتى كاد يستولي عليهم اليأس . ولو اتحد يومئذ أمراء السلاجقة في سوريا الشمالية ، وهاجموا هذه الحملة على أبواب أنطاكية لقضوا عليها . ولكن تخاذلهم ، وخيانة أحد الأرمن المكلفين بحراسة السور مكنت الصليبيين من فتح هذه المدينة الحصينة . فأعملوا السيف في رقاب أهلها ، وقتلوا منهم ماينوف عن عشرة آلاف وبعد أن نهبوها وخربوها ، انتخبوا عليها أميراً منهم ، وأسسوا فيها إمارة لاتينية ثانية .

وسار الصليبيون نحو الجنوب ينهبون القرى ، والمدن ، ويقتلون ، ويسفكون الدماء . ثم واصلوا الزحف جنوباً حتى القدس فحاصروها خمسة

Marfat.com

أسابيع ، ثم فتحوها سنة ٤٩٢ هـ ، سنة ١٠٩٩ م . وقد احتمى كثير من أهلها في الكنائس ، والمساجد فلم ينجهم ذلك من القتل حتى بلغ عدد من قتلوا سبعين ألفاً

وهكذا تكونت في الشرق العربي أربع إمارات لاتينية هي :

١ – إمارة بيت المقدس

٢ – إمارة أنطاكية

٣ – إمارة طرابلس

٤ – إمارة الرها .

وكانت كل إمارة من هذه الامارات مستقلة عن الأخرى وإن كانوا يعتبرون أن رئيسهم الاعلى هو ملك بيت المقدس .

نتائج الحملة الصليبية الاولى :

١ – تكونت الامارات اللاتينية الأربع التي ذكرناها أعلاه .

٢ – بدأت العلاقات التجارية بين الغرب ممثلاً في جمهوريتي البندقية وجنوة ، وبين الشرق بفضل مساعدة الصليبيين لأبناء جنسهم .

٣ – لما كان العنصر الفرنسي هو الغـــالب على غيره بين الصليبيين أصبحت اللغة الفرنسية هي السائدة ، وأطلق العرب عليهم جميعاً لقب « الفرنجة » .

٤ – امتزج الصليبيون بأهل الشرق وتأثروا بالعادات الشرقية وأخلاقهم .

الحملة الصليبية الثانية :

لما أحرز الصليبيون هذه الانتصارات هال ذلك السلاجقة والمسلمين . ولكن ذلك لم يفت في عضدهم ، وبسم لهم الحظ حينما تمكن عماد الدين زنكي أتابك (أي والي) حلب والموصل من توحيد كلمـــة المسلمين . فجهز

Marfat.com

جيشاً عظيماً استولى به على أمارة الرها ، وأخذ بعد ذلك يحاهد الافرنج. ويرد حملاتهم ويحصن المدن الداخلية المجاورة للصليبيين . ولكن هذا الملك توفي مخلفاً ولدين هما : سيف الدين ، الذي خلف أباه على الموصل ، ونور الدين ، الذي خلفه على حلب والشام

وقد أخمد هذا الملك ثورة قام بها سكان الرها ودكها ، وأنزل بهم العقوبات الفادحة . فاستنجدوا بأوروبا التي بادرت بارسال النجدات . فقامت الحملة الصليبية الثانية . وكان أكثرها في هذه المرة من العنصر الألماني بقيادة كونراد امبراطور ألمانيا ، ومن العنصر الفرنسي بقيادة لويس السابع ملك فرنسا . وقد حاولوا الاستيلاء على دمشق . ولكنهم فشلوا ، فسارع كونراد الثالث بالعودة إلى بلاده يجر أذيال الخيبة ، وتبعه ملك فرنسا لويس السابع . أما دمشق فبعد أن كانت تدفع الجزية للصليبيين . فإنها قد دخلت في حكم نور الدين ، الذي اتخذها عاصمة لقربها من بيت المقدس وأملاك الصليبيين . وكانت نتيجة هذه الحروب إزدياد نفوذ نور الدين والوحدة بين المسلمين .

ثم استولى نور الدين على شؤون مصر ، وذلك ليجعل الصليبيين بين نارين . وكان المساعد له في ذلك وزيره أسد الدين شيركوه ، الذي تسلم مقاليد الحكم في مصر سنة٥٦٥هـ-١١٦٩م بعد أن قتل « شاور » . ولكن نور الدين توفي سنة٥٧٠هـ-١١٧٤م فانفرد بالأمر صلاح الدين الأيوبي الذي كان قد تولى الحكم بعد أسد الدين شيركوه .

وقد وحّد صلاح الدين المسلمين ، وأصبح هو المسيطر على الأمور في حلب والموصل بعد موت الملك الصالح ابن نور الدين زنكي . وبذلك أصبح الصليبيون محصورين بين أملاك إسلامية متحدة في الشمال والجنوب .

Marfat.com

وكان الإفرنج قد أنشأوا حصناً منيعاً في جنوب شرقي الاردن يسمى « الكرك » وكان تحت قيادة « ريجينولد » ، وكان هذا الفارس الصليبي شديد الحقد على المسلمين ، كثير التعرض لقوافل الحجاج الذاهبة بين مكة والشام . وفي مرة تعرض لقافلة بها أخت صلاح الدين نفسه . وكثر أذى ريجينولد للمسلمين ، وشـــاع أنه يجهز حملة للاستيلاء على مكة والمدينة ، الأمر الذى أهاج خواطر المسلمين . فجهز صلاح الدين الجيوش من عرب وأكراد وأتراك ، واتجـــه إلى حصن الكرك أولاً فاستولى عليه . ثم توجه نحو بيت المقدس ، واشتبك مع الصليبيين في موقعة « حطين » سنة ٥٨٣هـ - ١١٨٧م بجوار طبرية . وكانت هذه المعركـة حاسمة ؛ إذ انهزم فيها الصليبيون هزيمة منكرة بعد أن قتل منهم عشرة آلاف مقاتل ، ووقع كثير من رؤوسائهم في أيدى المسلمين ومن ضمنهم « ريجينولد » صاحب حصن الكرك . وقد قتله صلاح الدين براً بقسمه حينما فعل الإساءات الكبيرة نحو المسلمين . وكانت نتيجة هذه المعركة الفاصلة أن سقطت المدن : حيفا . عكا ، الناصرة ، نابلس ، الرملة ، يافا ، قيسارية ، بيروت كلها بأيدي المسلمـــين ، وكلها كانت حصوناً مهمة .

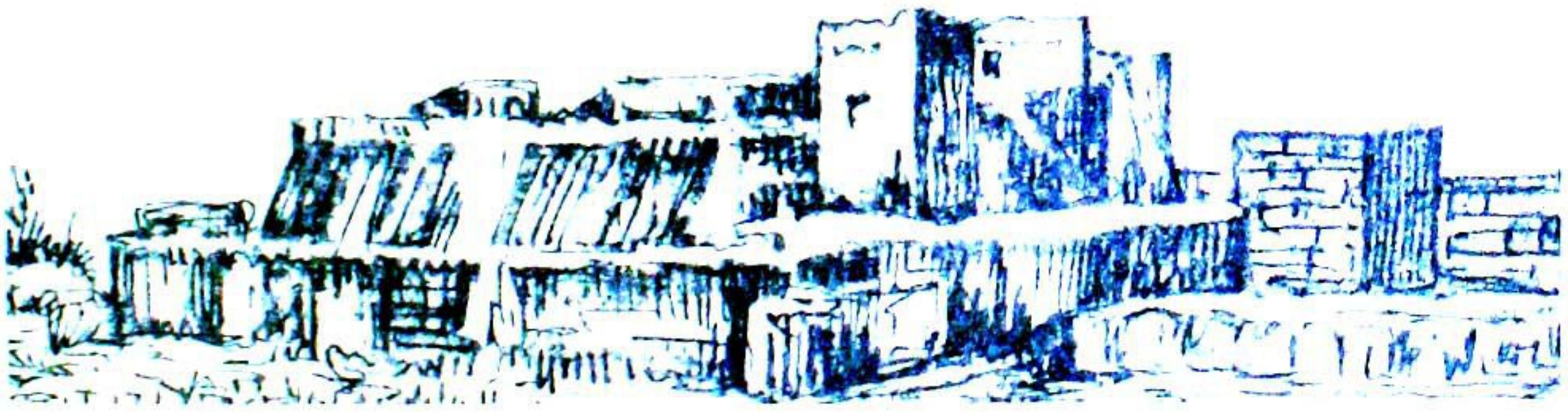

حصن الكرك

Marfat.com

ولما تمت لصلاح الدين كل هذه الفتوحات الباهرة صمم على استرداد بيت المقدس ، التي كانت مركزاً من مراكز الصليبيين ، وعاصمة للامارات اللاتينية فحاصرها وضيق عليها الخناق ، حتى سلمت سنة ٥٨٤ هـ ، سنة ١١٨٧ م على شرط أن يرحل الصليبيون عنها . وقد عامل صلاح الدين الإفرنج في القدس وباقي المدن معاملة رحيمة كلها شفقة وعدل وتسامح .

الحملة الصليبية الثالثة :

لما شاع في أوربا خبر انهزام الصليبيين في موقعة « حطين » واسترداد المسلمين لبيت المقدس ، وانهيار الدول اللاتينية الصليبية في الشام ، اضطربت الشعوب الأوروبية ، وقامت بتجهيز حملة ثالثة . وكانت الحال في أوروبا قد تغيرت في القرن الثاني عشر الميلادي عنها في القرن الحادي عشر ، فقد أثرت الحروب الصليبية في الزعماء الأوروبيين ، وقللت من نفوذهم حينما هلك منهم عدد كبير ، وبذلك ازداد نفوذ الملوك ، وأصبحوا هم الذين يدعون إلى الحروب الصليبية . لذلك نرى الحملة الثالثة مكونة من جيوش نظامية ، لا من جماعات يربط بينها الحماس الديني فقط . وقواد هذه الحملة ثلاثة ملوك ، هم : فريدريك بربروس امبراطور ألمانيا ، فيليب أوجست ملك فرنسا ، وريشارد قلب الأسد ملك انكلترا ، ولم تكن روح الوفاق سائدة بين هؤلاء .

ولما وصل ملك ألمانيا إلى آسيا الصغرى ، غرق أثناء عبوره أحد الأنهار ، وبذلك تشتت جيشه ولم يصل منه إلا عدد قليل إلى الشام .

ودب الخلاف بين ملك فرنسا ، وبين ملك انكلترا بعد سقوط عكا في أيديهم ، وكان صلاح الدين قد دافع عن عكا دفاع الأبطال ، ولكن نفاد المؤن من المسلمين المحاصرين بعكا ووفرتها بيد الصليبيين المهاجمين

Marfat.com

من البحر ، كل ذلك قد ساعد على سقوط هذه المدينة . وقد غادر ملك فرنسا إلى بلاده بعد أن اتسعت شقة الخلاف بينه وبين ملك انكلترا .

وظل ريشارد قلب الأسد ينازل المسلمين مدة سنتين ، مستفيداً من مرض صلاح الدين .

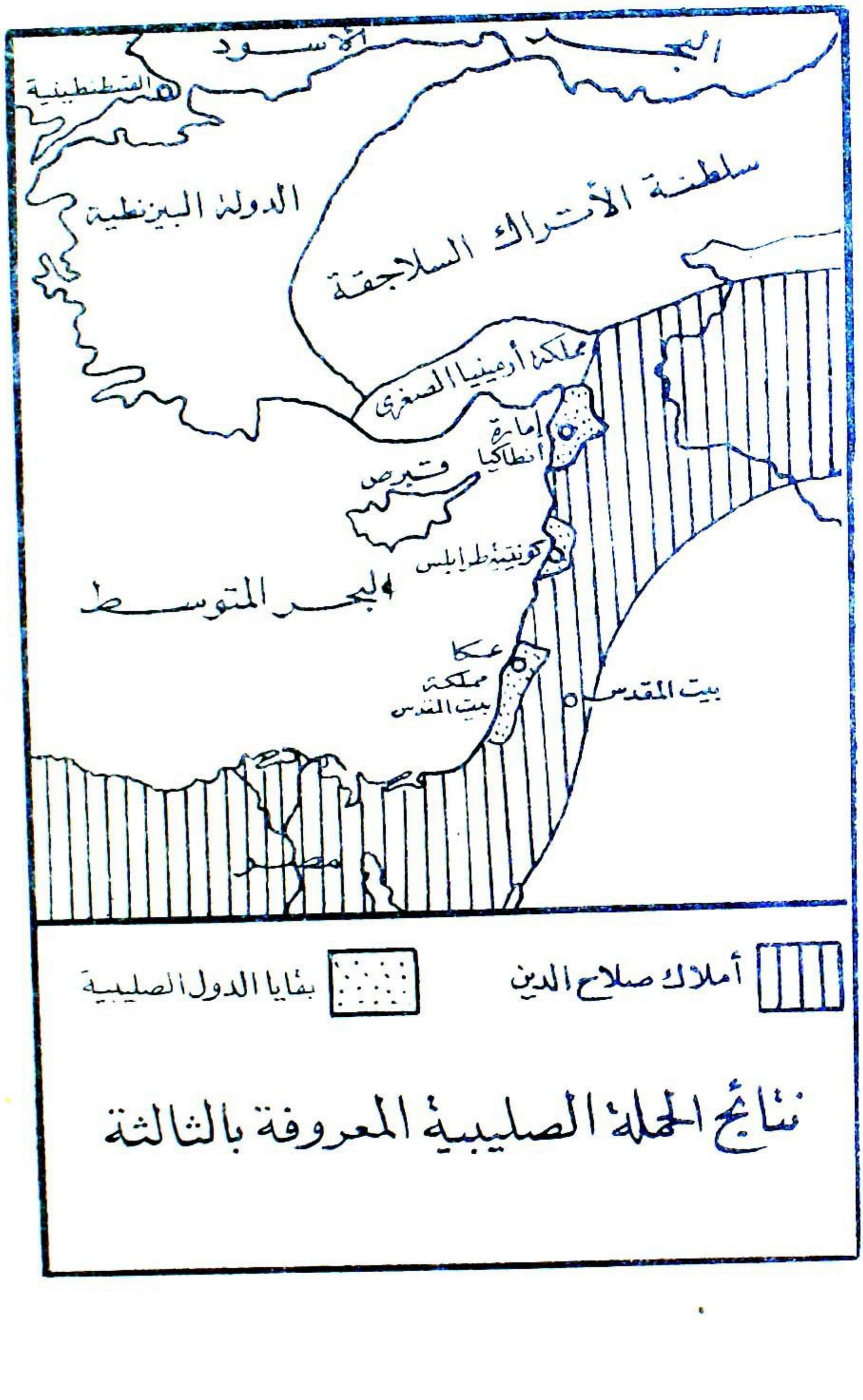

نتائج الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة

Marfat.com

وفي هذه الأثناء جاءت الأنباء إلى ريشارد تحمل اليه استدعاء إلى بلاده فبدأت مفاوضات الصلح بينه وبين سيف الدين أخي صلاح الدين . وهذا الصلح عرف « بصلح الرملة » سنة ٥٨٨ هـ ، سنة ١١٩٢ م ، وأهم شروطه .

١ ـ أن تظل القدس في أيدي المسلمين . ويسمح للفرنجة بزيارتها بدون سلاح .

٢ ـ أن يكون الساحل ما بين يافا وصور في يد الإفرنج .

٣ ـ أن يرد المسلمون للإفرنج المخلفات الدينية المقدسة عندهم .

وقد توفي صلاح الدين بعد هذه الهدنة بسنة واحدة .

الحملة الصليبية بعد صلاح الدين :

١ ـ لما شاع خبر استرداد بيت المقدس في أوروبا . أخذ البابا يحرض شعوبها . فأجابه ملك فرنسا لويس التاسع المعروف بتدينه ، فجمع ٥٠ ألف مقاتل ، وسار بحراً إلى مصر ، فاستولى على دمياط ، وحاصر المنصورة وفتحها وجعلها مقر جيشه : وفي تلك الأثناء مات « الملك الصالح » وكان ابنه توران شاه غائباً عن مصر فاتفقت زوجة الملك المتوفي واسمها « شجرة الدر » مع الأمراء على مواصلة الدفاع ضد الصليبيين ، ولم تعلن موت الملك الصالح ، وباشرت الحكم ، باسم زوجها إلى أن حضر توران شاه فسلمته مقاليد الدفاع ، فهاجم الصليبيين ، وساعده عليهم تفشي الأمراض فيهم ، فأراد لويس الرجوع إلى دمياط ، ولكن المصريين فتحوا فجوات في النيل ، وكان الوقت وقت الفيضان فغرق من الصليبيين عدد كبير ، فاضطروا للتسليم ، ووقع لويس التاسع في الأسر هو وجيشه ، وافتدى لويس نفسه بفدية كبيرة ، ثم ذهب إلى القدس ، حيث بقي ثلاث سنوات ، ثم عاد خائباً إلى بلاده .

Marfat.com

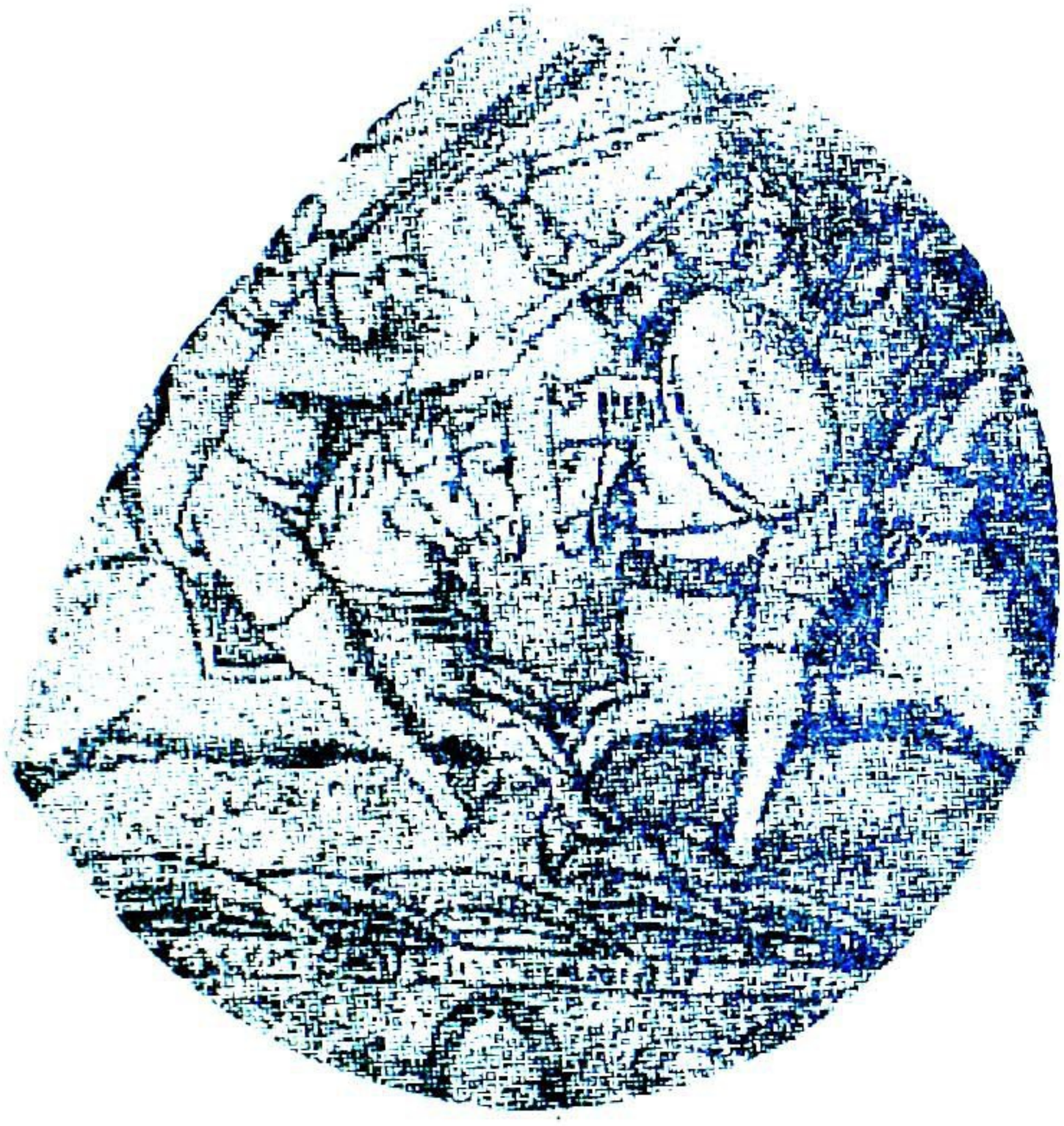

قتال بين الصليبين والمصريين (الصليبيون إلى اليسار)

Marfat.com

٢ — أراد لويس التاسع أن يثأر لحيبته في الحملة السابقـــة ، فجهز جيشاً آخر ، ولكنه بدلاً من أن يقصد مصر ، ذهب إلى تونس ليتخذ منها قاعدة ، ولكن أهلها دافعوا عنها دفاع الابطال ، ولما طال عليـــه الحصار أخذ المرض يتفشى في جنوده ، فهلك هو وابنه وأكثر عسكره . وبذلك قضي على هذه الحملة بالفشل الذريع .

ولم يبق بيد الصليبيين من أراض غير بعض المدن على الساحل السوري ، ولكن أمراء المماليك لم يدخروا وسعاً في سبيل محاربة هؤلاء الصليبيين ، وظلوا يستردون المدينة بعد الاخرى ، حتى تم لهم الإستيلاء على عـــكا أخيراً . وقد كان الفضل في ذلك للظاهر بيبرس ، وقلاوون والأشرف خليل ، وبذلك تم للمسلمين إجلاء الصليبيين عن الديار الإسلامية ، ومحو دولة الإفرنج اللاتينية من الشام ، وذلك سنة ٦٩٠ هـ و ١٢٩٦ م .

وهكذا فشلت هذه الحروب التي دامت قرنين من الزمان ، وأزهقت في سبيلها الأرواح البريئة ، وخربت المدن ، وحطمت المبـــاني والنفائس الفنية ، في كثير من البلاد الإسلاميـــة ، ويمكن أن نتدبر أسباب هذا الفشل فيما يلي :

١ — ان الإمارات التي تشكلت في الشرق العربي لم تكن على اتحاد فيما بينها ، بل كانت تسير على النظام الإقطاعي الذي كانت عليـــه في أوطانها ، فلم يكن لإحدى هذه الإمارات سيطرة كاملة على الأخرى ، وقد أدى هذا التنافر وفقدان التجانس إلى ضعف الصليبيين .

٢ — فساد أخلاق الصليبيين . فقد انغمس الإفرنج في الترف والملذات ، فكانوا يفرطون في شرب الخمر . وبذلك فتر الحماس الديني ، الذي كان الدافع الأكبر لهم في القيام بحملاتهم الظالمة على شرقنا العربي .

Marfat.com

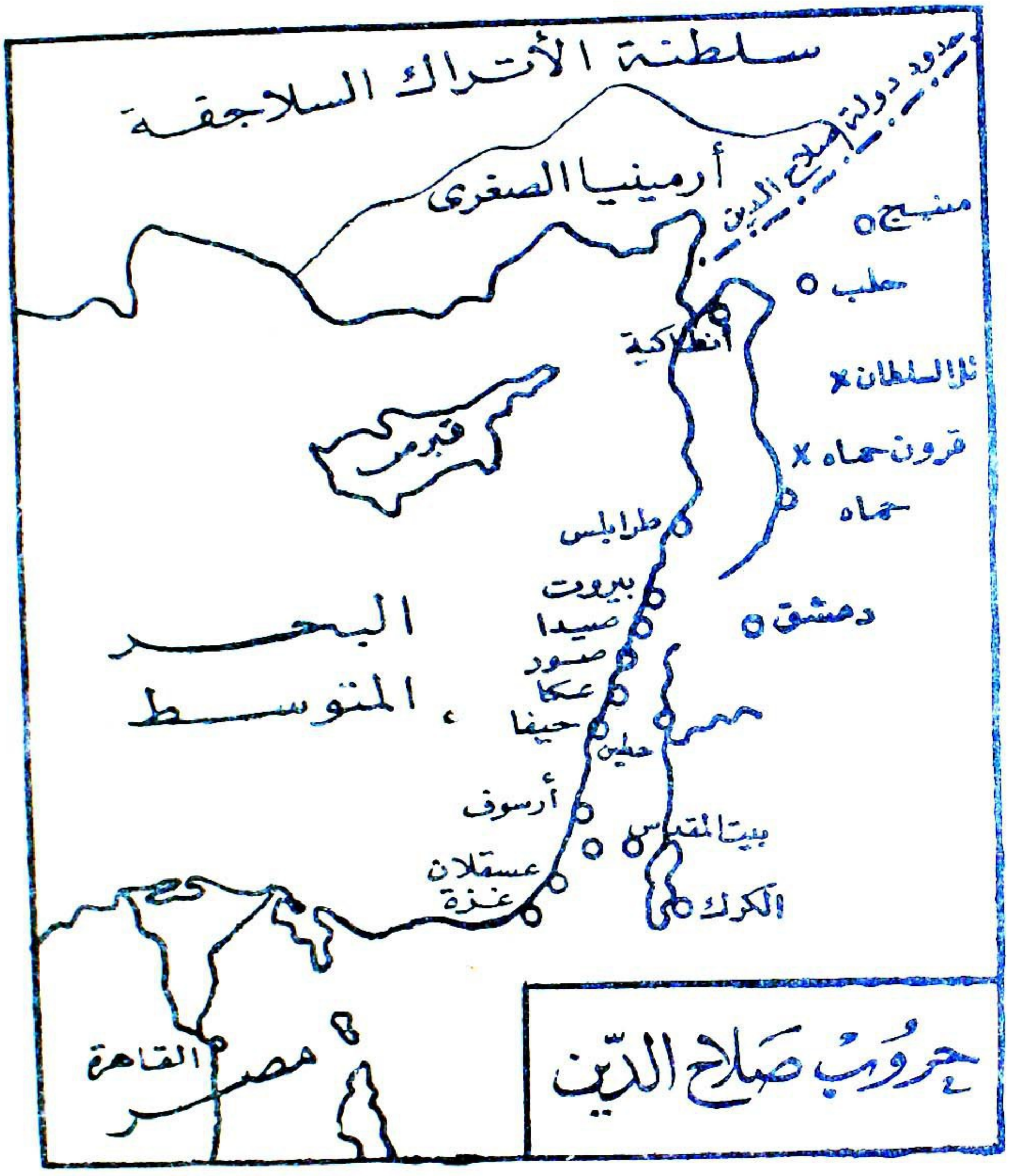
سلطنة الأتراك السلاجقة
أرمينيا الصغرى
حدود دولة صلاح الدين
منبج
حلب
أنطاكية
تل السلطان
قرون حماه
حماه
طرابلس
قبرص
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
دمشق
حمص
بعلبك
طبرية
أرسوف
بيت المقدس
عسقلان
غزة
الكرك
البحر المتوسط
القاهرة
مصر
حروب صلاح الدين

Marfat.com

٣ — أصبحت التجارة البحرية ما بين الشرق والغرب بيد الإيطاليين من أبناء البندقية وجنوة ، فأصبحت لهم بيوتات تجارية كبرى في الشرق ، توفرت لها الثروة الضخمة على حين لم يستفد الصليبيون من ذلك شيئاً .

٤ — انتهى بهم الأمر إلى احتلال المدن الساحلية فقط ؛ بينما كان الداخل كله في أيدي المسلمين ، مما سهل عليهم التعاون والاتحاد في سبيل طرد الغريب المستعمر .

وقد استفاد الصليبيون من هذه الحملات الأمور التالية :-

١ — ساعدت هذه الحروب على تقوية سلطة الملوك الأوروبيين ، حينما ضعف أمر الأشراف ، بعد أن هلك منهم عدد كبير في هذه الحروب . كما أن هذه الحروب قد أخرت أجل سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين .

٢ — ساعد اتصال المسيحيين المتأخرين بالمسلمين المتقدمين في المدنية على ارتقاء الصناعة والتجارة في أوروبا . فكانت سفن جنوة والبندقية التي تحمل الحجاج والمقاتلين إلى الأراضي المقدسة ، تعود إلى أوروبا محملة بخيرات الشرق ونفائسه . كالمنسوجات القطنية ، والسجاجيد ، والأصباغ ، والزجاج ، والأواني الصينية . وكان الأوربيون يقلدون هذه الصناعات .

٣ — اقتبس الصليبيون كثيراً من علوم العرب . فنقلوا [illegible] الكتب العربية المترجمة عن الإغريقية . وبلغ من اهتمام الأوروبيين بتلك العلوم أن أنشأوا بباريس مدرسة لتعليم اللغات الشرقية ، في القرن الثاني عشر الميلادي .

Marfat.com

أثارت هذه الحروب في نفوس الأوروبيين حب الاستطلاع ، ونبذوا عن عقولهم الخرافات التي كانت تحشو أذهانهم . فظهر منهم الرحالة ماركو بولو الذى طاف أرجاء آسيا ووصل إلى الصين ، ثم عاد فوصف لأهل أوربا الشرق وما به من خيرات مما شجعهم على القيام بالرحلات .

٥ — أخذ الأوروبيون عن العرب البوصلة البحرية ، فاستطاع ملاحوهم أن يخترقوا المحيط بعد أن كانوا يعتقدون أنه مأوى الجن . وقد ساعدهم ذلك على كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، ثم كشف أمريكا .

٣ — غزوات الأسبان والبرتغال :

عند الكلام عن الدولة الأموية في الأندلس ، واصلنا قصة العرب في اسبانيا حتى نهايتها المحزنة ، حيث ظل الاسبان ينتهزون الفرصة تلو الفرصة لسحق عدوهم وانتزاع المدن الإسلامية العربية منه ، مدينة بعد مدينة ، ولم يبق في النهاية إلا مدينة غرناطة ، حيث استمر فيها بنو الأحمر رغماً من الزمان يقاومون العدو الذي كانت قواته تتزايد باستمرار وضغطه يشتد حتى دام حصار غرناطة خمس سنين ، طلب المسلمون في نهايتها التسليم لفرديناند على شروط منها : أن يترك للمسلمين حريتهم الدينية ، وأن لا يحول الجوامع إلى كنائس ، وأن يسمح لمن يريد الهجرة منهم الى بلاد المغرب أن يأخذ معه أمواله . فأعطى فرديناند هذه المواثيق ، ودخل غرناطة ، مهد المدنية ومهبط العلم ، وعروس أوروبا في ذلك الوقت .

ولكن فرديناند نقض العهد ، واستباح المدن الإسلامية ، فأعمل فيها نهباً وسلباً ، وفي أهلها قتلا وتعذيباً . وأجبر كثيراً من المسلمين على

Marfat.com

الارتداد عن دينهم ، ونفى من لم يقبل منهم ذلك . ثم أخذ يطفىء نور العلم والمدنية ، بكل ما أوتيه من قوة ، فجمع ما في خزائن الكتب من نفائس وأحرقها في ساحات غرناطة . ولم ينج من همجية هذا الرجل ووحشيته إلا القليل من هذه الكتب . وهكذا ضاع بجهل هذا الرجل كثير من المؤلفات العربية ولم يصلنا الا أسماؤها . وهكذا لعب فرديناند في الغرب . نفس الدور الذي لعبه هولاكو التتري في بغداد في الشرق ، وضربت المدنية العربية الاسلامية ضربتين قاصمتين في الشرق ثم في الغرب، مما أدى إلى تدهور هذه المدنية من جيل إلى جيل .

وقد كان للبرتغاليين دور في الشرق قضوا به على نفوذ العرب وسيطرتهم التجارية والبحرية في المحيط الهندي ، وحرموهم من نقل تجارة الهند إلى أسواقها الغربية .

ولقد عرفنا أن جنوة والبندقية أثريتا الثراء الكبير من نقلها التجارة الشرقية من أفاويه وتوابل إلى الأسواق الأوروبية عن طريق الموانىء العربية في الشام ومصر . وكانت هذه التجارة المارة بمصر والشام مصدر رزق عظيم للمصريين والشاميين ، مما أعانهما على دفع شؤون البلاد ، واقامة المساجد ، والمارستانات والتكايا .

وقد حقد البرتغاليون على المدن الإيطالية زيادة ثروتها لاحتكارها تجارة الشرق وتحكمها في الاسعار . فقاموا بعدة بعثات للوصول إلى الهند طريق غرب أفريقية فكشف « بارثليمو دياز » البرتغالي طريق رأس الرجاء الصالح ، ووصل « فاسكودي جاما » إلى « قاليقوط » على الساحل الغربي للهند . فتحولت التجارة مع أوروبا إلى هذا الطريق الجديد . وقد أثر

Marfat.com

ذلك في حالة مصر فأدى إلى إفقارها ، وهي التي كانت تعتمد في جزء كبير من مواردها على هذا الباب .

وقـــام أسطول البرتغاليين في بحر العرب ، بمحاولة جريئة للقضاء على أسطول العرب . وكان المنافس الوحيد لهم في المحيط الهندي . وقـــد نثبت لذلك معركة « ديو » البحرية سنة ١٥٠٩ بين الأسطولين البرتغالي والعربي . وكانت النتيجة مع الأسف في صالح البرتغاليين . ويرجـــع ذلك إلى انشغال السلطان قانصوه الغوري بمدافعة العثمانيين الذين كانوا في طريقهم إلى مصر عبر الشام . وقد أدى سقوط مصر في يد العثمانيـــين سنة ١٥١٧ م. الى تثبيت أقدام البرتغاليين في الشرق ، واحتكارهم التجارة .

وقد حاول البرتغاليون الاستيلاء على موانيء عربية على ساحل المحيط الهندي والبحر الأحمر ، ولكنهم لم يتمكنوا ، كما حاولوا بصورة خاصـــة الاستيلاء على عدن . ولكن المماليك حالوا بينهم وبين تلك الأمنية .

٤ - الغزو العثماني :

كانت إحـــدى القبائل الآسيوية ، وتسمى قبيلة « آغوز » تتجه غرباً من أواسط آسيا حتى واصلت ســـيرها الى آسيا الصغرى . وبينما كانت تتجول في آسيا الصغرى تحت رياسة « أرطغرل » ، وجـــدت جيشين يقتتلان ، فنصرت الجيش الضعيف على الجيش القوي حتى تم له النصر . وكان الجيش الضعيف من الأتراك السلاجقة ، فلما انتصروا على عدوهم من المغول كافأ سلطانهم علاء الدين « طغرل بك » بإقطاعـــه جزءاً من أملاكه على حدود الدولة البيزنطيـــة يسمى « إسكي شهر » ولما مات أرطغرل عام ١٢٨٨ م تولى الرياسة بعده ابنه عثمان الذي تنتسب اليه

Marfat.com

الدولة العثمانية التي تأسست فيما بعد في هذا الجزء من العالم .

وكان عثمان شجاعاً ماهراً في فنون الحرب، فتمكن من أن يوسع مملكته على حساب الدولة الرومانية الشرقية كما فتح مدينة « بورصة » بعد حصار طويل .

وبعد عثمان تمكن خلفاؤه من توسيع رقعة بلادهم على حساب الروم البيزنطيين . فاستولى أورخان على غاليبولي سنة ١٣٤٧ م ، وتمكن خلفاؤه من غم الإمارات السلجوقية إلى بلادهم ، وواصلوا فتوحاتهم في أوروبا ، حتى أصبح معظم شبه جزيرة البلقان بأيديهم . وبذلك أصبحت القسطنطينية معزولة عن باقي بلاد البلقان إلى أن تم للسلطان محمد الثاني الاستيلاء على هذه المدينـــة العظيمة سنة ١٤٥٣ م ، وهي التي عجز العرب والفرس والسلاجقة عن فتحها ، ولذلك اشتهر هـــذا السلطان في التاريخ بلقب « محمد الفاتح » ، وقد أظهر السلطان محمد الثاني تسامحاً عظيماً مع أعدائه فترك لهم حرية إقامة شعائرهم الدينية ثم منح بطريقهم حق الحكم في قضاياهم المدنية والجنائية .

العثمانيون يفتحون الشام ومصر :

كانت العلاقات بين العثمانيين والمماليك الـــذين كانوا يحكمون مصر والشام علاقات ود ، حتى إن سلطان مصر أرسل إلى محمد الثـــاني بذلك الفتح المبين الذي أجراه الله على يديه ، وأقيمت الزينات في مصر أياماً ابتهاجاً بهذا الفتح .

ولكن سرعان ما دب النزاع بين بايزيد الثـــاني وقايتباي سلطان مصر في ذلك الوقت بسبب إيواء قايتباي للأمير « جم » أخي بايزيد . فاستاء لذلك بايزيد ، وأعلن الحرب على مصر ، ولكن المماليك انتصروا على الجيش العثماني قرب حلب .

Marfat.com

وساءت الأمور بين العثمانيين وسلطان مصر حينما تولى السلطـــان سليم عرش العثمانيين ، وقابله الغوري ملـــك مصر والشام . ذلك أن السلطان سليم اتهم الغوري بأنه على اتصال بالشاه إسماعيل الصفوي ملك بلاد فارس ، الذي كان في حرب مع العثمانيين . كما اتهمه أيضاً بإيواء أعـــداء سليم وبعض الأمراء الأتراك بالإلتجاء إلى مصر . ونتيجة لذلك عرقل السلطان سليم تجارة مصر مع غرب آسيا وأواسطها ، مما أدى إلى قلة الوارد لمصر من الفراء الثمينة ، والمنسوجات الصوفية ، والرقيق من الممالك .

واستعد كل فريـــق للحرب فخرج الغوري إلى الشـــام في حوالي ثلاثين ألف من مماليك وعربان ، وخرج سليم في ١٥٠ ألفاً من المقاتلين المزودين بالمدافع وتقابل الجيشان في موقعة مرج دابق سنة ١٥١٦ م ، وكان النصر أولاً للجيش المصري الشامي بفضل شجاعـــة المماليك . وكاد السلطان سليم ان يهم بالفرار لولا أن وصلته النجدات ، كما انسحب من جيش الغوري شخصان بفرقهما وهما : « خير بك » و « جان بردي الغزالي » ، وانتشرت إشاعة أن الغوري قد قتـــل ، فتخاذل المماليك ، وظل الغوري يقاتل في جماعة قليلة العـــدد بقيت معه حتى سقط عن جواده ، وداسته سنابك الخيل . وبذلك استولى سليم على بلاد الشـــام .

آلت السلطة بعد ذلك إلى طومان باي ، أحد أقارب الغوري ، واستعد طومان باي لملاقاة الجيش العثماني ، ودارت معركة كبيرة بالريدانيـــة (مكان العباسية في القاهرة الآن) وكان النصر في البداية للمماليك ثم دارت الدائرة عليهم . وفر طومان باي إلى الجيزة ، وجمع جموعه لملاقاة العثمانيين ولكنه انهزم عند « واردان » ففر إلى البحيرة حيث اختفى عند أحد الأعراب ، ولكنه أسلمه للسلطان سليم .

Marfat.com

ودخل سليم القاهرة ، واتخذ القلعة مركزاً له سنة ١٥١٧ م . ومنذ ذلك الحين صارت مصر ولاية عثمانية .

ومكث السلطان سليم بعض الوقت في مصر جمع خلاله ألفاً من أمهر العمال والصناع المصريين ، وأرسلهم إلى القسطنطينية ، فانحطت الصناعة في مصر تبعاً لذلك . كما أنه استولى على الكثير من النفائس والكتب القيمة ، التي كانت تزدان بها المساجد ودور الأمراء . وأخذ معه أبناء السلاطين والخليفة العباس إلى القسطنطينية . وهكذا كانت نتيجة فتح العثمانيين للشام ومصر أن انحطت الأحوال في كل منهما وتأخرت البلاد ووصلت إلى درك من الجهل والجهالة لم تتخلص منهما البلاد إلا حديثاً جداً .

الحجاز واليمن :

لما كانت بلاد الحجاز تخضع لحكم المماليك ، كان السلاطين يلقبون أنفسهم « خادم الحرمين » ، ولما استولى السلطان سليم على مصر أصبح هو الوارث لهذا اللقب ، ولهذا خضعت هذه البلاد لسلطان العثمانيين وقدمت إلى السلطان سليم مفاتيح الكعبة . ولكن السلطان سليم أبقى أمير مكة حق تكوين جيش وبعض الاستقلال وثبته على إمارته .

وأما في اليمن : فقد توالت الحملات التركية على هذا الإقليم كان في دائرة نفوذ المماليك ، حتى استولوا على عدن سنة ١٥٣٨ م ثم استولوا على صنعاء سنة ١٥٥١ م . وظلت البلاد تقاوم حكم الأتراك العثمانيين بكل ما أوتيت من قوة حتى أجلتهم عنها سنة ١٦٣٥ م . ولكنهم عادوا إليها بعد ذلك بقرن ونصف من الزمان .

Marfat.com

العراق في يد العثمانيين :

فتح السلطان سليمان كل العراق من جنوبه إلى شماله ، وظل خاضعا لسلطان العثمانيين مدة طويلة . وكان الإيرانيون يرنون إلى الاستيلاء على بغداد فانتزعوها من العثمانيين حوالي ١٥ سنة من ١٠٣٣ - ١٠٤٨ هـ . ولكن السلطان مراد الرابع تمكن من استرداد العراق حيث ظل ولاية عثمانية إلى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م ، سنة ١٣٣٣ هـ .

ولقد وقع كل الشرق العربي تحت قبضة الأتراك العثمانيين ولم ينج شمال أفريقية من ذلك سوى مراكش التي لم يصلها الحكم العثماني ، فعمل السلطان سليم الأول على ضم الجزائر وتونس الى حكمه سنة ١٥١٩ م .

أسئلة

(على الباب السابع)

١ - لماذا فشل الصليبيون في تحقيق أهدافهم النهائية في احتلال الشرق العربي ؟ ولماذا سموا بالصليبيين ؟

٢ - قارن بين الصعوبات التي واجهها صلاح الدين وأحمد بن طولون وكيف تغلب كل منهما عليها ؟

٣ - مانتيجة استيلاء التتار على بغداد ، وما نتيجة استيلاء العثمانيين على مصر ؟ بين أثر ذلك في البلاد الإسلامية بوجه عام .

Marfat.com

الباب الثامن

١ ــ معالم الحضارة العربية الاسلامية

أسس العرب المسلمون الحكومات المنظمة ، وأظهروا عنـــاية عظيمة بتنمية موارد الثروة ، وتقدموا في العلوم والفنون والصناعات .

وسنتكلم فيما يـلي عن مظاهر الحضارة العربية الإسلاميـة من النواحي الآتية : الإدارة ــ العلوم ــ الفنون ــ الزراعة ــ الصناعة ــ التجارة .

الإدارة :

ترك القران الكريم ــ وهو دستور المسلمين ــ الحرية لهم في اختيار نظام الحكومة التي تلائم أحوالهم وتتمشى مع تطور حياتهم ، واقتصر فقـــط على وضع الأسس العامة والمبادىء العريضة ، تاركاً لهم في أغلب الجزئيـــات حق الاجتهاد والاستنباط منه ومن السنة المطهرة .

الخلافـة : لما مات النبي صلى الله عليه وسلم لم ير المسلمون بدأ من إقامة خليفة له يقوم بنشر الدين ويدبر شؤون المسلمين . فانتخب أبو بكر برضى من الصحابة الذين اجتمعوا بالمدينـــة يوم السقيفة ، وإن كانوا قد اختلفوا بعض الإختلاف في بادىء الأمر . وقد عهد أبو بكر قبل وفاته بالخلافة إلى عمر مستأنساً في ذلك بآراء كبار الصحابة .

ولما شعر عمر بدنو أجله اتبع طريقة جديدة لانتخاب الخليفة ، فقصر الخلافة على واحد من ستة من الصحابة المبشرين بالجنة . وبعد قتل عثمان تولى علي بن أبي طـــالب ، ولكن المعارضين له والذين امتنعوا عن البيعة له كثيرون نسبياً .

من ذلك يظهر أن اختيار الخليفة لم يتم بطريقة واحدة ، كما أن عامة المسلمين لم يشتركوا في ذلك الانتخاب . بل كان الأمر مقصوراً على أهل

Marfat.com

المدينة ، وبعد ذلك تأتي الوفود من الأمصار الإسلامية إلى مركز الخلافة للموافقة على هذا الانتخاب .

ولما ولي معاوية الخلافة جعلها وراثية ، ثم تبعه العباسيون . فساروا على هذا النظام ، وزادوا عليه أنهم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المركز ، وأن حقهم في ذلك مقدس . وحينما ضعف الخلفاء ، وأصبحوا لا حول لهم ولا قوة ، كان الجميع يعتقدون بهذا الحق المقدس ويعترفون بالسلطان الديني للخلفاء .

ولم يكن عمل الخليفة مقصوراً على الرياسة الدينية ، بل جمع في يده كل أمور الدولة الدينية والسياسية والقضائية والإدارية . ولما اتسعت الدولة العربية استعان الخلفاء في إدارة شؤون الدولة بعدد من كبار الموظفين منهم الوزير والكاتب والحاجب وولاة الأقاليم وعمال الخراج وعمال البريد والشرطة وقادة الجيش .

الوزير : لم يعرف هذا المنصب زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد كان يشاور الصحابة ، ولا سيما أبا بكر ، حتى لقبه بعض العرب ممن خالطوا الفرس والروم قبل الإسلام « بوزير النبي » وكذلك لقبوا عمر بأنه وزير أبي بكر وهكذا . ولم يتخذ الخلفاء الأمويون وزراء لهم وإنما كان لهم رجال يستشيرونهم . وكان العباسيون أول من اتخذوا الوزراء بالمعنى المعروف . وأول من لقب بالوزير لدى العباسيين هو أبو سلمة الخلال في عهد أبي العباس السفاح . ولقد سمي أبو سلمة « وزير آل محمد » . وصارت سنة الخلفاء العباسيين أن يتخذوا الوزير ليساعدهم في إدارة شؤون الدولة . وكان من صفات الوزير التي يجب أن يتحلى بها ليحوز ثقة الخلفاء : الأمانة ، والصدق ، وقلة الطمع ،

Marfat.com

والذكاء ، وكثرة الحنكة « والتجارب ؛ إذ كان الوزير هو الواسطة بين الخلفاء والرعية ، وعليه تنفيذ أوامر الخليفة ، وإسداء النصح والإرشاد لمولاه .

الكاتب : كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخذ بعض الكتاب ليكتبوا له الوحي أو ليكتبوا رسائله التي بعث بها إلى ملوك الأمم المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام . واتخذ أبو بكر عثمان بن عفان كاتباً له ليكتب إلى العمال والقواد .

وفي عهد عمر بن الخطاب استحدث الديوان (وهي كلمة فارسية معناها الدفتر أو السجل) فيه أسماء الجنود المحاربين وأعطياتهم .

وفي عهد الدولة الأموية استحدثت دواوين جديدة ، فهناك ديوان الرسائل . وديوان الخاتم الذي تختم به أوامر الخليفة حتى لا يتلاعب فيها أحد ، وديوان الشرطة ، وديوان الجند . وكان لكل ديوان كاتب مسؤول . وكان أكثرهم أهمية كاتب الرسائل الذي كان بمثابة رئيس مكاتبة الملوك والأمراء ولذلك كان الخلفاء يعينونه من أقاربهم وخاصتهم وكانت الدواوين تكتب بلغات البلاد التي توجد فيها إلى عهد عبد الملك بن مروان ، الذي عرب هذه الدواوين . وقد كان [illegible] اللغة العربية ؛ إذ أنه هو استعملها ، وسخر لها من استعملها التي أغفلتها .

الحاجب : كان الخلفاء الراشدون لا يتخذون الحجاب ، ولكن لم يكن شخص مهما صغر أن يقابل الخليفة ، ولما جاء بنو أمية اتخذ خلفه الحجاب خوفاً من أن يحدث لهم ما حدث لعلي بن [illegible] وخوفاً من أن يشغلهم زحام الناس عليهم عن النظر [illegible] وقد سار العباسيون على هذه السنة . ومهمة الحاجب [illegible] على الخليفة ، مراعياً في ذلك مقامهم وأهمية الغرض الذي جاءوا من أجله .

Marfat.com

ولاة الأقاليم : كان الخلفاء يعينون ولاة ينوبون عنهم في حكم الأقاليم. وكان الوالي هو الرئيس الأعلى للقضاء ، والخراج ، والجند ، والشرطة وما إليها ، كما كان ينوب عن الخليفة في الصلاة بالناس ، ولا سيما في الجمع والأعياد . وفي الأدوار المتأخرة من الدولة العباسية استفحل أمر هؤلاء الولاة إلى حد الاستقلال عن الخلافة ، كما فعل الطولونيون والإخشيديون والحمدانيون وغيرهم .

وقد عني الولاة بأمر الري لضمان الخراج . أما ما عدا ذلك من الأعمال العامة : فقد ترك في أيدي الأهلين ، الذين كونوا النقابات الصناعية والتجارية ، وأنشأوا المجالس المحلية في المدن والقرى . فتمتع الأهلون بقسط وافر من الحرية الدينية ، والسياسية ، والاقتصادية .

وكان عمر يختار الولاة من العرب ، وسار على هذه السياسة الخلفاء الراشدون والأمويون . وكان العباسيون أول من أدخل فيها الفرس والأتراك .

البريد : كانت مهمة صاحب البريد التجسس على الأعداء ، (مهمة قلم المخابرات في وزارة الحربية الآن) ومراقبة ولاة الأقاليم ، ومواعاة الخليفة بجميع الشؤون الهامة . وأول من اتخذ البريد من المسلمين معاوية ، وقد اقتبسه عن الروم أثناء ولايته على الشام .

وفي عهد الدولة العباسية أصبح للبريد ديوان كبير في بغداد أشبه بمصلحة البريد الآن ، إلا أنه كان خاصا بأعمال الحكومة .

وكان عمال البريد عيوناً للخلفاء وعوناً لهم على الإشراف على أمور الدولة . فلم يكن ثمة خوف من استقلال الولاة بالولايات البعيدة عن الحكومة المركزية .

وكان البريد ينقل على الدواب في الطرق البرية ، أو باستعمال الأنهار أحياناً . وقد استعملوا أيضاً الحمام الزاجل في نقل الرسائل المستعجلة المقتضبة ،

Marfat.com

واتخذوا لذلك أبراجاً خاصة . وكان إهتمام المماليك بالحمام الزاجل كبيرا ، وكان ينقل الأخبار من مصر إلى بلاد الشام .

الشرطة : هم جماعـــة من الجند ، كان عليهم السهر على الأمن الداخلي ومراقبـــة اللصوص والجناة والقبض عليهم . وقـــد عين عمر في المدينة جماعة من المسلمين وكلفهم أن يتجولوا في الأسواق ليلاً ليطلعوا على الحالة ويقروا الأمن ، وسماهم العسس .

وفي عهد علي نظم أمر العسس وأطلق عليهم إسم الشرطة ، وجعل لهم رئيساً دعي صاحب الشرطة . واحتفظ الأمويون بهذه الوظيفة وفصلوها عن القضاء بعد أن كانت تابعة له . وأوجدت الشرطة في جميع المـــدن الكبرى في العصر العباسي . ويقال إن بعض الخلفاء العباسيين ، كالرشيد والمأمون ، والمعتصم استخدموا شرطة سرية يوافونهم بالأخبار الداخلية أو الخارجية . فكانوا يساعدونهم على التحقق من أخبـــار صاحب البريد ، أو يكونون كالجواسيس لهم في بلاد الاعداء ، كما تفعل جاسوسية الدول الكبرى في الوقت الحاضر .

القضاء : كان القضاء في أول الأمر للخلفاء . ولما انتشرت الفتوحات الاسلاميـة في عهد عمر وارتبط المسلمون بغيرهم من الأمم دعت الحالة إلى إدخال نظام تشريعي للفصل فيما يقوم بين الأفراد من العرب وغيرهم من النزاع . وقضى هذا النظام بتعيين قضاة في الأقاليم ينوبون عن الخليفة لفض هذه المشاكل . وكان الخليفة يعين القضاة مباشرة ، حتى لا يكون للولاة نفوذ عليهم .

وفي عهـد المهدي العباسي أنشأ وظيفـة كبير القضاة . وأصبح هو الذي يعين القضاة ويراقب أعمالهم .

وكانت الأعمال القضائيـة موزعـة بين القاضي والمحتسب . فللقاضي

Marfat.com

الفصل في القضايا الدينيـــة ، والمحتسب الفصل في القضايا التي تتعلـــق بالنظام العام ، كالموازين ، والمكاييل ، وغير ذلك .

وفي عهد عبد الملك بن مروان نشأت وظيفة « صاحب المظـــالم » وهو الذي كان يفصل في القضايا الهامة الخاصة بذوي الجـــاه ، والحسب في الدولة .

الجيش والأسطول :

استمدت الدولة العربية قوتها من الجيش الذي نما نمواً عظيماً على أثر دخول كثير من الناس في الاسلام ، ورتب عمر بن الخطـــاب الأرزاق للجند ، وأوجد لهم ديواناً أحصاهم ، ونظم شؤونهـم . وقد بلغ عدد الجند في زمن العباسيين مئات الألوف ، وكان الجنـــدي يتقاضى راتباً شهرياً .

وكان الجيش يتكون من فرسان ومشاة . وكان من ضمن آسلحتهم القسي ، والسهـــام ، والرماح ، والحرّاب ، والفؤوس ، والسيوف التي كانوا يعنون بصناعتها . وكان الجنود يغطون رؤوسهم بالخوذة ، ويستعملون الدرع والمنطقة .

وقد استفاد العرب من اتصالهم بالفرس والرومان خبرة ومعرفة بفنون الحرب ، فعرفوا كيف يصفون الجند ويقسمونهم إلى كتائب . وتفوقوا على الفرس والروم في هذا المضمار ، كما عرفوا كيفية حفر الخنـادق ، وإقامة الحصون ، واستعمال الآلات الحربيـــة ، وآلات الحصار ، وهدم الأسوار .

وأما الأسطول فلم ينل أول الأمر عناية العرب لبداوتهم وعدم مهارتهم

Marfat.com

في ركوب البحر . ولكن لما صار لهم أسطول في عهد ولاية معاوية على الشام ، تمكن الأسطول الإسلامي من هزيمة الروم في موقعة ذات الصواري . وعظم شأن الأسطول العربي في زمن الأمويين ، ثم العباسيين ، حيث أنشأ الخلفاء السفـــن في الثغور الإسلامية بالشام ، ومصر ، والمغرب ، وعبأوا الأساطيل بالرجال والسلاح لحماية البلاد الإسلامية من غارات الروم المتواصلة .

الموارد المالية للدولة :

كانت موارد الدولة تتكون من خُمس الغنـائم التي يصيبها المسلمون في حروبهم مع غير المسلمين ، والزكاة ، وهي ربـــع عشر ما يمتلكه المسلم من المال والتجـــارة ، والخراج ، وهو ضريبة الأرض ، وجزية أهل الذمة ، ثم العشور (عشر قيمة السلع) على التجارة الواردة . هذا عدا الضرائب التي تحصل من أرباب الحرف ، والصناعات من غير المسلمين ، وكانت الضرائب تخفف في بعض الأحيـــان إذا قل المحصول لسبب من الأسباب ، وكانت هذه الموارد تصرف في تحسين حـــالة الدولة ومرتبـات القضاة ، والولاة ، والعمال ، والجند .

الزراعة : اهتم العرب المتحضرون بالزراعة بعكس البـــدو الرحل ، وعرفت اليمن ببلاد العرب السعيدة اشهرتها في نباتاتهـــا وزراعتها ، وبنى اليمنيون كثيراً من السدود أشهرهـــا سد مأرب . وكان اليمنيون أول من زرع سفوح الجبال على شكل مدرجات متتالية .

وقد كان الخليفة عمر بن الخطـــاب لا يشجع العرب على الاشتغال بالزراعة حتى لا ينصرفوا عن الجندية . ولكن في عهـــد الأمويين ، والعباسيين وجد العرب أنفسهم يملكون بلاداً قد اعتنى فيها السكان بالزراعة

Marfat.com

وشؤون الري ، فتعهدها العرب بعنايتهم ، فأصلحوا خليج أمير المؤمنين ، الذي يصل بين البحر الأحمر والنيل ، كما اهتموا بالترع والجسور وإقامة مقاييس على النيل .

وقد ظهرت عبقرية العرب الزراعية في الأندلس ، فقد عنوا بفلاحة الأرض ، وتخطيط الحدائق ، وتربية المواشي ، ومعرفة أحوال الجو ، ولا يزال الأوروبيون إلى اليوم يعتبرون عرب أسبانيا أساتذة العالم في الفنون الزراعية . وكثير من النباتات دخلت أوروبا عن طريق الأندلسيين.

الصناعة : مهر العرب في استغلال موارد الثروة المعدنية . فاستخرجوا الحديد والرصاص ، والكبريت ، والنفط ، والمرمر من مناجم فارس ، وخراسان ، والأندلس . وكان ذلك سبباً في نبوغهم في صناعة المعادن لا سيما صناعة الأواني النحاسية المطعمة بالذهب والفضة .

ومهر المسلمون في صنع الأواني الخزفية ، والصينية ، والزجاجية ، كما مهروا في صناعة المنسوجات الحريرية ، والكتانية ، والصوفية ، فاشتهرت دمشق والموصل بصناعة أنواع من الأنسجة ما زالت تسمى إلى الآن « داماسك » نسبة إلى دمشق « وموصلين » نسبة إلى الموصل .

وقد أخذ العرب عن الصين صناعة الورق فمهر فيها أهل سمرقند وبغداد ، كما امتازوا في صناعة الصابون واستخراج الزيوت والأعطار كما عرف المسلمون صناعة البارود .

الفنون : وجه العرب عنايتهم لفن البناء ، فأسسوا العواصم العامرة ، وبنوا بها القصور الفخمة والمساجد العظيمة . وخير شاهد على ذلك ما تزخر به القاهرة ودمشق وأصفهان ، وقرطبة من مساجد ، فيها من الزخارف وهندسة البناء ، ما يدل على سلامة الذوق .

ولم يعن العرب بفن النحت والتصوير لكراهتهم للأوثان لأن اتخاذها محرم. وهذا ما يفسر لنا اقتصارهم في الزخرفة على المناظر الطبيعية، والأشكال الهندسية، والحيوانية ، والنباتية .

Marfat.com

التجارة : في عصر الفتوح الإسلامية الأولى لم يوجه العرب عنايتهم إلى التجارة ، بل كان كل اهتمامهم مركزاً على خوض تلك المعارك الهائلة ، التي قابلوا فيها جيوشاً تفوقهم عدداً ، ومدنيات سبقتهم بمراحل .

غير أن الحال تغيرت بعد انتهاء الفتوح ، وفي عصور الاستقرار والرخاء ، نشطت التجارة نشاطاً قوياً . وكان من عوامل هذا النشاط : اتساع رقعة الأمبراطورية العربية ، والإختلاط بالروم والفرس وسائر سكان البلاد المفتوحة ، وتقليدهم في نواحي الترف ، وكثرة الأموال التي تدفقت على الدولة ورجالها . ولم يأت القرن الثالث الهجري إلا وقد حدث انقلاب كبير في التجارة والنشاط التجاري ، وأصبح التاجر الغني يمثل الحضارة الإسلامية ، بما فيها من مظاهر البذخ والأبهة . وقد قامت قوافل المسلمين وسفنهم تجوب البلاد والبحار كلها ، حتى أصبحت التجارة العربية أول تجارة في العالم . وصارت الاسكندرية وبغداد والقاهرة تقرر الأسعار في العالم كله .

وكانت المراكز التجارية كثيرة في العصور الإسلامية ، واشتهر سوق المربد بالبصرة ، كما اشتهرت دمشق كمركز هام من مراكز التجارة ؛ لأنها كانت على ملتقى عدة طرق ، بين الشرق والغرب والشمال والجنوب . وأما بغداد — عاصمة الدولة الإسلامية — فقد أصبحت السوق التجارية الأولى في العالم الإسلامي ، وفي مصر ، والأندلس ، وصقلية ، وجدت مراكز كثيرة للتجارة ، وكانت أنهار دجلة ، والفرات ، والنيل ، من طرق المواصلات المائية . وقد أوصل العباسيون الدجلة بالفرات عند بغداد .

وقيل إن الرشيد فكر في وصل البحر الأحمر والبحر الأبيض [illegible] كمشروع قناة السويس ، وهذا كله يدلنا على اهتمام العرب بالتجارة ، كما ظهر هذا الاهتمام واضحاً ، من تأمين الطرق ، وحفر الآبار ، وإقامة المحطات في طرق القوافل ، كما أقاموا المنائر في الثغور ، وبنوا الاساطيل

Marfat.com

لحمـاية السواحل من غارات القرصان .

ولقد انتشرت القوافل التجارية من الصين والهند إلى جهـات بحر قزوين ، والبحر الأسود ، والقسطنطينة ، حتى أواسط بلاد روسيا ، ومن بغـداد إلى الشام ومصر ، والمغرب الأقصى ، كما توغلت في جهـات البحيرات العظمى الأفريقية ، واخترقت صحراء افريقية إلى النيجر .

وكان التجار المسلمون أينما توجهوا ، يحملون معهم دياناتهم ولغتهـم ، حتى إن الاسلام انتشر في كثير من البقاع ، وبخاصة في داخل القـارة الأفريقية ، وعلى سواحلها الشرقية والغربيـة ، نتيجة للتجـــارة ، وليس بالسيف ، كما يزعم كثير من الناقمين الحاقدين على الاسلام ، من غـــلاة المتعصبين الغربيين . وكانت اللغة العربية هي اللغـــة التجارية ، وذاع استعمالها واستعمال اصطلاحاتها وكثير من مفرداتها ، حتى أصبحت تحتل في بلاد أفريقيا وآسيا ، نفس المنزلة التي احتلتها وتحتلهـا اللغة الانكليزية الآن ، خصوصاً في التجارة . وقد شبه المؤرخ طومسون العرب بالانكليز في الوقت الحاضر ، في نشاطهم التجـاري وتوسعهم ونشر لغتهـم في أقاصـي الأرض .

وكان من عظم شأن هذا التوسع التجاري أن الرحالين والجغرافيين العرب كتبوا عن تجـارة المسلمين في البـلاد النائية والدانية ، كما أنهـم وصفوا تلك البلاد التي وصلتهـا تجـارتهم من عـدة نواحي ، ومن اولئك الجغرافيين : ابن حوقل ، والمسعـودي ، وابن بطوطـة ، والأصطخري ، والادريسي ، والمقدسي .

العـلوم : لقـد رفع الاسلام المستوى العقـلي للعرب ؛ إذ غير كثيراً من مفاهيمهم . فبعـد أن كانوا يعبـدون الأوثان ، صاروا يتوجهون إلى الإله الواحد القادر الرحيم بالعباد ، وتغيرت مثلهم العليـا فأصبحت تتمثل في الخضوع لله تعالى ولتعـاليمه ، وتجنب الكبرياء والعظمة بعـد أن كان

Marfat.com

المثل الأعلى الجاهلي هو الكرم إلى حد الإسراف ، والإخلاص للقبيلة ، والأخذ بالثأر وغير ذلك . أضف إلى ذلك أن الإسلام قد وسع أفق العرب ودعاهم القرآن إلى العلم والأخذ بأسبابه بالنظر إلى أنفسهم وإلى ما حولهم من حيوان ، ونبات ، وارض ، وسماء ، وكواكب ، ونجوم ، فزادهم ذلك ثقافة واتساع أفق .

وقد شجع الإسلام العلم والتعليم . فلملك قد عرفت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل فدية الأسرى تعليم عدد من المسلمين القراءة والكتابة . وأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وقد كان اهتمام العرب موجهاً في صدر الإسلام إلى الناحية الدينية ، فراحوا يغرفون من منهل القرآن العظيم ، والحديث النبوي الشريف ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ونشأت تبعاً لذلك علوم جديدة ، كعلم التفسير ، والحديث .

وقد اهتموا أيضاً باللغة العربية إذ كان من اللازم لهم أن يعرفوا أسرارها لكي يساعدهم ذلك في فهم التشريع والأخلاق والآداب فهماً عميقاً نيراً .

وقد بلغت النهضة العلمية أوجها في صدر الدولة العباسية بفضل تشجيع المنصور والرشيد والمأمون . فكانوا يبعثون البعوث للتنقيب عن الكتب القديمة في الكنائس والأديرة . وأرسل المأمون إلى الهند والقسطنطينية لنقل الكتب النفيسة . وبذلك نشطت حركة الترجمة واشتد ساعدها . فنقلت أمهات الكتب الفارسية ، والهندية ، والإغريقية إلى العربية . ومن بين ذلك : فلسفة أرسطو ، وهندسة إقليدس ، وجغرافية بطليموس ، وكان من أشهر المترجمين حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندي . وقد سار الفاطميون والأيوبيون في مصر ، وأمراء الأندلس في الغرب على نهج العباسيين .

وكانت المساجد تلعب دوراً مهماً في تثقيف الشعب . فألحقت بها

Marfat.com

المدارس وما زال الأزهر الشريف يقوم برسالته في العلم وهو اليوم أكبر جامعة إسلامية ، وكذلك الحرم المكي الشريف تعقد فيه حلقات الدرس التي ازدهرت في عهد آل سعود . ولم يبخل الخلفاء والولاة والسلاطين على العلم والعلماء ، فأوقفوا على هذه المدارس الأوقاف للقيام بشؤونها ، كما أغدقوا على العلماء وطلاب العلم الأرزاق والهبات والعطايا . وكل ذلك قد شجع البحث العلمي ، فظهر المؤلفون العرب ، والمسلمون في كل علم وفن . وبلغ من اهتمامهم بالعلم أن كانوا يرسلون الرسل في سبيل اقتناء أحد الكتب آلاف الأميال ، وكونوا المكتبات العامة . وبلغ عدد الكتب في مكتبة القاهرة زمن الفاطميين خمسمائة ألف مجلد ، وفي مكتبة قرطبة أربعمائة ألف مجلد . وقد رأينا كيف أن التتر عبثوا بمكتبات بغداد وألقوا ما فيها في نهر دجلة ، فاسودت مياهه من الحبر الذي كتبت به تلك الكتب .

وقد كان عمل العرب ذا شقين ، أولها : الاطلاع على ما عند الغير وتفهمه وإجادته . وثانيها : البناء عليه والزيادة فيه ، حتى إنهم كثيراً ما بزوا أساتذتهم من الفرس والإغريق .

ونبغ العرب في الرياضيات نبوغاً يشهد لهم به أعداؤهم قبل أصدقائهم . فقد ابتكر جبر الأشبيلي المتوفي سنة ١١٩٦ م علم الجبر . كما نبغوا في الهندسة ، والميكانيكا ، فاخترعوا المزاول والبوصلة (الاسطرلاب) وأقاموا المراصد في بغداد والقاهرة وقرطبة . وقاس علماء الفلك الزوايا وضبطوا الأبعاد وحركات الكواكب ولا تزال معظم مجموعات النجوم تحتفظ بأسمائها العربية حتى اليوم . وقد نبغ ابن يونس المصري في علم الفلك ، واخترع بندول الساعة الدقاقة ، وبنى مرصداً بجبل المقطم .

وقد بينا قبلاً كيف ساعدت التجارة ، ورقعة البلاد الإسلامية على الرحلات والتقدم في سبيل الكشوف الجغرافية ، وكشف العرب جزائر

Marfat.com

أزوره Azores ووضع علماؤهم المصورات الجغرافية القيمة . ومن ذلك المصور الذي رسمه الإدريسي للملك روجر الثاني سنة ١١٥٠ م . أما في علم التاريخ فتشهد كتب ابن خلدون وابن الأثير ، والطبري ، وأبي الفداء ، والمقريزي بما لهم من فضل على هذا العلم .

ولسنا في حاجة إلى الإفاضة في القول بأثر النهضة الإسلامية العربية في الأدب العربي بفروعه المختلفة من شعر ونثر . فقد أثرت فيه بلاغة القرآن ، والحديث ، وساعدت مظاهر الحضارة ، والتقدم المادي ، وجمال المناظر في البلاد التي فتحوها ، وخصوصاً في الأندلس . كل ذلك ساعد على رقي الخيال ، وبلوغ الشعر درجة من الدقة لم يبلغها من قبل .

وفي الغناء والموسيقى والعزف على الآلات الموسيقية أظهر العرب نبوغاً خاصاً ساعد عليه ميل بعض الخلفاء إلى الطرب واللهو ، وراجت هذه البضاعة حتى إن بعض الخلفاء ، وأهلهم تعلموا الضرب على الآلة ، واشتغلوا بصناعة الألحان ، والتلحين . وقد ألف كتاب من أجزاء كثيرة سمي «بالأغاني» وقد نبغ في الغناء والموسيقى : إسحق الموصلي ، ومعبد ، وابن سريج .

وكان الخلفاء يشترطون في المغني أن يكون حافظاً للأشعار ، والنوادر ، ويحسن النحو ، والإعراب .

وكان إبراهيم الموصلي من أهل الأدب ، ويحسن الغناء ، وعلى معرفة جيدة بالفقه أيضاً . وقد أغدق الخلفاء على المغنين فقد بلغ راتب إبراهيم الموصلي عشرة آلاف درهم في الشهر غير الهدايا وغلات الضياع .

٢- أثر الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية والكشوف الجغرافية

كان الغربيون الأوروبيون يأتون إلى البلاد العربية إما لزيارة الأماكن

Marfat.com

المقدسة ، أو للتجارة ، أو لطلب العلم ، فيطلعون على فنون المسلمين وأساليبها ، ويحملون ما يمكن حمله من بدائعها . كذلك كانت بعض الجاليات الشرقية تقيم في مدن إيطاليا كالبندقية مثلاً ، وكانت تتفوق بعمل التحف ، وتنشر أساليبها في البلاد الأوروبية . وقد بلغ من انتشار هذه الجاليات أن بعض الصناع توغلوا شمالاً في أوروبا حتى وصلوا إلى السويد والدانمرك . وكانت هذه إحدى الطرق التي انتشرت بها الفنون الإسلامية في أوروبا .

غير أن هناك طرقاً مهمة وصلت بها هذه الفنون ، والحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، وذلك عن طريق الأندلس وصقلية ، وعن طريق الحروب الصليبية وما تبعها من تجارة الجمهوريات الإيطالية مع بلاد الشرق الأدنى ، وعن طريق الحكم التركي في بلاد البلقان .

أما في أسبانيا فإننا قد عرفنا قبلاً أن الحضارة العربية الإسلامية وصلت فيها إلى درجة عظيمة بحيث أصبحت من أهم مراكز الفكر في العالم العربي الإسلامي . وأثرت في نفوس أهل الأندلس المسيحيين ، والمسلمين على السواء ، وانصهروا جميعاً في بوتقة واحدة . وانتشرت الثقافة العربية في سائر أجزاء شبه الجزيرة وأوروبا عن طريق المهاجرين ، والأساتذة الذين كانت تدعوهم الجامعات للتدريس فيها ، وعن طريق التجار ، والجنود ، وأسرى الحرب والسياسيين ، والسفراء ، وغيرهم . كذلك بقي العرب في صقلية نحو قرنين من الزمان فأدخلوا فيها الأساليب الفنية وأنواع الصناعات . وساعد تسامح الأسرة النورماندية التي حكمت الجزيرة بعد خروج العرب على بقاء التقاليد الإسلامية سائدة ومزدهرة بالجزيرة وانتقلت من هناك إلى إيطاليا .

وقد حدثت أهم الاتصالات بين أوروبا وبين البلاد العربية الشرقية في زمن الحروب الصليبية ، وظهر الاتصال في جميع النواحي ، وخصوصاً

Marfat.com

الناحية التجارية . وقد ازدهرت تجارة الجمهوريات الإيطالية مع الشرق ، في ذلك العصر وفي العصور التي تلتـــه ، فانتقلت الصناعات والفنون الإسلامية إلى أوروبا مع البضائع والتحف .

كذلك ساعد استيلاء الأتراك العثمانيين على البلقان واتصال ملوك أوروبا بسلاطين آل عثمان على انتشار الفنون الإسلامية في بلاد الغرب ، خصوصاً وقد أصبحت القسطنطينية مركزاً هاماً لهذه الفنـــون بعد أن جلب سليم الأول معه ألوفاً من الصناع من مصر والشام .

ومن الأشياء والفنون التي نقلهـا الأوروبيـون عن العرب المسلمين العلوم الطبيعية عن ابن زهر ، وابن البيطار ، وعرفوا عن طريق العرب الجدري ، والحصبة ، وطرق معالجتها . وطالمـــا كان يستدعي ملوك أوروبا ، وأمراؤها الأطباء من العرب لمعالجتهم . كذلك استفاد الأوروبيون من نبوغ العرب في الكيمياء ، ولا تزال بعض أسماء المركبات الكيمائية ، كالكحول ، والكافور ، والقلويات ، والأشربة تدل على أصلها العربي ، فهي في الانكليزية على التوالي Alcohol , camphor , alkali , syrup .

وأخذ الأوروبيون عن العرب كثيراً من أنواع النبات كالأرز ، وقصب السكر ، والخرشوف ، والمشمش ، والبرتقال ، وأنواع الورد والياسمين ، كما أخذوا عنهم الطواحين الهوائية لطحن الغلال ، ورفع الماء ، ولا تزال بعض السهول في الأندلس تروى إلى الآن بطرق الري الفنية التي ابتكرها العرب .

وفي ميدان الصناعة نقل أهـل أوروبا عن العرب كثيراً من الصناعات كصناعة السكر ، والحرير ، والورق ، وصناعة البارود ، كمـــا عرفوا عنهم البوصلة التي كان لها الفضل الأكبر في تشجيع الملاحين على التوغل في البحار والكشف الجغرافي .

Marfat.com

وكانت الأساطيل الإسلامية نماذج لأساطيل البلاد المسيحية في حوض البحر المتوسط ، وما زالت بعض الإصطلاحات العربية البحرية شائعة حتى الآن في كثير من اللغات الأوروبية ، فهناك كلمة Cable وهي تعني « حبل » وكلمة Arsenal وهي تحريف عن « دار الصناعة » العربية .

وكان لجهود العرب تأثير على النظريات الموسيقية ، وعلى الآلات أيضاً .

وأخذت أوروبا عن العرب عدداً من الآلات الموسيقية ، منها : العود ، والطبل ، والبوق ، والصنج ، واحتفظ أكثرها بالأسماء العربية ، ومثال ذلك : العود ، فاسمه في الانكليزية (Lote) ، كما تأثروا بأشعار العرب وأناشيدهم ، وأغانيهم ، وكان لذلك أكبر الأثر في الآداب الأوروبية ، وفي النهضة الأوروبية بوجه عام .

الكشوف الجغرافية وأثر العرب فيها :

من خلال الفصول السابقة عرفنا كيف تأثر الأوروبيون بالحضارة الإسلامية العربية عن طريق مراكز هذه الحضارة في الأندلس ، وجزر البحر المتوسط ، وبخاصة صقلية ، وعن طريق التجارة التي حملها العرب إلى أوروبا ، وعن طريق الصناع ، والعلماء ، الذين كان يستدعيهم أهل أوروبا ، وكانت أوروبا قبل ذلك ترتع في فيافي الجهالة والجهل ، وما زال مؤرخوم وعلماؤهم يتكلمون عن العصور الوسطى ، على اعتبار أنها العصور المظلمة Dark ages ؛ لأنها في الواقع لم تكن بالنسبة إليهم إلا ظلاماً في ظلام . ظلام من ناحية الدنيا المحيطة بهم ، فلم يكونوا يعرفون منها إلا القليل ، وهذا القليل لعبت به الخرافات والأوهام كثيراً جداً ، وظلام من الناحية العقلية ، فلم يكن للإنسان في تلك الأيام أن

Marfat.com

يفكر لنفسه ، ويستعمل عقله إلا في حدود رسمتها له الكنيسة ، فإذا خرج عن دائرتها ، فالويل له ، وعقابه تكفير وحرمان من الكنيسة ورعايتها . ومن هنا كان اتصال الأوروبيين بالعرب المسلمين ، نقلاً لهم من الظلام إلى النور ، النور الذي رأوا في إشراقه الدنيا ، فإذا هي فسيحة ، غير مقفلة ، وإذا هناك إلى الشرق منهم أقوام ذوو حضارة وتقدم . فيذهب ماركو بولو إلى الشرق ، ويوغل في السفر حتى الصين ، ثم يعود إلى بلاده فيروي العجب العجاب .

ولقد قدم العرب للمكتشفين الأوروبيين خدمات جليلة لولاها ما تمكنوا من القيام بكشوفهم الجغرافية التي يحتكرون الآن الفضل في إتمامها . فلولا تاجر عربي يدعى « أحمد بن ماجد » ما تمكن فاسكودي جاما من الوصول إلى قالقوط بالهند ، ولكان نصيبه مثل نصيب بارثليو ديماز على الأكثر ، فيصل إلى حد اكتشاف رأس الرجاء الصالح مثلاً . ولكن فاسكودي جاما ظل يتنقل على الساحل الأفريقي الشرقي إحثاً وراء الدليل الذي يأخذه بيده إلى الهند ، وأخيراً عثر عليه في شخص ذلك التاجر العربي الذي باء بالنسيان والإهمال ، بينما نعم فاسكودي جاما بالشهرة والمال والتكريم .

ولقد عرف العرب المصورات الجغرافية ، ومن أشهرها تلك التي صنعت للمأمون موضحة العالم بنجومه وأفلاكه ، وبره وبحره ، ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك . وكان العرب يعتقدون في كروية الأرض . وهذا هو الادريسي يعمل نموذجاً للكرة الأرضية ، طلبه منه الملك روجر الثاني ملك صقلية . ورسم الادريسي على تلك الكرة (وكانت من الفضة) جميع أنحاء الأرض المعروفة في زمانه رسماً دقيقاً .

Marfat.com

ويقولون إنه شرحها شرحاً وافيـــاً . وأشار إلى وجوب وجود قـارة أخرى إلى الغرب حفظاً للتوازن في الكرة الأرضية . وهـذه الفكرة ، فكرة كروية الأرض وإثباتها بالبراهين العقلية ، هي التي شجعت الرحالة كريستوف كولمبس فيما بعد على محـاولة تأييدهـا عملياً بالوصول إلى الهند عن طريق السير غرباً .

ولا شك أن الروح العملية التي تحلى بهـا العرب وتجلت في عقليتهم وطريقة معالجتهم للأمور ، تلك الروح العملية هي التي أدت بهم إلى اختراع البوصلة (الأسطرلاب) تلك الآلة التي شجعت البحارة الأوروبيـين على التوغل في البحار بعد أن كانوا قبل ذلك يسيرون بحذاء الشاطىء ويخافون الابتعاد عنه .

وأخيراً وليس آخراً ، لقـد كان العرب هم الدافع للبرتغـــاليين على اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ومحـاولة الوصول إلى تجـارة الهنـد والشرق عن غير طريق السويس ، وجنوة ، والبندقية ، بسبب تحكم مصر والشـام في ذلك الوقت في تجـارة العـالم ، وتشاركهـا في ذلك جمهوريتا جنوة والبندقية . ولقد استطاعت البرتغـال أن تضرب هذه البلاد ضربات ساحقة قاضية حينما نجحت في الوصول إلى الهند والإستيلاء على التجارة من منافسيها .

ونختم هذا الفصل بقول الدكتورة نجلاء عز الدين مؤلفـــة كتاب « العالم العربي » : « كان أثر العرب في أوروبا في القرون الوسطى كخميرة حررت الروح وأيقظت الدافع الابتكاري النائم ، وعندما انتقل التفوق إلى الغرب لم تُمْحَ أسس الحضارة الإسلامية بل اتخذهـا الغربيون ونمّوها . وهكذا فإن الانتصار العربي لم يعن تغيير هدف الجنس البشري أو اتجاهه ، بل تغييراً في القيادة فحسب » .

Marfat.com

أسئلة

١- قال جوستاف لوبون « لو حذف العرب من التاريخ لتأخرت حضارة أوروبا عده قرون » . إشرح هذه العبارة تاريخياً .

٢- تكلم عن : العمارة والزراعة عند العرب المسلمين ، وإلى أي حد بلغت ابتكاراتهم في هذه النواحي ؟

٣- ما أشهر مراكز انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى الدول الأوروبية ؟

٤- إلى أي حد تدين أوروبا باكتشافاتها الجغرافية للعرب ؟

(تم بحمد الله)

Marfat.com

فهرست الموضوعات

صفحة

١ــ الباب الأول : حياةالعرب الاجتماعية والثقافيةقبيل ظهور الاسلام ٥
٢ــ الباب الثاني : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ١٤
٣ــ الباب الثالث : الخلفاء الراشدون ٣٦
٤ــ الباب الرابع : الدولة الأموية ٥٨
٥ــ الباب الخامس: الدولة العباسية ٨٦
٦ــ الباب السادس: الحركات الانفصالية وأثرها في الدولة الاسلامية ١٠٥

٧ــ الباب السابع : الوطن الاسلامي يتعرض للغزو الخارجي ١٢٩
٨ــ الباب الثامن : معالم الحضارة العربية الإسلامية ١٥٣

٤

فهرس الرسومات والصور

١ــ الكعبة ٣
٢ــ شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ٧
٣ــ المدينة المنورة ٢١
٤ــ غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٤
٥ــ فتوح الرسول والخلفاء الراشدين ٣٥
٦ــ مسجد باصفهان بإيران ٤٢

Marfat.com

٧ — فتح بلاد الشام	٤٤
٨ — الفتح الإسلامي لمصر	٤٦
٩ — الحروب الأهلية في عهد علي بن أبي طالب	٥١
١٠ — الدولة الأموية في أقصى اتساعها	٥٧
١١ — دينار في عهد عبد الملك بن مروان	٧١
١٢ — الفتح الاسلامي للأندلس	٧٤
١٣ — الدولة العباسية في أقصى اتساعها	٨٥
١٤ — مئذنة جامع سامرا	٩٨
١٥ — الدولة الطولونية	١١٢
١٦ — جامع ابن طولون	١١٣
١٧ — الدولة الفاطمية	١١٩
١٨ — صلاح الدين	١٢٧
١٩ — نتائج الحملة الصليبية الأولى	١٣٤
٢٠ — حصن الكرك	١٣٨
٢١ — نتائج الحملة الصليبية الثالثة	١٤٠
٢٢ — قتال بين الصليبيين والمصريين	١٤٢
٢٣ — حروب صلاح الدين	١٤٤

Marfat.com